التربية الحديثة

تأليف

المسيو ادمون ديمولن

عربه عن الفرنسوية

حسن توفيق الدجوي

ضابط بوليس

مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز بمصر

١٣١٩ هـ — ١٩٠١ م

ترجمة جواب الاستئذان عن الترجمة

1085 سوهاج ۳ يناير سنة ۱۹۰۱

سيدي ادمون ديمولين

لقد أسعدني الحظ بتلاوة كتابك "التربية الحديثة" ولقد كان لترجمة مؤلفكم "سر تقدم الانكليز السكسونيين" تأثير عظيم في حركة ومركز التعليم بمصر وقد استفاد منه اهل وطني العزيز ولكنهم في حاجة للاطلاع على كتاب التربية الحديثة لما فيها من تكميل الكتاب الاول .

وان مؤلفاتك والاذن الذي منحته لسعادة احمد فتحي زغلول بك بترجمة سر تقدم الانكليز تدل على انك رجل تحب الانسانية، وتخدمها وتفتح لى باب امل فى الحصول على اذنك بترجمة كتابك الثانى .

واني أقدم لك سلفاً شكري وشكر الامة المصرية بل شكر العالم اجمع على احساسك الطاهر .

حسن توفيق

الدجوي

ترجمة جواب التصريح

العنوان :

حوّل لنا المسيو ديمولن كتابك الذي طلبت به ترجمة التربيـــة الحديثة ونحن نمنحك هذا الاذن واذا شئت ان تطبع الصور التى به ارسلنا لك بحساب ...

ولك هذا الحق لغاية دسمبر سنة ۱۹۰۱ واذا لم تستخدمه كان لنا أن نمنحه لغيرك وتقبل فائق احترامنا .

فرمون ديدوت

ملتزم الطبع



حسن بك واصف

مدير جرجا سعادتلو افندم

اهداء الكتاب

لسعادة مدير جرجا

سيدى

دعانى حب الاشتراك مع أمتى العزيزة فى نهضتها الجديدة لتعريب كتاب « التربيـة الحديثة » لمؤلفه الشهير المسيو ادمون ديمولن وما كدت انتهى من تعريبه حتى وجدته يرمى الى العلى ويميل الى المجـد ومبدأه الصلاح وغايته الفلاح فرأيت ان اقوم له بحق هو اولى شىء به وهو نسبته الى سعادتكم وتحلية جيده بوسام هذا الشرف المنيف وما قام بفكرى هذا العزم حتى الفيت منه حنين الابل لمرابعها وولع الاولاد بمراضعها فها انا ارفعه لسدتكم بيد اخلاصى واملى ان ينال من رعايتكم ما ناله كل عمل صالح عرض عليكم افندم

حسن توفيق
الدجوى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

الحمد لله الذى خلق الانسان على احسن تقويم وحلاّه بحلية العقل السليم والصلاة والسلام على من جاءنا باشرف العلوم وكان على خُلُق قويم .

اما بعد أيها السادة المصريين فكلكم عارف باننا كنا فى العصور الخالية أمة المجد ومنبع العرفان ومثال الاستقلال ورجال الصنائع والفنون التى لا تزال مظاهرها تدهش حكماء العالم بأسره وكنا أمة القوة وسيدة اقطار المعمورة ثم جاءنا الاسلام بانواره الساطعة وقوانينه وسننه القاطعة فزدنا مدنية وفخاراً وقوة وكمالاً واقتداراً حتى اذا وصلنا ذروة المجد والعلاء وبلغنا غاية السعد والهناء عمدنا — شأن الامم كما قيل : ما طار طير وارتفع الا كما طار وقع — الى انفسنا فتضاربنا ببواتر الحسد وتفانينا بسموم المكر والخديعة وسرى بيننا الظلم فاودى بنا الى مهاوى الخراب

والدمار حتى اذا خمدت قوانا وضاع ما كان بايدينا واقعدنا عن بعضنا الفقر والضعف انهمكنا في النواح مرة والملاهي أخرى وطرحنا الادب والارتقاء والسعادة ظهرياً واستولى علينا الخمول ثم ها قد بدأنا نتيقظ وننتعش كما ينقه المريض من ثقيل الحمى او كما يفيق السكران من خمره فقام خاطبو علاكم وابناء وطنكم العزيز ينشدون ما يساعدكم على تلك النهضة الشريفة ومنهم سعادة الفاضل الغيور احمد بك فتحي زغلول عرّب سر تقدم الانكليز السكسونيين ذلك الكتاب الوحيد في زمانه الذي قمتم له حتى خلنا انكم ستقلبون نظام الكون ثم قعدتم كما كنتم وقام غيره بمثل ذلك وقد جئتكم اليوم بتكملة ابحاث مؤلف سر تقدم الانجليز العملية جئتكم بهذا الكتاب الذي تجدون فيه تشخيص امراضنا ودواها ومواضع عللنا وشفاها كتاب ادمون ديمولن ذلك النابغة العلامة الذي قامت له وقعدت أمة من اعظم الامم مدنية واوسعهم علماً واعلاهم مقاماً قامت تلك الامة له وقعدت معترفة بانها مفتقرة الى ما فيه لحفظ كيانها وترقية شؤونها معترفة بانها متقهقرة منحطة بالنظر لما حواه من الحقائق . هذا الكتاب الذي يشهد العقل والضمير ان مبدأه الحق وغايته الفلاح الا في نقطة واحدة لا تأثير لها على موضوع الكتاب وغايته بل هي خاصة بعقيدة المؤلف بالنسبة للاسلام[1] كتاب ادمون ديمولن الذي شرح فيه قواعد التربية الحقة

---

(١) جاء في عرض الكلام عن الدين وانطباقه على الازمان والجهات وحاجاتها « ان الدين الاسلامي وضعي موضعي » وتالله قد اخطأ الرجل في زعمه وضل الحقيقة في قوله لان الدين الاسلامي من اول مزاياه صلاحيته لمصالح الانسان في

واساليب التعليم الصحيح شرح فيه كيف يربى الانجليز اولادهم وكيف يعلمونهم وقارن بينهم فى ذلك وبين أمته ثم أنزل القضاء المبرم على هذه وحكم عليها بالتأخر والجهل وشدد عليها النكير واقام عليها القيامة وقام ينذرها بالخسران والخيبة والانحلال اذا لم تأخذ كتابه منهاجاً ومنوالاً تنسج عليه عقول ابنائها وتربي عليه قلوبهم وتقوّم به اودهم فهاجت الخواطر ورددت صدى صوته الجرائد والخطباء وقام ينتصر له العلماء والادباء والفلاسفة والحكماء وارباب الافهام والاقلام واولو الامر ورجال التعليم وقام ذوو اليسار فمدوه بالمال وذوو الجاه فاعانوه بالسلطان لتشييد معالم تلك التربية وتأسيس المدرسة على تلك الاصول ، ألَّف ادمون ديمولن هذا الكتاب لترقية أمة العمران تلك هى أمة الفرنساويين التى نعتبرها منبع المعارف وشرق شموس العرفان ومحط رحال طلبة العلم والادب تلك هى الامة التى اعترفت بفضل هذه التربية وهذا التعليم الذى وضع له هذ الكتاب تلك هى الامة التى يقول ادمون ديمولن فى الباب السادس من كتابه انه يوجد على ضفتى نهير من نهيراتها ١٢٨ معملاً وورشة للصنائع والمصنوعات اعترف اكابرها بان نظام ديمولن ينهض بها من حضيض

جميع الجهات والازمان فقد قام بين العرب وطابق مصالحهم ثم تقدم الدهر وصلح لحكم العباسيين ثم الرشيد ثم صلاح الدين ثم لحكم الترك والمصريين والحكم فى اسبانيا والغرب والهند والصين والمشرق والمغرب والشمال والجنوب واقطار المسكونة على اختلاف مشارب اهلها ومبادئهم وطبائعهم وعوائدهم وحكوماتهم ومصالحهم والازمنة والعصور التى تقلبت منذ ثلاثة عشر قرناً وهو كما هو على جماله وحكمه واحكامه يهدى الى الصواب والحكمة والعدل والاستقلال وهي اساسات العمران

الجهل الى ذروة نور العلم اعترف اكابرها بان نظام ديمولن يستأصل منها جرثومة الضعف والضلال ويزرع بقلب ابنائها شجرة القوة والهداية وينشلها من مخالب الخمول ويفتح لها مملكة الحرية والاستقلال تلك الامة يعترف اكابرها بان فيها الجهل وجراثيم الضعف والضلال وبلاء الخمول فما بالنا نحن المصريين ؟ اليك يا ديمولن بالله عليك ماذا تقول اذا رأيت مصر وكنت مصرياً او كما انت فرنساوى ورأيت حال آبائها ومآل ابنائها لا اخالك قائلاً شيئاً اذ من العبث ان تفرغ جعبة البيان وتدمي عين القلم بالدمع وتبح صوته من كثرة الصرير وتشل لسانه من ارتفاع الانين بدون ان تأتى على ذرة من كل مايدهش العقول ويوقف الفحول . وماذا تقولون انتم المصريين عن انفسكم وقد سمعتم ما يقوله الفرنساويون عن انفسهم وماذا يقعدكم عن صالحكم والطريق امان . اخذ الرجل يشرح طرق التربية واساليب التعليم وحصر غايته في الاولى بجعل الصبيان رجالاً فى اقرب الازمان حصر غايته فى غرس حب الاستطلاع فى قلوبهم والشهامة فى نفوسهم والاستقلال فى افكارهم والانفة فى مبادئهم والاقدام فى قوتهم والشباب طول حياتهم والسلامة فى نيتهم والحرص فى اغراضهم والفراسة فى بصائرهم والحزم فى اميالهم والعزم فى مشروعاتهم والحكمة فى سيرهم والادب فى معاملاتهم والصدق فى اقوالهم والنشاط فى حركاتهم وحصر غايته بالتعليم فى تسليحهم بسلاح المعارف المفيدة المنتجة المختلفة للجهاد فى سبيل الحياة ومزاحمة العالم واستعمار البلاد واستخراج الثروة من التراب ومحو التعليم العقيم الذى يزيد الارتباك ويجرد الانسان من كفاءته

واستعداده الفطرى الذى منحه له الخالق البارىء جل جلاله . ذكر الرجل العلوم علماً علماً وتكلم عن كل فرع ومواضع خلل التعليم فيه ثم بيّن طرق الاصلاح مؤيداً آراءه بالبراهين وذكر فوائد العلوم ونتائج طرق التعليم وفعل عناصر الدواء الذى وصفه فى موضع العلل . والحق يقال ان الرجل لم يترك شاردة ولم يغفل منفعة ولم تفته فائتة كأنه حكيم حاذق من اهل المريض واقف على الداء وادواره من يوم ظهوره عارف باعراضه فتش المعارف وساح البلاد واختبر وجرب حتى وقف على انفع الدواء واحسن وسائل التعليل والتطبيب انعم به من وطنى غيور بذل النفس والنفيس فى خدمة وطنه العزيز وانسان طيب لم يبخل على العالم بالافادة فأذن بترجمة الكتاب لكل اللغات التى طلب اهلوها ترجمته لها .

قسم الرجل كتابه الى قسمين جعل الاول ثمانية ابواب تكلم فى الاول عن حركة الرأى العام وتأثير افكاره واجماع الطبقات المختلفة على فوائد هذا الاصلاح وفى الباب الثانى تكلم عن طرق المدارس الحاضرة فى التربية والتدريس فأبان عن عيوب التعليم واخلاق المعلمين وفساد التربية ونتائجها العقيمة وبيّن اسباب ذلك بالتفصيل والاسهاب وما اقرب ذلك النظام لنظامنا وتلك العيوب من عيوبنا اسهب حتى يخيل للقارىء انه يقرأ عن مصر والمصريين لا عن فرنسا والفرنساويين فليس من حرج علىّ اذا قلت ان اهمال الكتاب بعد ترجمته من اكبر الجرائم التى يقترفها المصريون لان الداء واحد وسيأتى ان الدواء واحد وان الطريق سهل والامر يسير وسيرى المصريون ان التشابه بين نظاماتنا والنظام الذى ينتقد

هو عليها عظيم وقد قالوا هم بعد طول الخبرة انه غير مفيد وانه عقيم بالنسبة للغاية والقوة المطلوبة وان لنا هذا النظام من فرنسا فلم تبق لنا حاجة فى البقاء على نظام عافه اهله لان ذلك من العناد الفاسد والجهل المركب وليس من المفيد ان تحصر النهضة الجديدة سعيها فى احيائه ونشر لوائه لزيادة الخبل وتجسيم العلل وفى الباب الثالث شرح التربية والعيشة فى المدارس الجديدة التى ينادى بها ويستجمع القلوب حولها ويقصد النفع منها وفى الباب الرابع تكلم الرجل عن بروجرام المدارس الحاضرة وأبان خلاله وعدّد العلوم وكيفية دراستها العقيمة والازمان المحددة لها وضيقها وضرورة الاكتفاء بالاوليات والمبادىء السطحية فضلاً عن عدم التمكن منها وفي الباب الخامس تكلم عن حل مسألة اللاتيني وفى الباب السادس تكلم عن بروجرام المدارس الجديدة وكيفية التدريس والاوقات ونتائج التعليم السديد فاخذ احسن الطرق التى تؤدى لتنوير العقل وكشف اسرار العلم واحياء الافكار واعمال التصور والحافظة معاً فضلاً عن اضافة التمرينات العضلية والرياضات الحرة المفيدة المقرونة بالابحاث العلمية والتاريخية والسياحات الجميلة والاعمال اليدوية التى تبعث فى النفس قوة الارادة واستقلال الاميال والاستعداد للجهاد فى سبيل الحياة من كل طريق وعدم التقيد بطلب وظائف الحكومة كل هذا مع السعة فى العيش ورفعة المقدار وتحصيل الكسب الفائق بالقوة الشخصية والعمل الذاتى فضلاً عن تعليم السباحة وركوب الدراجات واطلاق المدافع حتى يكون الرجل كاملاً حائزاً لجميع الصفات عالماً لجميع الاحتياجات قويّ الجنان صبوراً قنوعاً

مقداماً وجمع هـذا النظام بين العلم والعمل وتعويد اللسان على الطلاقة وتعويد الفكر على العمل والبحث بتخصيص ليالٍ للاجتماعات والمباحثات والمناظرات التى تتناول العالم بأسره وبين فائدة المشاهدات التى تحيي النفس وتنير الحقائق وبين اللذة والترف بتخصيص ليالٍ للموسيقى والرقص والغناء ومطالعة الروايات وتواريخ المشاهير والجرائد واحوال الاجتماع والبلدان وبين الحرية والانس بالتصريح للعائلات بزيارة المدرسة والاجتماع مع الابناء وبين النظام والترتيب حيث يحافظ فيه على المواقيت والتقاليد والطاعة والادب والنشاط وبين تعليم الدين الذى هو اساس العمران وحقيقة الوجود ونظام الوجدان وأس التربية والمدنية واتخذوا فى تعليمه احسن الطرق والاساليب اذ هم يعلمون آدابه واحكامه وحكمه حتى يسترشدوا بها فى حياتهم ويستنيروا بها فى معاملاتهم ويعتبروا بها فى مواقف الاعتبار مع اننا اهملنا ذلك وقضينا عليه حتى اصبحنا نستحيي من ذكر الدين والتمسك به . كل ذلك من الفضائل العالية والصفات الكمالية التى بَعُدَ شوطها عنا وحال بيننا وبينها موج الجهل والخمول والتقاعد ورهبة الاقدام المتسلطة على اوهامنا الحاكمة على قلوبنا ولن تجدوا ايها السادة فى هذا النظام صعوبة بل لن تجدوا انه من الكماليات التى يلزمنا ان نستعد لها بنظاماتنا الحاضرة كما زعم احد فضلاء المصريين يوماً حيث قال « اننا فى دور الطفولية وان هذا التعليم عال علينا وانه يلزمنا ان نبدأ بالنظام الحاضر ثم نتخطى بالترقى وبعد التعميم الى هذا » كلا فانى أحكِّمُ بينه وبين الحق الرأى العام بمصر من الطبقات الجاهلة الى أعلا طبقات المعارف

وانصار الحق بعد تلاوة هذا الكتاب بل أحكمه هو على نفسه فان العدل ينطق على لسانه طوعاً او كرهاً نعم لن تجدوا شيئاً عسيراً لانه تعليم وتربية ابتدائيان يؤخذ بهما مع الصبيان من سن الثامنة كما سترون فيكونون رجالاً وهم اولاد ، رجالاً فى الحقيقة عيالاً في الاجسام . وفى الباب السابع تكلم عن وصف حياة المدرسة باقلام التلامذة وما احلى ما سترى فى هذا الموضوع مما يذهل العقول ويدهش الافهام ويروى الغليل ، تجد فى اقوالهم نور العرفان وبين كلماتهم سبل النجاح والفلاح وفى مجازات عباراتهم مجازات الى العلى والكمال والعظمة والجلال والقوة والمال تجد فى تقاريرهم دامغ الحجة وقاطع الدليل على ما نقول . وفى الباب الثامن تكلم عن « مدرسة روش » المدرسة التى شيدها لعز أمته وأبان فيه عن نظاماتها وقوانينها واساليب التدريس والتربية فيها وادارتها ووصف ترتيباتها ورسومها (المصاريف) ومركزها وتواريخ افتتاحها وكيفية انشائها ومدد الاجازات الى غير ذلك مما يشتاق لمعرفته كل انسان وستجدون المصاريف فيها كثيرة وعلى ظنى انه يمكن تخفيضها بحسب حالة بلادنا .

ثم ذيّلَ الكتاب باربع مقالات وهى القسم الثانى ثلاثة منها لفحول كتاب فرنسا وواحدة له كان لتلك الخطب شأن كبير فى قلب معالم التعليم هناك وتغيير الآراء والتأثير على الافكار .

وقد وضع المؤلف فى كتابه بعض رسومات واشكال تشخص التلامذة فى اشغالهم العملية فاخترنا منها مايفيد نشره حتى يرى المصريون ان التلامذة يشتغلون مع المهارة والنشاط ما يدهش الناظر ويحير المتأمل

مع حفظ نظافتهم والقيافة والصحة ولا يظنون ان تلك المهن والصنائع تؤثر في « التمدن » و « النظافة » و « حسن الهندام » لانها فى عرف « شباننا » اليوم غاية مراقى المدنية وعنوان نهاية الكمال الانسانى .

وحاشا لله ايها السادة أن انكر على بعضكم فضله وعلمه ولكنى انكر كل الانكار على اغلبيتنا الكفاءة والاستعداد والمقدرة على مغالبة الزمان ونوال العلى والدرجات الساميات بعمل جليل وهمة فاخرة يمتاز بها الفرد بين الجمعية بل نحن كالفرنساويين نسعى فى التوظف فاذا حصلناه اخذنا نقوم بواجبات مفروضة ثم عولنا فى التقدم والترقي على الزمن و «البخت» و «القسمة» .

ما هذا ايها السادة المصريون ؟ نهضتم نهضة جديدة وقام المثرون منكم والتأمت الجمعيات وتألفت الشركات وشيدتم المدارس وزدتم عددها وفتحتم ابوابها للفقير على نفقتكم وللغنى بالرسوم فقررتم فى مدارسكم بروجرامات علمية محضة لا تفيد سوى شحن الاذهان بمبادئ متفرقة ومعارف سطحية عقيمة لا اخال لها نتيجة سوى تعليم « القراءة والكتابة » على ابسط اوصافها واحط درجاتها فما ذا يكون غرضكم يا ترى ؟ أنشر التعليم وزيادة عدد الذين يعرفون « الكتابة والقراءة » ام توظيف العالم المصرى كله فى الحكومة ؟ ما ذا تريدون من ابنائكم اذا قضوا ثلث اعمارهم وعنفوان شبابهم فى معرفة « الكتابة والقراءة » وتذبيل زهرة حياتهم فى حياة الكد العقلي وازهاق روح القوى والنشاط بالجلوس المستمر على بنوكة المدرسة نهاراً ومكاتب المطالعة فى المنزل ليلا ويصبحون

وهم لا يصلحون لمزاولة مهنة او اتخاذ صنعة او تحمل اتعاب الزراعة بل ولا مباشرتها المباشرة البسيطة التى لا تدعو للتعب لجهلهم بها جهلا عمومياً ولا للتكسب من التحرير والتأليف اذ هم غير كفؤ له ولا للتجارة كما ان الحكومة لا تسعهم جميعاً ولو كان غرضكم التوظف والاستخدام فتلك المدرسة الجديدة تعدّ التلامذة للاستخدام اعداداً حسناً يأتى من ورائه كبير الفائدة لهم ولكم وللحكومة والوطن نعم لانكم سترون كما قلنا ان ملكة التصور تكبر فيهم وقوة الذكاء والنشاط تتسع عندهم فيعرفون مسالك مصالحكم وفوائدكم فيسلكونها مباشرة بدون ان يخبطوا خبط عشواء فإما اصابوا وإما اخطأوا فضلا عن كونهم ينجزون اعمالكم بنشاطهم وميلهم للاسراع بتأدية الواجب حيث لم يتعودوا التلاهى عنه ولا الحاجة لحثهم عليه ويخدمونكم بالصداقة والامانة التى تصبح من طبيعتهم الغريزية . هذه فوائد هذا النظام وتلك المدارس . وان كانت اغراضكم تجهيز ابنائكم لمطلق القدرة على الحياة فليس فى عملكم الآن هذا الامل لان التلميذ بعد تعلمه الكتابة والقراءة من أي شيء يمكنه حصول حياته ان لم يحتل وظيفة . ولكن النظام الجديد يجمع بين الطرفين فيؤهل للوظائف على احسن اهلية ويؤهل لحصول الحياة من طرق عدة كما يقول المستر بادلى : « ان الجائزة التى نالها احد تلامذتنا (هوفمان) من كلية كمبردج برهنت لنا على ان طريقة تربيتنا ونظام حياتنا ليست بنظرية وهمية بل هما تعطيان احسن النتائج وانه يمكننا ان نسابق اقوى المدارس وقد ثبت ذلك ايضاً من الامتحان السنوي الذى باشره عندنا احد مندوبى

كلية اوكسفورد حيث ثبت ان بدالس لاتعلم فقط احسان الزراعة واجادة لعب كرة القدم بل هي ايضاً تجيد التعليم والتربية بدرجة فاخرة . »

ها بينكم الفرنساويين وانتم ترون تربيتهم اولادهم ونموّهم السريع وليس فيكم من ينكر اعجابه بهم . هذه التربية لا تعجب المسيو ادمون ديمولن فما قولكم ايها السادة في تربية تفوق هذه حسناً سهلٌ عليكم الاخذ بها والتحلي بحلاها ؟

أودُّ لو تسمحون بالتفاتة لحالتنا الحيوية من مبدإ تزوج المصري بالمصرية لترون شقاء الابن او شقاء البلد والامة : ترون الشاب يتزوج السيدة فيقضيان عمرهما في حياة جسمانية في ارتباك ونزاع لاسرور ولا لذة للحياة المدنية فاذا وضعت وضعت طفلا ضعيفاً سلموه للخدم الفاسدي الاخلاق حتى يكون صبياً هذا ان كانوا اغنياء وان كانوا فقراء ربّوه هم على اتعس طرق التربية وأحط شروط المعيشة العقلية والجسمية فاذا فطم ابتدئ في اتخامه بثقيل الاغذية وقذر الاطعمة — وانها لسموم قاتلة — حتى يتعود على الشره والدناءة وتضعف قوته ومعدته وبنيته وتنتابه الامراض والسقم والخمول ويكون كما يقال في امثالنا الدارجة « من اولاد الحواديت يكبر قوام » فلا يكاد يخرج من المهد حتى يصير شيخاً هرماً ويغطي سحاب البلادة على شمس ذكائه الفطري وأوّل كلمة تطرق اذنيه وتتحرك بها شفتاه شتم ابويه واوّل حركة يعرفها ذراعاه ضربهما وضرب الخدم الذين ربّوه واوّل صورة ترتسم في مخيلتــه صورة « العفريت والبعبع » واوّل صفة يتشبع بها قلبه الجبن والوهم والخوف والبساطة واول نظام يقع نظره عليه

ارتباك المنزل ووساخة حياته فاذا صار يفهم غمر فى الخرافات والحواديث التى تفسد عقيدته وتضل قلبه وفهمه لان أغلبها مؤثر على الدين قالب لحقيقته . وساد عليه النزاع والخلاف بينه وبين اخوته واخوانه حسبما تعود من رؤية أبويه واهله هذه هى التربية المنزلية الاساسية عندنا من جهل الام واهمال الاب ولا حول ولا قوة الا بالله .

فاذا حان وقت تعليمه وارسلناه للمدرسة دخل فى دور الشيخوخة الذى لحنا اليه وانغمر فى المطالعة والحفظ بعقل ضعيف مرتبك ان كان « مجتهداً » أو انغمر فى الملاهي والضلالات والاختلاط بالاسافل وفاسدى الاخلاق وان المرء يفسده القرين السوء فاذا خرج من المدارس سعى للوظيفة سعيها واضاع بين المدرسة وبين الحصول عليها نصف حياته اللذيذة فاذا حصلها قضى فيها باقية عمره منعم البال مستولياً على ما تقوم به حياته ويحمد الله عليه وان لم يحصلها استرسل فى الفساد والضلال فان كان غنياً افتقر وان كان فقيراً مات .

وطالما سمعنا الجرائد تنوح والآباء تئن من هذا الحال ولا موجب لهذا النواح والأنين إذ يكفي ان تتجردوا من حياة الاتكال وتنشطوا من عقال « الحكومة كفيلة الامة » وترموا بناظركم الى بلاد الانجليز وفرنسا اذ ترون ان ليس للحكومات يد فى انشاء هذه المدارس بل كلها فتحها الآباء مثلكم كما يقول ادمون فى كل كتابه .

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح

وليس يخاف على احد ان وظيفة الحكومة تنحصر فى حفظ الارواح

والاعراض والاموال واقامة العدل والاخذ للمظلوم بحقه من الظالم واقامة حدود الله لصلاح سلوك الناس وتطهير قلوبهم من الفساد والعبث بحقوق العالم ومطاردة الاشقياء والمعتدين وتصليح الطرق وتسهيل المواصلات والمحافظة على حقوق الرعايا امام الدول المرتبطة معهم بمعاملات بما لديها من القوة ووسائل الدفاع والاصول والاتفاقات الى غير ذلك مما لا يقوى على القيام به كل فرد منفرد ويحتاج لاشغال قسم من الامة به حتى يشتغل الباقى فى القيام بالضروريات التى يقوم عليها كيان الاجتماع وعلى الحكومة ان تقوم بوظيفة تربية الناس وتعليمهم عند ما تبتدىء هذه الامة فى الوجود وتكون جاهلة بجميع الطرق والمسالك فاذا انتهت ايام تغذيتها بلبان الطفولية وذاقت طعم العلم والمعارف وجب على الحكومة ان تعود الى حدود وظيفتها الاصلية ولا تتخطاها وعلى الامة ان يختار كل منها ما يلذ له من انواع المعارف فيتعاطاه وعليها ان تتدبر فى تأليف تلك الاغذية من الانواع الضرورية لقيام جسمها وحفظ حياتها ونموها هذا وقد وصلت امتنا المصرية بحمد الله وفضل الحكومة الى درجة الاقتدار على هذا الاختيار فعلينا اذن ان لا نتقاعد عن واجبنا الاول ونطالب به من ليس مسؤولاً عنه وقد قيل :

ماحك جلدك مثل ظفرك ... فتول انت جميع امرك

الى متى هذا الرقاد وقد كسدت تجارتنا وضاعت بضاعتنا وحاق بنا الويل ولاحول ولا قوة الا بالله هذه الخرق البالية تجمع من بلادنا باجرة نقلها فتعود علينا ورقاً بالذهب هذه العظام لا تكلفهم الا مصاريف النقل

فتعود علينا عصياً ومقاطع وحلياً ومصنوعات باهرة هذه اقطاننا نبيع خيطانها بثمن بخس ونشتريها بعد تحسين بسيط ليس بالمستحيل علينا بل ولا بالعسير ادراكه باثمان لا يجهلها واحد منا نعم هذه . . . هذه . . . وكم اعد لكم ولم يبق شيء يزاحمنا عليه الاجنبي ليبيعه لنا الا اعمارنا التي لا حول للانسان ولا حيلة في اختلاسها .

هذه شركة الغزل والنسيج التي قامت بيننا ولن يكون للمصرى نصيب من وظائفها سوى الخدمة فى النظافة والنقل او الكتابة البسيطة بأدون المرتبات وقد رأينا التلميح لها في التقارير الرسمية بصفة استلفات لانظاركم ايها المصريون واستنهاض من اربع سنوات وزيادة قبل وجودها الفعلى فما الذى اقعدكم عن ان تكونوا اصحاب الفكرة او رجال التنفيذ الا جهلنا الاعمى ولا حول ولا قوة الا بالله وكم غير ذلك لا يسمع الوقت بتعداده وهو كالشمس فى رابعة النهار وفى ذلك القدر بعض الكفاية لمن يعتبر .

فاتركوا هذا السير البطىء فانا اذا اكتفينا بان نقوم قومة فى كل ثلاث سنوات (عند ما يظهر لنا مثل سر تقدم الانجليز) نكتفى فيها بالاستحسان والصراخ ثم نقعد كما قمنا فسننام كما يقول ادمون على تلك النغمات نوماً عميقاً ضاراً فاتقوا الله أيها الناس فى اولادكم واموالكم وبلدكم وانظروا فيما ينفعكم ويضركم بعين بصيرة وتلك الطرق مفتوحة والحرية مطلقة وحيث لى أمل وطيد فى ان كتاب هذا العلامة سيوقظ نائمكم ويحرك ساكنكم ويستلفت ناظركم الى احياء شبيبتنا وانشاء هذه المدرسة وحيث اراه غير كاف لان تأسيس تلك المدرسة يحتاج لوسائط :

الاولى : — هذا الكتاب مع سر تقدم الانجليز السكسون وهما الطريق العملى والنظام الاولى الذى يجب ان تسنوه لمعاملتكم المنزلية وتقرروه قانوناً لفتح المدارس بعد وقد تم والحمد لله ترجمتهما .

الواسطة الثانية : — وجود الكتب التي تدرس وتاتى بهذه النتيجة المفيدة التي تجمع العلوم وارتباطها بالانسان ومصالحه وهذه أسأل الله ان يقدرنى على ترجمتها واحداً واحداً وان يشد أزرى باخوان من الوطنيين الغيورين يساعدوننى على تقصير الوقت بترجمة بعضها وسأجتهد فى الحصول على أسمائها ونشرها .

الواسطة الثالثة : — الرجال المعلمون وهؤلاء يمكن انتخابهم من نبغاء مدارسنا المختلفة ويتبعون فى تدريسهم الكتب المذكورة تحت رعاية ناظر ينتخب منهم يرسل لانجلترا او فرنسا ليشاهد هذا النظام ويتدرب عليه عملياً ومساعدة معلمى اللغات الذين يلزم انتخابهم من متخرجى المدارس التي من هذا القبيل .

الواسطة الرابعة : — المال اللازم لاقامة هذه المدارس وهذا على ظنى يمكن جمعه من الموسرين الذين فتحوا المدارس اليوم وأوقفوا عليها من اموالهم وارضيهم واحرى بهم ان يعملوا ذلك فى هذا السبيل المفيد .

الواسطة الخامسة : — هى الهمة والنهضة والعزم على المهمة الجليلة ولهذه وحدها واسطة جليلة هى جمع الكلمة بينكم حتى يهون العسير ويد الله مع الجماعة واتقوا الله أيها الناس فى انفسكم وأولادكم وأموالكم وبلدكم واسألوا الله حسن التوفيق .

حسن توفيق الدجوى

مقدمة المؤلف

آن لنا ان نتخذ بفرنسا منوالاً للمدارس ننسج عليه نسجاً جديداً مطابقاً لاطوار الحياة الحاضرة وان كتابنا هذا هو بدء العمل ولنا من حركة الافكار وصدى الرأى العام الذى بلغ عنان السماء اكبر مساعد ومنجز فقد اتفقت الآراء على وجوب العمل واخذ الكثير يهدى الى سبله ولكن لم يوفق احد لتحقيق تلك الآمال وقد أقرّ احد ذوى المناصب السامية بالمعارف على وجوب تلك الحركة غير انه يقدر لها خمسين سنة وما اطول تلك المدة على الآباء فقد كتب لى البعض منهم يسألنى هل يوجد مثل تلك المدارس بفرنسا والبعض يلح علىّ بانجاز مشروعي قلقاً واهتماماً بمستقبل اولادهم فدفعتنى تلك الظروف للاتحاد مع بعض اصدقائى الذين اثق بميلهم للاحسان وخدمة الصالح العام ومعرفتهم بحقيقة الحال وتبرعنا بشيء من المال واشترينا منه املاك (روش) وقصرها وهى بجوار (ڤرنوى) على بعد ساعتين من باريس على طريق (جرانڤيل) وتبلغ مساحتها ٢٣ هكتار (اى ثلاثة وعشرين الف متر مربع) تحتوى على قصر وفناء واسع وبستان وغابة ومراع وارض زراعية على غاية من جمال الموقع وحسن المنظر والصلاح للغرض المطلوب ثم شرعنا فى توسيع القصر وتوضيبه بباقى المبلغ الذى جمعناه وصار من الممكن افتتاح مدرسة روش فى اول اكتوبر سنة ١٨٩٩ وكبر أملنا فى نجاحها لستة اسباب :

الاول : — كثرة ما ورد علينا من رسائل الآباء وحركة الرأى العام التى كانت تزداد يوماً فيوماً .

الثانى : — مواد التدريس التى انتخبت على غاية التناسب مع التعليم مرتبة لاعداد رجال مستعدين للتقلب مع ظروف الحياة .

الثالث : — اتخاذ الطرق الطبيعية السهلة العملية فى تعليم اللغات القديمة والحديثة

الرابع : — الاتفاق مع المدارس الانجليزية والالمانية على ان تلامذتنا يتوجهون اليها ويقضون فيها بعض اشهر وبذلك يزدادون تمرناً على اللغات الاجنبية .

الخامس : — انتقاء المعلمين الذين هم الآن بمدارس انجلترا التى من قبيل مدرستنا لاتمام التمرن على طرق تلك التربية الجديدة التى نريد ادخالها .

السادس : — تحديد عدد التلامذة الذين يمكن قبولهم مع معاملتهم بتمام الحرية والاجتهاد فى تربية اجسامهم وعقولهم والاعتماد فى التعليم على طرق الاقناع بالبرهان لا بالجبر والتسليم .

وتقرر فى قانون نظام جمعية تأسيس هذه المدرسة الجديدة ان لا يضاف على المصاريف اكثر من ثلاثة فى المائة حتى لا يكون الغرض تجاريًا بل منحصراً فى ترقية المصلحة العامة . وتصرف تلك الزيادة تدريجياً فى سبيل تحسين شؤون المدرسة . وحفظت الجمعية لنفسها الحق فى مد يد المساعدة لفتح مدارس من هذا القبيل او ما يشابهها من تجارية وصناعية متى تحقق نجاح مدرستها وان تقرض المال للمصلحين الحديثين

الذين يرغبون فتح مدارس من هذا القبيل بشرط ان يقدموا الكفالات اللازمة وان يكونوا أدّوا مدة تمرين كافية للاقتدار على تأدية تلك الوظيفة وتبقى هذه المدارس تحت مراقبة الجمعية حتى اذا سددوا تلك المبالغ لم يعد لها عليها ادنى تأثير وتصبح سلطة هؤلاء الاساتذة حرة مطلقة فيها ولا شك فى اهمية وجود جهات حرة مستقلة عن كل المؤثرات المركزية تكون سريعة الترقي والتدرب وان غاية ما نتمنى هو قيام المزاحمين وتكاثر المتسابقين فيسبقونا تارة ثم تقوم بنا الغيرة فنسبقهم اخرى وهكذا .

واني ارى من الواجب ذكر اسماء الذين افتتحوا معي الاكتتاب وشاركوني في تكوين رأس المال واستحقوا بذلك لقب مؤسسي المدرسة (وهنا ذكر اسماءهم وعددهم اثناعشر .)

وهذا الكتاب نعرض فيه على الآباء بروجرام وفوائد تلك المدرسة الجديدة ، ومن المسلم اننا اخذنا احسن مثال وبدأنا اشرف عمل مفيد ضروري للوقت الحاضر وسلكنا فيه اكثر المسالك ضمانة للنجاح وبصفتنا آباء لعائلات يهمنا مستقبل اولادنا فلن نتكل الا على همتنا الشخصية في بلوغ تلك الامنية وعلينا ان نعمم نشر طراز مدارس العصر العشرين بفرنسا اذ كانت هي سبب نوال الانجليز السكسون تلك القوة التي لا تبارى ووجب علينا ان نجاريها فيها وان نزاحمها ذلك الاحتكار .

ادمون ديمولان

الباب الاول

حركة الاراء فى تحوير التعليم

لقد استولى الهرج على الافكار وتأكدته بنفسى من كثرة الرسائل التى توالى علىّ ورودها كل يوم بلا حصر اثر نشر كتابى الاول (سر تقدم الانجليز السكسون) وكلها تناديني « لك الف حق قد وجب قلب طرق التعليم والتربية وكانا على قدم الاستعداد نبادر للعمل متى عرفنا كيف نعمل . هل وجب ان نرسل افلاذ اكبادنا لبلاد الانكليز ؛ وما ابعدها هلا نجد مثل تلك المدارس بفرنسا ؟ » والبعض لم يكترث بالبعد وسألنى عن عنوان تلك المدارس وقد اصبح واولاده هناك والبعض على وشك اللحاق .

الفصل الاول

واليك بعضاً مختصراً من تلك الرسائل التى وردت الىّ عساها تشخص لك هـذا الاحساس العام وانى اريد بذاك النشر استنهاض الفئة قليلي الوثوق بالجديد الذين يخافون الاقدام الذاتى ويفضلون تتبع خطوات اولى العزم على ان يكونوا من ذويه ليبدأوا عملا وكثير ما هم بفرنسا .

كتاب من ضابط بحار : — كتابك على الانجليز السكسون استلفت

انظارى الى التربية الانجليزية التى طالما شاهدت فوائدها وانى اشكرك اذا تفضلت بافادتى عن عنوانات تلك المدارس حتى اتمكن من طلب بروجراماتها الخصوصية ولولا خوفى من الافراط فى اشغال وقتك والتماس فضلك لاستزدت من معلوماتك عن الادارة والتدريس هناك وعن المصروفات التى اتحملها اذا ارسلت ولدىّ فيها مدة سنة لان عمرهما خمسة عشر وستة عشر سنة .

آخر من تاجر : — لقد استفدت من تلاوة كتابك فائدة عظمى وانى ارجوك ان تسمح بافادتى عن عنوان المستر بادلى حتى أطلب منه التعليمات الضرورية عن مدرسته حيث عزمت على ارسال ولدى الذى عمره خمسة عشر سنة ونصفاً فيها . (وكتب بعد ذلك بثلاثة أشهر يقول لى : «سيكون ولدى بمدرسة بدالس فى ٢٩ ابريل » وهو الآن بها وقد رأيته فى سياحة لى بانجلترا وأكَّد لى انه من أسعد التلامذة حظاً .)

وسألنى أحد الآباء عن عنوان مدرسة ابوتشولم ليرسل فيها أربعة أولاد ولم يكن عنده أدنى تردد حيث قال : « انى صانع وقد اختلست بعضاً من الوقت فى سياحة فتلوت كتابك وليس من المفيد الآن الاعراب لك عن مقدار الاهتمام الذى اوجده عندى كتابك ولعنايتى بتربية ولدى الذى عمره ١٢ سنة قد اصبحت فى غاية القلق ولقد اعجبت بالفصل المخصوص بنظام المدارس الانجليزية وبعثني انفعالى لسؤالك هل يوجد بفرنسا مدارس كهذه جمعت بين النظام النظرى والعملى والتمرينات الجسمية والحياة العائلية لادخل بها اولادى حتى يقووا على الغربة فارسلهم انجلترا؟ »

آخر من صانع : — تلوت كتابك فعقدت النية على ارسال اولادى بانجلترا وسافرت اليها بقصد رؤية تلك المدارس واطلعت على بروجرام بادلس فألفيته شافياً وافياً ولقد صممت الآن على ارسال ولدى اليها ولو ان ذلك يؤلم والدته لبعد سكناناعنه فى جنوب فرنسا حيث لا نراه الا فى المسامحات الكبرى .

ملخص كتاب احد اعضاء جمعية المعارف بفرنسا لان الموضوع يهم العالم باسره : — لن اقول لك هنا ان كتابك ألهمنى ، وانى اتجشم ان أجاهرك بافكارى بصوت لااخفيه وأودّ لو أستوفي منكم بعض معلومات تكميلية تفيد عملياً أباً مثلى ذا اربعة اولاد لا همّ له سوى تربيتهم . فهل تتكرم علىّ فتأذن لى بمقابلتك فتعين لى وقتاً ويوماً أفد اليك بمنزلك بحيث لا تؤثر زيارتى على اشغالك .

(وقد ورد على المؤلف عدة رسائل اثبت بعضها فى هذا الباب ولمح للكثير الذى تركه اختصاراً . ونحن نكتفى بما اوردناه مما ذكره وانما نأتى تكميلاً لهذا الباب برسالة بعثت بها احدى السيدات للمؤلف لكي يرى المصريون مقدار تأثر الافكار ومشاركة النساء للرجال فى الاهتمام بمستقبل اولادهم واجماع كل الطبقات على فائدة هذا النظام وليروا مقدار اهمية تربية المراة وفعل التربية فى نفسها حتى خضعت برضاها لفراق فلذة كبدها طلباً لترقيته وتهذيبه على المبادئ الحقة وفاقت الرجال فى ملاحظة امر الدين وتقديمه فى كتابها على جميع الشروط مع رقة عبارتها وحكمة مغزاها ورفعة غايتها ومرماها .) قالت :

« لا يغرب عليك ان أمًّا تكتب اليك تستفتيك عن المدارس التى وصفتها فابدعت وصفها وهيجت به حنوّ آباء شغل قلوبهم مستقبل اولادهم واستولى عليهم الاسف كلما تذكروا عدم وجود مثل تلك المدارس بفرنسا مع تصور عظيم فائدتها . »

«لى ولدان يعزب على افكارهما الحديثة الآن ادراك مآلهما ويغيب عنهما وجوب تعويل الشخص على همته الذاتية وان التعليم فى مدارسنا لا يأتى برجال اوَدّ ان يكونوا هم . »

«ويا حبذا لو اطمأن قلبى من مدرسة بدالس من الوجهة الدينية فانى لا اتردد فى ارسال ولدىّ اليها وارجوك عفواً سيدى عن ذلك التطفل فانك انت الذى ألزمتنيه بكشفك الغطاء عن طريق لا يتأخر أب وأمٌّ عن السعي فيه . »

الفصل الثانى

وجاء وقت اعلنت فيه تلك الحركة بحالة يهمنا ايرادها هنا فجاهر بها الخطباء على منابرهم وقت توزيع المكافآت فى هذا العام والذى قبله ولم يستطع نواب التعليم الحاضر الامتناع عن ترديد صدى هذا القلق المستولى على الافكار الامر الذى لاحظه فى وقته محرر جريدة الطان فى مقالته المعنونة « نصائح الرجال » حيث قال : « قد تصفحنا نصوص الخطب التى ألقيت يوم توزيع المكافآت والذى استلفت انظارنا هو اتفاق الخطباء

عنوا فى موضوع النصائح التى ألقوها على النشأة فبدلاً من ان يقتصروا فى اقوالهم كالسابق على المناظرات اللذيذة على التعليم الدينى بالمدرسة او على الاساليب والامتحانات او على التفنن فى التصاريف الادبية وبلاغة العبارات عدلوا الى الاجماع بلسان واحد وصوت فعال على مدح الصفات الكمالية والاقدام والجرأة والمزاحمة .

ومن هؤلاء المسيو (دنيش مات) الحاكم العام بتونس الذى كان يهنئ نفسه بانتشار التمرينات العضلية وترك خطة التربية الممقوتة التى كانت قاصرة على تربية العقول .

ومسيو (بويشون) الذى بالغ فى مدح استقلال الارادة واظهر ضرورة اولوية تربية رجال حائزين لمزايا هذا اللفظ الحقيقية ومسيو (هاتّات) المستشار فى بلدية باريس الذى قضى على مبدإ كفالة الحكومات للافراد ونصح للنشأة ان تتهافت على المشروعات الحرة ولو كانت محاطة بالاخطار وغيرهم كثير فتحوا لعقول النشأة آمال الحياة الاستعمارية وتكلموا على الوجود الشاسع المستقل الذى يمكن الدخول فيه مع التكاتف فى ترقية وعظم وسلطان الوطن .

وقد ظهر اليوم رد الفعل وانعطفنا ننظر نحو الانكليز . . . وان هذه الحركة لا تسر سوى الوطنيين . . . ومن المناسب ان نحيّي تلك البلاغة والشهامة بسرور زائد وان نرى فيها تنبيهاً فوعداً فأملاً .

ومن الخطب التى يمكننا ان نعدها فى هذا المقام ما قاله المسيو (بتى دى جول ڤيل) فى مدرسة (كوندروسيت) : « اذا اردت ان

تساعد ضعيفاً فلتكن انت اوّلا قوياً لان التكافل قسمان التكافل الحقيقي وهو الحسن والتكافل الفاسد وهو المذموم فالاول ان تعمل انت لفائدة غيرك ما استطعت وهو من الخصال الجليلة التي يجب ان يفرغ الانسان جهده في التحلي بها ، والثاني ان يتكل الانسان على غيره في كل شؤونه وهو التكافل الفاسد الذي لا ينيله شيئاً ولو ان انصاره ومحبيه كثيرون فلا تعول عليه ولا تركن في عملك على غير ذاتك وهمتك وارادتك وصبرك وعقلك واجتهد ما استطعت في ان تكون ذا عزيمة وارادة . »

وتكلم في مدرسة (ميشليه) المسيو (بارنس) احد اعضاء جمعية المعارف على فوائد وجود المدارس بالارياف وتكلم المسيو (مارسل دوبوا) بمدرسة (ڤولتير) والجنرال (مارسيل) بمدرسة (بوفون) على اهمية الاستعمار وبرهن مسيو (فاجيه) بمدرسة (شارلماني) على ان الصناعات اليدوية ليست بأدون من الاعمال العقلية ونصح مسيو (لوني) بمدرسة (شابتال) للشبان ان يساعدوا على تنشيط الصناعة والتجارة والزراعة وان يهاجروا من فرنسا فيذيعوا سمعتها بدلاً من ان يعيشوا فيها على البطالة والخمول وخطب مسيو (نوبلير) بمدرسة (القديس بارب) في هذا المعنى الى غير ذلك من مثل هؤلاء .

وقد اعاد الخطباء عامنا هذا الكرة في هذا الموضوع عند توزيع المكافآت وتكلموا عن طلب اصلاح التعليم على حسب النظام الجديد واصلاح التربية بغرس الاقدام والعزم والنشاط الشخصي وسأذكر لذلك مثلين :

خطب المسيو (ماكس اججر) المعلم فى مدرسة (شارلمانى) فتكلم فى موضوع بديع لم يسبقه اليه غيره فى مثل تلك الظروف على الاقدام . »

واعقبه المسيو (ساروت) المحامى العمومى امام النقض والابرام فتكلم عن مسألة التربية الحديثة المطروحة بين اصحاب المدارس ورجال الرأي الحاضر فقال : « انى لا اريد ان أسعر نار الخلاف لان النظرية لم توضع ولا يزال البحث دائراً فيها . لماذا اذن نشدد النكير على التعليم المدرسى القديم ؟ ولماذا نقضى بادئ بدء على نظام التعليم الحديث ؟

« لندع الآباء والاولاد يفعلون كيف يشاؤن ويختارون ولنبحث نحن فى هل يحسن ان نحرم تلامذة التعليم الحديث من بعض الوظائف ؟ وهل هذا التعليم الحديث يؤهل رجالاً يصلحون لجميع الخدامات ام لا ؟ »

« فاما من جهة جمعية المعارف الادبيـة فانى اباهى بعدم قدرتى للبحث فيها ولأترك الى علماء جمعيـة الطب العناية باثبات ارتباط اللاتينى بتشخيص الامراض وعلاجها واما من جهـة دراسة الشرع لمناصب القضاء والمحاماة والكتابة فاللاتينى واليونانى خلو من الفائدة ولى فيما يأتى اكبر الادلة : محكمة النقض والابرام مضطرة بمقتضيات وظيفتها للتعمق فى النظريات القانونية وتتبعها لغاية اصولها والرجوع للتقاليد التاريخية ومع ذلك فنحن لم نرجع يوماً ما لنصوص الشرع الرومانى ولا لشراحه ولم تستند تلك المحكمة فى حكم على تلك النصوص الرومانية ولقد جمعت نبذ القانون الرومانى فى ثلاث مجلدات ضخمة تسمى بالشراح القديمة لان لها زمناً طويلاً لا تباع ولا تشرى وقد طال عليها النوم فى الخزائن العتيقة

يعلوها غطاء سميك من التراب واضحت كما يقول ڤولتير عن منظومات لڤران دي بومبيان : ما اجلها لا يمسها احد . »

« وقد اخطأ من ادعى ان الرجل لا يكون متشرعاً او قاضياً خبيراً أو محامياً شهيراً الا بدراسة الشرع الروماني . لماذا اذن لا تتساوى الشهادتان الثانويتان في طلب الوظائف القضائية ولماذا هذا القضاء المبرم الذى تنزلونه على التعليم الحديث ولماذا هذا الاجحاف وعدم الانصاف ولنقل ان النصوص اليونانية واللاتينية عليها المعول الوحيد في تربية العقول وهو ادعاء لا يكلفنا شيئاً وان قد هانت ترجمة احدى صحف مونتان او منشيليه مع كون ميدان الآداب الفرنساوية والاجنبية اصبح تتيه به العقول فماذا يفيدنا التمسك باهداب القديم وقد كشف البحث عن نكاته ومحاسن تراكيبه ولم يعد به شيء من بديعياته الا استمرناه واقتبسناه ولم تبق فائدة لمعرفة العبرى سوى قراءة التوراة ولا لليونانى سوى مطالعة رواية (اوديت الملك) . »

« حافظوا على المدارس القديمة او عززوا الطرق الحديثة فانما الغرض ان تكونوا رجالاً قادرين على مكافحة الحياة ذوى عزم في حماية حقوقنا وحريتنا . »

والقى المسيو بنجر مدير اعمال افريقية في نظارة المستعمرات خطبة بمدرسة ڤولتير يوم توزيع الجوائز فيها ابان فيها للناشئة عن طرق اختيار الوظائف فقال : « من الخطأ ان نعتقد انحصار ترقية امة في تقدم الآداب والوظائف العقلية لانه في الحقيقة محتاج لتوفر جميع الفنون فانكم تجدون

ذوي السعادة من اصحاب الوظائف وارباب الآداب والاشغال العقلية قليلين بينما هم كثيرون جداً فى التجار والزراع والصناع بصرف النظر عن الوهم الباطل الذى قهقر هذه الوظائف الاخيرة . »

« وقابوا ابصاركم فى هذا الكون التجارى الذى امتد بين طرفى المعمورة واطلقت فيه الحرية لمن يشاء تجدوا من غير شك فى جولان ميدانه كل ما تتعلق به آمال شبابكم النشيط . »

« واجيلوا نظركم فى عالم الزراعة ولو ان اراضى اوربا اصبحت حقيقة بكر دهور الزرع عليها لا تأتى من المحصول بعد التعب الشديد بما يكافئه تروا تلك الاراضى الشاسعة التي لا تكلفكم ثمناً سوى وضع يدكم عليها . »

ولقد اجاد وابدع مسيو چول لميتر وفاق الجميع بتأثيره العظيم على الآراء أولاً بجملة مقالات نشرت فى الفيجارو تحت عنوان آراء للنشر . ثانياً فى مؤتمر اشتهر من يومئذ حيث تكلم على ملأ حافل بكلية سوربون بكل حكمة واحساس طاهر وقوة فكشف القناع عن مسئلة التعليم الحاضر . ثالثاً باقتراحه تقرير بروجرام المدرسة الانجليزية الذى سنتكلم عليه للمدرسة الجديدة .

وتلاه مسيو بونڤالو الرحالة المكتشف الشهير فاثبت بجملة حوادث مقدار مضار التربية الحاضرة على انتشار وتكاثر الامة .

ومن الواجب الاطلاع على خطبة چول لميتر التى ننشرها تذييلاً لهذا الكتاب ونستلفت الآباء والامهات ليتمعنوا فى افكاره ويعتمدوا عليها فى تربية ابنائهم ومما يزيد فى اهمية هذه الخطة كثرة سامعيها الذين

فاقوا اربعة الآلاف شخصاً اجتمعوا فى مرسح كاية سوربون ومما تمتاز به ان هؤلاء الحاضرين كانوا من ذوي الحيثيات فقد حضرها جميع الاساتذة المشهورين كما يتضح من الكشف الذى نشرته جمعية دوبلكس وكان بين الحضور مسيو لافيس قرين المسيو ليتر فى جمعية المعارف الفرنساوية وهو من ذوى الشأن الكبير بالحكومة وقد سبق انه جاهر فى جملة ظروف بطلب تحوير التعليم ونشر اخيراً فى جورنال الطان فصلا اكد فيه انه مستعد للمساعدة فى انشاء المدرسة الجديدة بسلطته العالية فقال : « لقد اصبح نظام التعليم الحاضر لا يطابق مصالح وقتنا اذ هو اكثر مطابقة للماضى ورغماً عن التقدم التام والنوايا الشريفة الواضحة فان التلميذ لا يزال يعامل كاحد الممولين الذين نتقاضى منهم كدهم بدون ان نعطيهم أدنى حق أو كاحد المتهمين بالبلادة والطيش المكافين بجر اثقال نستمر على تعليقهم فى العربات ونديرهم بالاعنة لا نعرف كيف نعلمه الحرية ورغما عن التعديلات التى ادخلت على التربية فتغير بها العالم لا تزال التربية عندنا تقريباً على عهدها ومبادئها القديمة . »

« فرب تربية جديدة توجد عند التلميذ الضعيف جداً شيئاً من النشاط العقلى وتولد فى اخلاقه الادبية بعضاً من الحرية ينمو كلما نما اذ ليس بالفطرى ان التلميذ الفيلسوف الذى خط عذاره يستمر تحت ناف مراقبة لا تقل عنها على الغلام المبتدىء الذى لم يبرح سن التسنين وقصارى القول ان التربية الحديثة تهيئ لهذا الجيل القوة المستقلة التي تلزمه كما كانت التربية القديمة تهيئ للجيل السابق الطاعة التي كان يحيي بها . » .

« وليس المقصود من التلميذ الجديد ان لا يتعلم اللاتيني واليونانى ثم يبقى مكبلاً بالمعارف العقيمة ليدخل فى طور الحياة وهو لا يكل لانه لا يوجد تعب بعد مشاق المدارس الكبرى التي يخرج منها منهوك القوى تعبان العقل مرتبكاً لانه لم يتعود الحياة تحت نظام مقبول لانه اذا كان الامر كذلك فهو لا يهمنى ولن يهمنى لانى اعرفه من قبل هذه المعرفة القديمة . »

« وفى العزم قبوله فى التعليم العالى الذى هو محروم منه للآن وانى لا ارى سبباً حقاً لحرمانه من درس علم الحقوق والطب لانى لا افرق بين البكالورية القديمة والجديدة ولكن اذا تساوى الحال بين التلميذ الحامل للشهادة الثانوية الجديدة وبين رصيفه سابقاً وتساوت فيهما التربية فأي تحسين عملنا وأي فائدة جنينا اذ يكونان كزملاء فلا يكاد يخرج من المدرسة الى الكلية حتى يخرج من مراقبة ثابتة وضيق وطاعة مستمرين الى حرية لا نظام لها فلا يقف على اساس لحياته الادبية ولا قاعدة لحياته العقلية وتكون الحرية فى نظره هى عدم الانتظام ومظاهرها التهتك ومن جهة اخرى يميله للكسل والبطالة ولضعفه وقلة اهتمامه بالاستطلاع ولعدم نزاهته يستمر على تأدية واجبات وحفظ دروس ليؤدى الامتحان وان أسعده الحظ ولم يدخل الكلية سعى فى تحصيل وظيفة هادئة ويكون التلميذ الجديد كالسابق يخرج مندفعاً بقوة جبرية من مكتب المدرسة الى مكتب المصلحة وغايته فى حياته تأدية واجبات مفروضة لا يتعداها للترقية والتحسين . »

« نعم ان اصلاح التلميذ من اصعب الامور مراساً ولكنه ليس بالمستحيل وقد لزمنا ثلاثون عاماً لقلب التعليم العالى وكنا عارفين بمواضع الخلل فتتبعناها وفزنا فوزاً مبيناً أما بالنظر للتربية فى المدارس فلا شك ان الاصلاح عسير جداً وربما احتيج فيه لخمسين سنة وهذا سبب جوهرى لوجوب الاخذ فيه من الآن وموالاته بعد بالعناية ولنبدأ باعداد المعلمين بان نغرس فى نفوس الشبان المترشحين لتلك الوظيفة شيئاً من التربية العملية التى تنقصهم بالمرة (الامر الغريب) ونحيي فيهم روح الاصلاح . ويلزم ان نميز فى المدارس بين الترتيبات العقلية والادبية لان التوحيد بينها من التقاليد القديمة فى التربية والسياسة ويلزم محو اسباب تلك المساواة كالبكالورية التى قيدت وافسدت التعليم ويجب ان نغرس بفؤاد التلميذ الذى اشتدت عنده الانانية شيئاً من حب التعاضد والاقدام .

ويجب ان نفحص اساليب التعليم وجميع الواجبات المدرسية وان نقرر فى نظامات التعليم الحرية وان نستبدل الخضوع والسكون بالنشاط والانعطاف ، ولا ازال اكرر ان كل ذلك محاط بالمصاعب ولكن من المجهول مقدار الاساتذة الشبان الذين يميلون للاصلاح وعلى كل حال يلزمنا خمسون سنة . »

« ومن المصيبة ان من يقول خمسون سنة بفرنسا يعرض نفسه لسهام سخرية العالم لانهم يندهشون من امتداد الامل لهذه المدة ويتوهمون ان سلسلة الحوادث السياسية ستقضى على فرنسا يوماً قريباً — الحوادث اليومية تنقضى يومياً بطبعها — وقد نسوا ان فرنسا ستحيي

بعدهم زمناً طويلاً . »

« ومن الامور المدهشة انه لا يوجد بفرنسا من رجال الحكومة كفؤ لأن يبدأ عملاً جليلاً او يفتح لهذا البلد باب امل مستقبل . » اه .

ولقد اصاب مسيو لافيس كبد الحق حيث قال انه يلزم نصف قرن للاصلاح فان الاجسام الكبيرة والعدد الميكانيكية الجسيمة ذات التروس الكثيرة المتشبكة تتحرك ببطء شديد .

وان الممارسة الطويلة التى تهب التلامذة شيئاً من القوة فى وقت الفراغ هى سبب داء ضعفهم العضال فى الاوقات التى يتحتم فيها التحول وهؤلاء الرجال الذين شغلوا مراكز اصلية وصلوا اليها بصعوبة او بسهولة وتقلدوا مساندها المؤثرة واعتادوا السنين الطويلة على السير الهوينا يعترضون بقوى السكون التى تفوق كل القوى كل تجربة جديدة تطرأ على راحتهم فنصف قرن لا يكون فى الحقيقة كثيراً لتحريك هذا الجرم العظيم . وبكل اسف لا يطيق الآباء والامهات انتظار تلك المدة فنصف قرن يكفي لتربية اولادهم واحفادهم وابناء احفادهم حيث تكون تربيتهم كما نشأنا فاسدة لا تؤهلهم للحياة .

ولكن ما هو عسير على الكلية وجمعيات التعليم الدينى الكبرى ورجال النفوذ والسلطة هيّنٌ على بسطاء الافراد والآباء لان الاقدام الشخصى المستقل عظيم القوة شديد اليقظة كثير الانقياد اذ هو لا ينتظر حركات الجيران والزملاء الأعزاء ولا يتكل على احد بل يسير مع تيار الظروف التي تصادفه ولانه ليس تابعاً ولا مقيداً بنظام معقد يديره شيوخ

لا ننكر احترامهم ولكنهم متعنتون بالتعصب للقديم لا ينتظر من قواهم المنهوكة ولا من عقولهم الجامدة ان يكونوا رجال الحاضر وكيف ينتظر التقدم فى أمة رجالها ينشأون شيوخاً قبل اوانهم .

فان كنا الامة التى تنزع بسرعة للثورة فانا كذلك الامة التى يصعب تحويلها والامة التى يحول بينها وبين الترقى المعتدل الف حائل تضطر لأن تنال غايتها بالثورة اذ التقدم يلزم ان يتم طوعاً او كرهاً .

الباب الثانى

نظام الاساتذة والمدارس القديم

يلزمنا للوقوف جيداً على التحويرات اللازم ادخالها ان نشرح ببعض عبارات النظام القديم للمدارس والمعلمين : —

المعلمون بفرنسا نوعان :

(١) استاذ الدرس أو المعلم الحقيقى .

(٢) المراقب الذى يسمونه بلغة العامة على سبيل الاحتقار (بالبيدق) .

اما علاقة كل منهما بالتلامذة فهى :

يسكن المعلم الحقيقى خارج المدرسة بعائلته ولا يحضر بالمدرسة الا فى المواعيد المعينة لاعطاء دروسه فيصعد على منبره ويلقى درسه بصوت عال فاذا انتهت الساعة المقررة ودق الجرس نزل عن منبره واسرع مهرولاً

الى مسكنه بالمدينة فان كان من الجمعيات الاخوية اسرع بالدخول فى قاعته.

ويطلب من المعلم بالمدرسة الكلية ثمانى عشرة ساعة على الاكثر فى الاسبوع يؤديها كصانع مواظب ثم يكون له تمام الحرية ويتمتع بها.

والمعلم لا يرى فى وقت الدرس امامه على بعد محدود الا هيئة من التلامذة لا علاقة له بفرد منها شخصياً نعم للمعلم الحق فى ان يخاطب أيهم اراد فى الدرس ولكن تلك خطة لا يتخذها الا نادراً لانه اذا أخذ فى استحضار التلامذة امامه بالتوالى والتعاقب فانه لا ينتهي قبل ان ينتهي الوقت وقد صار اجتنابهم ذلك أمراً مشهوراً كأنه من النظامات ولا لوم فيه وقد أكد لى أحد تلامذة إحدى المدارس المنتظمة جداً انه لم يكن بينه وبين معلمه ارتباط شخصى يوماً ما كما كان ذلك حظ جميع اخوانه تقريباً وفهمت مثل ذلك من جميع الاشخاص الذين حادثتهم فى هذا الموضوع كما ان مذكراتى الخصوصية تطابق ذلك فالنظام الحاضر لا يحتمل ادنى علاقة او ارتباط شخصى مستمر بين المعلم والتلميذ.

بقى علينا المراقب أو (البيدق) وارتباطه بالتلميذ اكبر من ارتباط المعلم غير انه ارتباط مكروه وهو يسكن ويأكل بالمدرسة وهذا الوجود المستديم بالمدرسة تقتضيه المراقبة المستديمة التى يباشرها.

فهو يؤدى وظيفة معاون ومن المعلوم ان المعاون والبيدق لا يمكن ان يكونا محبوبين وان سلطان الارهاب فيهما اكبر من عامل الود والاحترام وحيث ان الامر عام فلا يمكن ان يكره منها لانه من مقتضيات تلك الوظيفة ولا يمكن ان تعود عليهم مسؤلية مركز

لم ينشؤه بل هم اول من يتألم منه .

ولا شك انه يجب اتخاذ كل طرق الوعيد والارهاب لالزام هذا العدد العظيم من الصبيان بالسكينة والهدو بعد ان يتركهم استاذهم بلا رادع والضابط هو الذى يؤدى هذا العمل الضرورى المكروه .

فهل من المفيد الآن ان نبرهن على ان هذا الشاب الذى يقولون من وقت لآخر بتحسين مركزه – على فرض امكان ذلك فى النظام الحاضر – ليس له سلطان شديد على الاولاد حيث انه مجرد من هيبة المعلم والحق ان سلطته قاصرة على مجازاتهم .

فالتلميذ المقطوع الرجا من معلمه وضابطه اللذين يربيانه يرجع الى نفسه محزوناً ولا يكون له ملجأ سوى اخوانه فهم واليهم يرجع أمر تربيته ولا شك ان هذه التربية تنحصر فى انتحال الحيل العديدة لغش هذه المراقبة الضيقة والتخلص من هذا الضغط الشديد وبالطبع ينتشر تأثر الافكار بين التلامذة ويصل الى رؤوس اكثرهم بعداً عن المقاومة وأقلهم عناداً للسلطة ولمن هم اكثر مهارة فى التخلص من المراقبة وتدبير الحيل .

وبما انه لا موازنة بين سلطة المعلمين وخضوع التلامذة يضطر هؤلاء حتماً لاقامة التعادل بين المركزين بالمكر والكذب والى هنا انتهى بالضبط ما وصل اليه نظام التعليم الحاضر من كل ضرورة وهذا على ما نظن منتهى نجاحه وفوزه وهذه هى علة التعليم الحاضر فى عدم تأهيل رجال لان الرجل لا يصح ابداً ان يكذب . الكذب ليس من العيوب الخسيسة فقط بل هو اكبر من ذلك لانه دليل على الضعف والجبن ولا شك ان التعليم الذى

يكون من ورائه الاتصاف بالكذب وكتمان الحقائق يجب ان يقضى عليه القضاء المبرم .

واليك مسأله صغيرة أظنها تفهمك غرضى : — اعطانى احد تلامذة مدارس باريس الكبرى ورقة يومية مطبوعة أنقلها بنصوصها وترتيبها .

القسم الرابع

التلميذ . . . (طبعاً أنا لا أذكر اسمه)

مطلوب عند مسيو . . . (هنا امضا المعلم)

فليترك قسمه الساعة ٢ والدقيقة ٤٥

ويجب ان يعود لقسمه الساعة ٣ والدقيقة ٢ (والساعات مكتوبة بخط المعلم) .

فلنترك الاجراآت والاحتياطات الدقيقة التى تتخذ اذا طرأ على فكر أحد المعلمين ان يطلب تلميذاً لصيغة مخصوصة ولنصرف النظر عن ذلك فانما اريد تشخيص ما ينمو بعقل التلميذ الذى يعطيه المعلم هذه الورقة فى آخر شغله معه .

الاحساس الذى يشعر به التلميذ هو انه يعامل كصبي وانه لا يوثق به فى عمل بسيط جداً لا يتعدى عودته منفرداً من القاعة التى كان يكلمه فيها معلمه الى قاعة الدرس التى لا يمكن ان تكون بعيدة وتعتبر ادارة المدرسة ان النظامات اختلت وانصدع بناؤها من اساسه لقمته اذا غاب تلميذ هنيهة بدون ان يكون مربوطاً بتلك البطاقة التى يقدمها عند عودته للضابط

واغرب من ذلك انه يجب عليه الدخول بنشاط وحماس وبالجملة فكأنما المعلم حسب الوقت بدقة لاتحتمل ادنى خطأ فلم يقل الساعة ٣ والدقيقة ٣ او ٤ بل الساعة ٣ والدقيقة ٢ فتأمل !

هكذا يضطر التلميذ بالنسبة لهذه المراقبة الضيقة لان يتفنن في الغش ويختلق في مماشي المدرسة البدع والحيل التي يتحاكى بها مع اخوانه ويزين لهم المكر والسحر ويكفيه ان يزوّر الوقت المعين لعودته في ورقة الاحوال او يدعي بسقوطها منه أو يقول ان المعلم نسي ان يعطيه المذكرة واظن ان هذه الحيلة الاخيرة هي التي انتحلها التلميذ الذي اعطاني الورقة والالمابقيت في حيازته فان كان الضابط بسيطاً أو سليم النيه هان على التلامذة اختلاق الاعذار وهو يصدقهم ولو اعادوها بنفسها في كل فرصة وهناك اكذوبة اخرى قديمة العهد بينهم اضطرتهم اليها نظامات المدارس فمن المعلوم ان التلامذة يجب ان يعودوا من منازلهم ومعهم ورقة ممضاة من ولي امرهم فكثير منهم يتخلص من هذه الطريقة بواسطة امضاء هذه التذكرة من بعض معارفهم او يوفقون عليها هم انفسهم ويقلدون الامضاء ويوجد في شارع المدارس بعض قهاوي مستعدة لعمل هذا التزوير وفضلاً عن هذا الكذب المبيّت يوجد نوع من البلاهة الخالصة : لما كنت بمدرسة الحقوق كان لي قرين له اخ اكبر منه بمدرسة الغابات وهي مدرسة مشهورة على ضفة النهر اليسرى فتولى الصغير امر الكبير فكان يمضي في كل يوم احد على الدفتر بالموافقة على اخراج اخيه للبيات في منزله ولم تكن هذه الا طريقة جديدة من اختلال هذا النظام .

فان اعتبرت ان هذه النوادر مقتطفة من بين آلاف الحوادث التى من قبيلها التى تدار بواسطتها تلك الآلات المدرسية الجسيمة فانك لاشك توافق على ان دور هذه التربية تؤدى لنتائج محزنة وانما هى كثرة التعود التى تجعل هذه الحوادث فى نظرنا كطبيعية .

وبالرغم عن ذلك ويا للأسف هذه مايسميها الآباء بالمدارس المضبوطة التى يراقب فيها الاولاد مراقبة دقيقة وتحسن فيها تربيتهم وليس املى كبيراً فى ان افتح عيون الآباء لهذه النظامات ومن جهة اخرى فلست احرر هذا لهم وليست المدرسة الجديدة لتربية ابنائهم .

والمدرسة التى انا بصددها تحتوى على ألف وخمسمائة تلميذ وتوجد مدارس تحتوى على اكثر من ذلك ومع كل ففى المدارس التى عدد تلامذتها مائتان أو ثلاث مائة تلميذ وهو المتوسط المعتاد لا مناص من هذه المراقبة ولا من هذا النظام العسكرى وليس فى الامكان تغير هذه الطريقة المحافظة ولو على النظام الظاهر .

اما المدارس بانجلترا فليست الامجموعةمدارس صغيرة اذ كل عشرين أو اربعين تلميذاً موكولة رعايتهم لأحد الاساتذة الذين يسكنون بها ويأكلون فيها ويؤدون اوقاتهم المعينة فى شغل ولا يحتوى نبأ المدرسة إلاَّ على مكاتب التدريس وقاعات الاجتماعات العمومية واللوازم الضرورية واحسن مثال لذلك هو مدرسة هاروّ الشهيرة وقد عرف الانكايز كيف يخلصون التلميذ من بلاء الاستعباد الذي يشتت وجهات التلامذة ويفرق بين قلوبهم اما نحن الفرنساويين فقد وصلنا لنقطة خارقة للعادة وهي اننا

نفضل المدرسة كلما ازداد بها عدد التلامذة وهى حالة الغنم التى تميل للسير بهيئة قطعان كبيرة لا حالة تليق بالرجال العقلاء .

وهناك عيب آخر فى نظامنا وهو جمع التلامذة فى المدن مع ان مبدأ ايجاد المدارس الداخلية بالمدن هو من اعظم المضرات ادبياً ومادياً ولست فى حاجة للتطويل فى هذا الموضوع الذى لا نزاع فيه ولم يكن اساس لهذه الفكرة سوى الميل الاحمق الشديد الذى ينجذب به الفرنساويون نحو حياة الحضارة وقليل من المعلمين وخصوصاً نساؤهم الذين يرضون بكل صعوبة بسكنى الارياف التي يعتبرونها منفى فالاساتذة اكثر اشتغالا بملذاتهم منهم بتلامذتهم . فهل يقصد بالمدرسة فائدة التلميذ كلاّ فالثابت عكس ذلك ويلزم اذن معرفة المقصود منها الا وهو اعداد التلاميذ للامتحان ليس الا وهذه النكتة هى سبب ضياع التلميذ فان التلميذ الذى يستعد للامتحان يضطره الخوف من السقوط لان يزحم ذاكرته بمبادئ علوم عمومية بحيث يكون عنده معلومات سطحية وقتية عن مواد الامتحان والكتاب الذى يصلح لهذا الاستعداد هو المذكرة المختصرة بقدر الامكان والقوة التى تصلح لهذا الاستحضار هى الذاكرة دون التصور اما الصفة التى يكتسبها التلميذ وتبقى معه مدى حياته فهي الاكتفاء فى كل شئ بالنظر السطحى بدون تعمق فى شىء كما قال المسيو جول لميتر بالضبط « مما يدهش الالباب ويحير العقول تلميذ متوسط حامل للبكالورية الادبية اعنى شاباً طيباً لا يعرف اللاتينى واليونانى بل لا يعرف اكثر من ذلك اللغات الحية ولا الجغرافية ولا العلوم الطبيعية . »

الباب الثالث

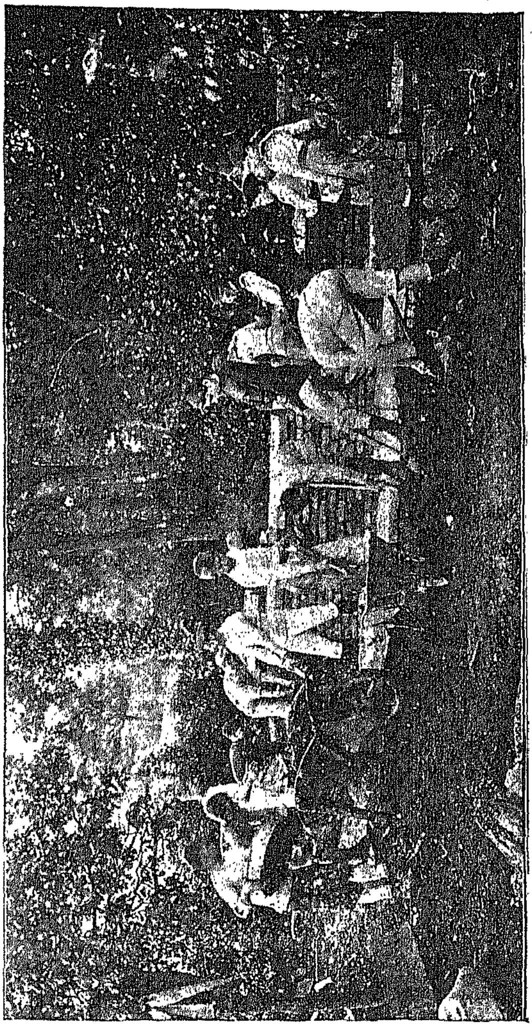
النظام الجديد للمدارس والمعلمين

لقد شرحت في كتابي السابق سر تقدم الانجليز السكسون طرق التربية الانجليزية وقد ألفته بعد الاقامة بانجلترا اربعة مرات في اربعة سنوات متواليات ومن ذلك الحين وعلى الخصوص مذ تبيَّنت ضرورة ادخال طرق هذه التربية بفرنسا وانا مفرغ جهدى فى التوصل لمعرفة دقائق تلك الحقائق واردت ان اقف على تفاصيل الحركات المدرسية لنختبرها ونعرف مكنوناتها ونتائجها .

وسهل على تتبع ملاحظاتى بارسال ولدى لانجلترا وقد مضى عليه فيها سنتان وهو بمدرسة بدالس فى (سوسكس) وهو يزورنا كل ثلاثة اشهر وفى عيدى الميلاد والفصح وفى آخر السنة المكتبية . ويقضى بيننا مدة الاجازة وهى من ثلاثة اسابيع الى شهر ونصف فى نظام المدارس الانجليزية وكنت اجتهد فى كل ثلاثة اشهر فى تقدير مقدار تأثير نظام تلك المدارس فى ولدى اثناء تلك المدة الطويلة الكافية لظهور تأثيره ولاستكمال تلك الابحاث توجهت جملة مرات وأقمت بتلك المدرسة لفحص ومشاهدة كيفية تأثير الترتيبات المدرسية ولنذكر هنا باختصار نتائج تلك

التحقيقات الجديدة الدقيقة وآمل ان أفي بالغرض المطلوب .

فاول كل شيء ان المعلم هناك صنف واحد لا صنفان كما هنا ضابط ومعلم وليس هو كالمعلمين هنا ويلزم ان نعدد كل الوظائف التي يؤديها لنعرف مركزه فهو بعكس معلمي فرنسا يقيم بالمدرسة تماماً قياماً ونوماً يأكل مع التلامذة في قاعة الاكل العمومية (يمكخانه) التي يجتمع فيها كل عشرة تلامذة على مائدة يرأسهم معلم اومعلمة لان كل معلم له زوجة فهذه تؤدي بالمدرسة اما وظيفة تعليم كالموسيقى او الرسم الخ واما وظيفة في ادارة الخدامات ولا يقتصر الامر على سكنى المعلم بالمدرسة بل هو يلازم التلامذة من الصباح الى المساء لا ليراقبهم ولكن ليربيهم وهو يشاركهم في اعمالهم من درس ورياضة والعاب وسباحة الى غير ذلك ويلزم ان تكون كفاءته في العاب كرة القدم وكرة العصا والسباحة معادلة لكفاءته في العلوم وهو ايضاً يلبس كملابس التلامذة التي تساعد على الحركة وهي القميص (الفانيلا) والسترة والصديري والبنطلون القصير وفي اوقات اللعب السترة (الفانيلا) والبنطلون النسيج وهي ملابس تساعد على تحريك الاعضاء بكل راحة وحرية .



التلامذة يعملون فى بستان الخضرة

وارتباط المعلمين بتلامذتهم بهذه الكيفية يجعل علاقاتهم كعلاقات الآباء بابنائهم حينما يشاركونهم فى العابهم وحياتهم فى كل الايام وبهذه الواسطة تزول الوحشة من قلب التلميذ الذى ليس له وسيلة سوى الركون لجمعية التلامذة الذين يهملهم معلموهم مثله ولا يكون وراء اجتماعهم فى

الغالب سوى فساد الاخلاق .

وكذا يزداد ارتباط التلامذة بعلميهم وتزداد بينهما العلاقة الشخصية من طرق التعليم المدرسى فقد سبق انا قلنا ان المعلم بفرنسا يصعد على منبره ويلقى درسه بصفة عمومية وعلى التلميذ ان يعتمد على نفسه فى فهم درسه ومذاكرته وتأدية واجباته اما بانجلترا فالامر بالعكس حيث لا يوجد وقت للمذاكرة المخصوصة لان اغلب العمل يتم فى المكتب فى وقت الدرس باشتراك المعلم ففى الحصة يبتدئ المعلم بسؤال التلامذة ومناقشتهم فى الدرس السابق ثم يشرح لهم درس يومه علمياً كان او ادبياً ثم يناقشهم فيه ليتأكد من فهمهم اياه ثم يكتب كل تلميذ مذكرة مختصرة عن موضوع الدرس وكل ذلك يتم فى نفس الحصة تحت رعاية المعلم الذى يخترق الصفوف مجيباً كلاً منهم على سؤاله مفسراً لكل منهم ما يتعسر عليه فهمه مصححاً لكل منهم خطأه منشطاً المجتهد وموبخاً الكسلان ويساعد على نجاح هذا الترتيب قلة التلامذة الذين لا يزيدون فى الفصل عن عشرة او خمسة عشر تلميذاً فى المتوسط .

هكذا يقضي الدرس والمعلم فى ارتباط شخصى مع كل تلميذ على حدته وهذه هي الطريقة الفعالة فى التربية لاحتكاك افكار المعلمين بافكار التلامذة احتكاكاً ينقل المعارف من الاولى للثانية كما يقول المسيو (مونتن) وكذلك تستفيد التلامذة وتتعلم حقيقة باشتراكهم ذاتياً فى اعمال المعمل مع المعلم وتحت ادارته لا بواسطة السمع البسيط وهم فى مجالسهم وبهذه الاسباب يمكننا ان نقول ان التلامذة انما توجد عند المسيو (ج . ب .

دوماس) لا فى مدارس سوربون وقد شاهدت بنفسى سابقاً نجاح هذه الطريقة فى مدرسة القسم العالى فى سوربون تحت نظارة المسيو جبرائيل مونود ولست اعرف من المدارس الثانوية سوى اثنتين على هذا الشكل ومع كل فان نتائج هذا النظام ناجحة نجاحاً عظيماً خصوصاً اذا قارناها بما فى مدارسنا .

اما بحسب طريقتنا فاغلب التلامذة لا يسمعون من الدرس شيئاً لطول الفصل ولان المعلمين لا يحضونهم على عمل واجباتهم مباشرة فى حضورهم فهم يتكلون على التفاسير التى يجدونها فى كتبهم او على مذكرة بعض اقرانهم او على الصدفة او على لا شىء بالمرة وهى حالة معظمهم وفى اوقات المذاكرة الطويلة يرى التلميذ نفسه حراً فيتلاهى ويضيع فى تأدية واجبه اضعاف الوقت اللازم فاذا وجد ادنى صعوبة وقف وحيث لا يجد احداً يساعده على حلها وانارتها له تفتر عزيمته عن اتمام واجبه ويتمه كيفما اتفق هذا اذا لم يصرف وقته فى مطالعة الروايات او فى تربية الفيران او عمل الشوكولاته فى درجه وبالجملة فان التلامذة يعانون شقاء كبيراً سواء فى الدرس او فى المذاكرة واغلبهم لا يحسن عمله وبمجرد وقوع التلميذ مرة فى الاخلال بالواجب لاستيلاء الضجر عليه يصير ذلك من لوازمه وطباعه .

اما المذاكرة فى اوقات الدرس فنتائجها عكس ذلك فان الولد يجد من معلمه دائماً استمالة ومساعدة وتشجيعاً واستنهاضاً ويصل فى اقل وقت لاتمام اعظم عمل مفيد وهو نظام مألوف كالالعاب والتلميذ الانجليزى

يجهل بالمرة ما نسميه بالمذاكرة اعنى تلك الحصة التى يسود فيها السكون والسكوت التى يقعد التلميذ فيها صامتاً تحت مراقبة استاذ صامت لحفظ الاشعار والنثر بقلبه بل هو يعرف انه يجب عليه الحضور امام المعلم ودرسه محفوظ وواجبه تام وهو حر فى انتخاب المكان والزمان لتأدية ذلك فاذا اراد ان يحفظ قصيدته او يطالع درسه فى الهندسة وهو مضطجع على الحشائش او على الاشجار فلا راد له هو مالك لوقته كما يملك نقوده يتصرف فيه كيف يشاء وهو المسؤل عن هذا الكنز اما الحكم فعند النتيجة .

والفرق بين هاتين الطريقتين يظهر نتائجه خارج المدرسة وينسحب مفعولها على باقى الحياة فان التلميذ بحسب ما يكون ملولاً او نشيطاً فى واجباته يكون كذلك بعد فى وظائفه وهو لا يشعر بضرر التهاون والخمول وتأخير الاعمال كباقى الموظفين والكتبة حيث هم لا يصرفون من ماليتهم بل الضرر عائد على مالية الحكومة اما حالة الزراع والتجار والصناع فبعكس ذلك فهم يسارعون فى بت آرائهم لان التهاون يعود عليهم بالخيبة والخسران ومن الامثال المأثورة ما قيل « لا تؤخر عمل يومك لغدك » فاذا وجدت تجارنا وصناعنا دائماً متقهقرين عن غيرهم فى الاسواق الاجنبية فذلك من نظام المدارس الذى وصفناه .

بخ بخ ! سيقول ذلك بعضهم ساخراً . ان هذه النزهة المدرسية تخفف على الاقل الاتعاب العظيمة التى تلومون مدارسنا عليها . ولكن يا للاسف ليس لتلك النزهة تلك الفائدة هـذه النزهة نزهة التقاعد والانحصار بين اربعة اسوار فى هواء غالباً حار مختلط بالابخرة المضرة

بالصحة فى سآمة عمل يزداد ثقلاً كلما ازداد سوء تأديتـه لا تعود بأدنى فائدة على القوى الجسمية . هـذه أتعاب حمق وحمول لا فائدة فيها ولا موجب بعد ذلك للاندهاش . بالعكس فالذى يزيل التعب هو الطريقة الاخرى التى بتعويدها التلميذ على ان يعمل فى ساعة ما نعمله نحن فى ساعتين فيتوفر عليه نصف وقته يصرفه كيف شاء فى اشغاله الخصوصية أو ألعابه الرياضية وسيزداد ذلك وضوحاً من الباب الذى سنتكلم فيه عن بروجرام المدرسة الجديدة .

ولنذكر حالة اخرى مميزة تنير لك الفرق بين هذا المعلم ومعلمنا .

فمعلمنا غالباً يكون متفرغاً لعلم مخصوص (Spécialiste) فاشتغاله دائما منحصر من المدرسة وخصوصاً بعد شهادة الاستاذية أو بعد الشهادة العالية اما فى الآداب واما فى العلوم فضلاً عن كونه يختار من هذه او تلك فرعاً واحداً يتقنه وبما ان اغلب هذه الفروع مستقل فى ذاته ولم يتفق لأحد ان يوفق بينها ويربطها ببعضها بطرق سهلة فلا يكون للمشتغل بفرع منها سبيل للدخول فى باقيها التى يعامل المشتغلين بها بازدراء كما كان الرومانيون يعاملون الامم الهمجية ومن هنا وجب الاكثار من المعلمين بالمدارس بقدر عدد الفروع العقلية وهى ضرورة تستوجب زيادة اتساع المدارس حتى يكون بها جيش من التلامذة وبهذه المصائب المتراكمة اضطررنا لتشكيل المدارس بدون مراعاة لمصالح التلامذة بل على عكس تلك المصالح اذن فللمعلم المتفرغ لفن واحد عيبان .

الأول — انه يتحمل مشقة عظيمة فى تعليم التلامذة وغالباً يضنّ

بتلك الاتعاب ولزيادة ميله وشدة تعوده على التعليم العالى الذى تخرج هو منه يميل الى استعمال النظريات العالية ويصعب عليه جداً التدريس الابتدائى والتجهيزى وقد دلت التجارب على ان العلماء المتفقهين لا يكونون دائماً احسن المعلمين .

فانا احد المشتغلين بفن العلم الاجتماعى من مدة عشرين سنة فانى اتعب كثيراً فى شرح المسائل الجغرافية والتاريخ الاجتماعى مثلاً للتلامذة الصغار بخلاف ما اذا كنت ادرسُ فى مجتمعات الشبان طالبي العلوم فى المدارس الكبرى فانى اوفى لهم ابحاثى العظيمة بسهولة وارى بين الشبان الذين يتلقون علىّ تلك العلوم من هو اكثر منى قدرة على تفهيم الصبيان لانه لا يدخل فى الاشكالات والتفاصيل التى انا ميال بالطبع للبحث فيها وانى اتمثل بشخصى لانى تحققت الامر ذاتياً ولكى لا يرمينى البعض بانى متعصب ضد الاشتغال بفن واحد (ولو انى لن اخاص من ذلك) فان الغرض هو تقرير الحقائق .

ثانياً — ليس للمعلم المتفرع لفرع واحد نفوذ ولا تأثير على التلميذ لان سلطانه محدود على نقطة بسيطة من ذكائه حيث ان تعليمه منحصر فى جزء ضيق من معلوماته وبذلك يزداد اتساع الهاوية التى اوجدها نظام المدارس عندنا بين التلميذ والمعلم وربما قيل ان التفرغ لفرع واحد يوسع معلومات المعلم ويزيد المامه بالمواد الى يشتغل بها ويكون عالماً حقيقياً ولكن هذه حالة نادرة فان جماعة حائزى الشهادات العالية او شهادات الاستاذية لا يقال انهم متفرغون لفن لانهم لا يعرفون ولا يتوسعون فى مواد معينة

للتفقه فيها بل هم يلمون ويتوسعون توسعاً سريعاً سطحياً فى مواد معينة كي ينالوا الشهادة ويجوزوا الامتحان ويأمنوا السقوط وهم يعتمدون فى ذلك على مذكرات مختصرة كما يحصل فى الشهادة الثانوية فهو تفرغ فاسد وهم فى نظر التعليم الثانوى حائزون على عيوب المتفرغين دون مزاياهم وبهذه الصفة هم معلمون ومربون احط بكثير من معلمى المدارس الابتدائية لأن هؤلاء أكثر تنوراً فى اغلب فروع العلم واقل ادعاء مما لا ضرر فيه وقد قرر المسيو چول لمتيران حائز الشهادة الثانوية من «غرائب اللاشيء» كما تقدم فما بالك وهذه الشهادات العالية مبينة على هذا اللاشيء اذ ليست هى الامتداد هذا التعليم الثانوى فهى بناء على لا اساس .

ولكن الوسط المدرسى الانجليزى يخرج معلمين اكثر كفاءة لمجموع التعليم والتربية بما حواه من طرق التهيئة المخالفة لهذه فهو يسمح بوقت كاف لتعليم التمرينات البدنيـة والالعاب وهو يزيد الذوق والاحساس لان المدارس الانجليزية تجهل بالمرة الرياضات الثقيلة التى تنحصر فى الفسحة بالطرق على الاقدام بهيئة طابور كل اثنـين خلف اثنين او ثلاثة خلف ثلاثة ولا تعرف الرياضة الحمقاء بين اربعة اسواد حيث يجتمع التـلامذة فئات ليتحادثوا كالشيوخ الصغار وبذلك يطول شباب الاساتذة الانكليز جسماً وعقلا ويكونون اقدر على معرفة تكييف شباب التلامذة فى جميع تمريناتهم الجسمية .

وفى النهاية فان فتح ابواب مدارس انجلترا للتلامذة وعـدم الحجر عليهم يعلمهم الحرية ويميل بهـم الى الاحوال المألوفة وتجد الانجليز أكثر

منا ائتناساً بالحيوانات والنباتات والارض وبكل الظواهر الطبيعية واغلبهم يجمع الحشرات او النباتات او الاحجار ويعتنون بها ويرتبونها ترتيباً حسناً بحسب درجاتها الطبيعية وهم يكتسبون من مبدأ اعمارهم معلومات علمية وعملية على حياة العوالم والزراعة والعلوم الطبيعية والكيماوية وبالاجمال هم اكثر منا تفنناً في المعارف (كما سأبينه) وبذلك هم اكثر كفاءة لتعليم اشياء كثيرة وبالجملة فانك اذا بحثت فى نظام المدارس الانجليزية لوجدت من المعلمين رجالاً كاملين اعنى رجالاً حائزين لمعلومات ادبيـة وعلمية مختلفة فضلا عن كفاءتهم العملية العالية ومهارة ايديـهـم ونشاطهم ولين عريكتهم وقوة اجسامهم والمعلم يجب ان يكون كفواً لقيادة التلميذ فى تلك المظاهر المختلفة ويجب ان لا يقتصر فى التعليم على خطة الكلام بل يضرب الامثال يؤثر بها على افهام التلامذة فهذا المعلم اكثر من معلمنا شبها باب حسن التربية واسع العلم لين العريكة فبالاولى يمكن ان يكشف لاولاده اسرار المعارف وبالثانية يشاركهم فى العابهم ويظهر لهم فى درجة ارقى منهم فيها وهذا النظام طبيعى وهو بذلك حقيقي فقال اما نظامنا فتصنعى لانه تقاليد مدرسية اقل تناسباً مع الحياة . وليس الغرض تعليم الاولاد ما فى الكتب بل الواجب تعليمهم فوق ذلك ما فى الحياة وماهية الحياة

فرجل من فحول ذوى العقول او المشتغلين بالفروع على نوعيهم (الحقيقي والادعائى) او محنك من الشيوخ لا يكون مربياً حسناً لانه هو نفسه ناقص وغير كفؤ لتكوين رجال كاملين وهو محصول معامل لا محصول حياة كأنه ثمر من الثمار التى توضع فى القباب البللور للحرارة وحولها اربعة

حيطان لا من ثمار الهواء الخالص المطلق الذي يقوم بين العالم الحي فعقله منحصر في شيء واحد يرجع اليه في كل شيء لا يمكنه ان يتعداه .

وانما اقلب تلك الاوجه والح في هذه البيانات لاني قاسيت من التعب ما لا مزيد عليه في كشف حقائق النظام الجديد بما اني من ابناء القديم وحاولت ازالة هذه الصعوبات وكشف معمياتها للقرآء ولكني لم اكن تمكنت في وقت نشر كتابي سر تقدم الانكليز من التعمق في تلك الحقائق وبعد ذلك لما كنت اتناقش مع ولدي في هذا الموضوع لاني كنت أشعر بوجود خبايا تستحق الاكتشاف لم احصل منه الا على معلومات مبهمة جداً لم أقف على حقيقتها الا في سياحتي الاخيرة بانجلترا وقد استعنت من جهة أخرى بورقة رسمية كانت معي أرى من المفيد ذكرها هنا وأعني بها مذكرة بعضها مطبوع والباقي مكتوب باليد كان ارسلها لي سابقاً ناظر احدى المدارس الانجليزية يرجوني ان ابحث له عن معلم فرنساوي يكون حائزاً للشروط التي تضمنتها تلك المذكرة وهذه ترجمتها تماماً .

« طالب معلم لوظيفة خالية »

مطلوب معلم فرنساوي ليسكن دائماً بالمدرسة عمره من خمسة وعشرين الى ثلاثين سنة وسكناه ونظافته واكله الخ على المدرسة .

ويجب ان تتوفر في كل طالب الشروط الآتية :

(١) من الحيثية الادبية — يكون مسيحياً مهذباً شغالاً دقيقاً .

« والمقصود بمسيحي انه يمثل في اعماله واقواله وافكاره الحقائق

الادبية المنقولة عن سيدنا المسيح وحكماء العالم .

« والمقصود بالمهذب ان يكون ذا أميال عالية فى الحياة حسن السير يحافظ على كرامته مستحقاً لاعجاب الرجال ثابت الجاش يحافظ على الحق والصدق ما استطاع جديراً باخلاص اخوانه قنوعاً بحظه .

(٢) من الحيثية العقلية — ان يكون ذا علم تام بالفروع التى يطلب منه تدريسها .

(٣) من الحيثية الجسمية — يجب ان يكون ذا قيافة حسنة وصحة طيبة نشيطاً قوياً سليم النظر والسمع والصوت الخ .

(٤) من حيثية التعليم — يجب ان يكون اختبر حالة الحياة العمومية فى مدرسة او كلية .

والمترشحون الذين لا يريدون ان يكون شغلهم الشاغل لحياتهم هو التعليم والذين لا يريدون ان يتخذوا النظام والاساليب عادة ومنهاجاً ويخلصون بقلبهم للتربية والمدرسة لا يتقدمون لهذه الوظيفة .

« المواضيع المطلوب تدريسها »

مواضيع الزامية : (١) الفرنساوية : اللغة المتـداولة المكتوبة مع الاوقاف المناسبة ومعرفة المخارج الصوتية والنطق وجغرافية وتاريخ وبلاغة فرنسا ومعرفة فرنسا نفسها عملياً .

(٢) علوم الرياضـة والحساب باكمله والجبر الابتـدائى والهندسة العملية والنظرية وحساب المثلثات الابتدائى وعلوم الطبيعة عملياً ونظرياً والمساحة العملية وقواعد الرسم الابتدائى الكافى للمواضيع السابقة .

مواضيع اختيارية — (١) اللاتيني الابتدائي .

(٢) الجغرافية والتاريخ الانجليزي .

مواضيع مفيدة — الغناء .

(١) الكفاءة للعب كرة السباق .

(٣) الستينوغرافية (الكتابة السريعة) .

أما المرتب المربوط فهو اكثر مما يناله أحد معلمي الكليات الاعتيادية بفرنسا . »

ويتضح من تلك المذكرة مقدار ما هو مطلوب من الكفاءة والفضائل الادبية والجسمانية والعقلية وهي لا تتعدى ما يجب ان يتوفر في رجل نبيه مهذب كي يربي الصبيان والا فان تربيته تكون ناقصة جداً ومن البديهي انه يجب ان يكون الانسان مستعداً بتربيته الاصلية ليمكنه ان يشارك التلاميذ في حياتهم ويختلط معهم في العابهم وقد قال لي يوماً احد المعلمين الانجليز «كأني لا اشيخ وكأني سأبقى تلميذاً امداً طويلاً لاني مستمر دائماً في حياة تلمذية » واني اخشى ان لا يفهم كثير من معلمينا الفرنساويين تلك الاقوال البديعة ولا يعرفون قدر تلك الاحساسات الطاهرة وربما كان ذلك ناشئاً من انهم يحبون المركز الذي توجدهم فيه وظائفهم اكثر من حبهم تلك الوظائف نفسها .

ليس كل ما يطلب من المعلم هو تحضير التلاميذ للامتحان بل يجب عليه ان يحب التلميذ وان يكون شديد الحرص على تربيته وبالطبع لا يوجد هذا الاحساس عند المعلمين الذين يقضون حياتهم في سعي واسترحام

للانتقال من مدرسة لاخرى وهكذا بأمل الاقتراب شيئاً فشيئاً من باريس ولكن المعلمون الحقيقيون يفهمونني وسيرون في هذا النظام المدرسي تبجيلاً لوظائفهم وهذه المدرسة لا ترقى التلميذ فقط بل المعلم ايضاً لانه لا يعتبر فيها معلماً بسيطاً او ضابطاً تعيساً بل مربياً حقيقياً .

ولقد رأيت (فى الاتحاد للعمل الادبى) للمسيو جول دى جاردين شهادة رجل من المعدودين فى الكفاءة والدراية والنزاهة المسيو دى هانل الفرنساوى الحائز لشهادة الاستاذية وموظف الآن معلماً بمدرسة هارو وله بها عشر سنوات حيث قال «الفرنساويون يهيئون ادباء ولكن الانجليز يهيئون رجالاً وانه ليخال للانسان ان خاتم ملك الفلاح فى خنصر الشاب الانجليزى هذا الشاب قوى العضلات صحيح الجسم والعقل الذى اذا اندفع فى فيافى الحياة جابها بكل حرية وعزيمة وثبات من غير غطرسة ولا استكانة هكذا يتم كيان الصبى هناك كما يكون انحلال كيانه هنا » فعبارة المسيو دى هانل البليغة تعزز الحكم الذى ابنيناه على المدرسة الجديدة ثم قال « لما عين المسيو ج . ا . س والدن ناظراً لمدرسة هاروّ بقرب لندرة وهى اهم مدارس انجلترا بعد مدرسة ايتون كان عمره سبعة وعشرين سنة (وهو امر يستوجب الاستغراب) وكنت اكثرت من الالحاح عليه جملة سنوات بان يعين معلماً يساعدنى فى تعليم اللغة الفرنساوية بالمدرسة فقبل طلبى ورجانى ان اوصى له على معلم فاحضرت له معلماً من متخرجى الكلية حائزاً لشهادة الاستاذية فى الانجليزية وله المام واسع بالالمانية وقضى فى انجلترا سنتين تحت التجربة وتحصل بكفاءته على جملة شهادات عظيمة ووصايا عالية

فأخذ صاحبي يعرض على الناظر ملف شهاداته فقاطعه بصوت باش ماؤه حكمة ورزانة بقوله له « انى لا اريد شهادات بل اريد رجلاً » وهذه الكلمة هى طلسم تقدم الانجليز السكسون فليتذكر الذاكرون .

وقد قلت ان هذه المدارس تمثل لنا الحياة الحقيقية فى بهجتها وكمالها ومما يزيد فى تحقيق هذه الصفة المميزة لها وجود معلمة اوجملة معلمات فيها لان فكرة تربية الصبيان بعيداً عن عائلتهم وعناياتها بهم فكرة خارقة لان وجود المرأة يعود التلميذ على انتظام قيافته وتوجد بسبب وجودها بالمدرسة عادات اجتماعية مألوفة مأنوسة تزول بها الوحشة فلا تكون المدرسة كالثكنات ومن جهة اخرى يصير نوع الانثى مألوف للتلامذة فلا يندفعون لاستكشافه عند خروجهم من المدرسة .

وليست التمرينات الجسمية والحياة فى الهواء المطلق بأقل من ذلك فى تأثيرها الجوهرى ادبياً ومادياً على التلميذ وقد شغل ذلك افكار مربّى الشبيبة وهو جدير بذلك . وقد اعتدنا نحن الفرنساويين على ان نخفف الصعوبات بالنصائح الادبية والدينية التى اضعفت فعلها حياة الخمول التى انغمر فيها التلميذ ومن جهة اخرى فاننا اذا تمثلنا الضرر فى كل فكر وتوقعناه فى كل عمل فذاك هو الضرر (لان الضرر يأتى من كثرة الاشتغال به) واحسن مساعد على حفظ النصائح الادبية هو الحياة العملية التي تدفع الانسان بتيار قوي فاننا اذا اتعبنا قواه فى الاعمال الصالحة نهاراً نام نوماً عميقاً بالليل وبذلك لا يجد الوقت الذى يأتى فيه ضاراً اذن فللاعمال اليدوية والالعاب التى تسمح بتحريك جميع الاعضاء كلعب الكرة

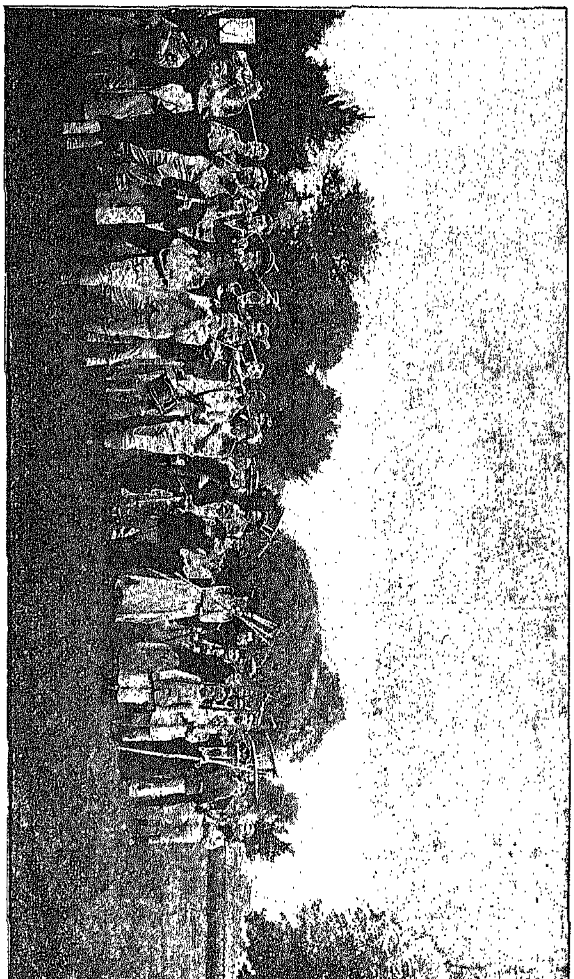
كل يوم صيفاً وشتاء والاستحمام بالماء البارد كل يوم صيفاً وبالساخن غالباً شتاء نتائج مهذبة افعل من احسن النصائح التى تدخل من أذن وتخرج من اخرى وليس من العسير على احد ان يرقى منبر النصح ويرفع صوته بالارشاد بل العسير هو تربية الناس على النمط الذى يهون به عليهم الاخذ بذلك النصح وهذه نهاية علم التربية .

هكذا يكون من السهل على المعلمين ان يؤدوا وظائفهم وهناك طريقة اخرى تزيد هذه السهولة وقفت عليها من محادثتى مع بعض المعلمين والتلامذة الكبار بانجلترا قال لى مرة ناظر مدرسة بدالس : « اننا نستعين كثيراً بالتلامذة الكبار الذين بدون مساعدتهم يعسر علينا جداً تأدية واجب التهذيب ان لم اقل يستحيل » ثم شرح ذلك بقوله انه فى كل مساء تقريباً يطلب فى مكتبه الخصوصى احد هؤلاء التلامذة شخصياً ويجتهد فى تفهيمه ان للتلامذة الكبار تأثيراً على سير المدرسة وتقدمها اكبر من سلطانه هو نفسه وان عليهم جل اعتماده فى حفظ نظام المدرسة وحركاتها .

وفى الحقيقة ان كل خدمة بالمدرسة معين لملاحظتها احد هؤلاء التلامذة الكبار فمنهم من هو مكلف بملاحظة التلامذة فى الحجر وتدبير شؤونهم وحفظ نظامهم وكل غرفة بها ستة او عشرة تلامذة ومنهم من هو مكلف بتعهد كتبخانات المكاتب وتسليم الكتب للمعلمين اوالتلامذة بوصولات وكل مكتب به مكتبة فهذا هو أمينها ومنهم من هو مكلف بتعهد مهمات لعب كرة القدم وكرة العصا اوآلات النجارة الدقيقة او

زراعة الحدائق الى غير ذلك هو مسئول عن صيانتها ومنهم من هو مكلف بحفظ مجموعات النباتات او الحيوانات او المعادن الخ وفى كل الاحوال يجب على التلميذ الصغير ان يطيع الاكبر منه الا اذا كان هو مشهوراً بظلم اخوانه او سوء اخلاقه وعند ذلك ينعكس الامر ويوضع هو تحت ملاحظة آخر اصغر منه وأظن ان هذا من اشد الجزاآت المهينة وبهذه الصفة تكون امور المدرسة موكولة للتلامذة وهى شغلهم الشاغل وهم المسئولون عن نظاماتها وترتيباتها وبهذه الثقة وهذا الاحترام اللذين يعيرهما لهم اساتذتهم تكبر ثقتهم بانفسهم ويزداد احترامهم لها ولست إخال طريقة احكم من هذه توصل لتكوين الرجال ولبلوغ هذه الغاية اتخذت هذه التدابير التى جعلت التلميذ تحت نفوذ المعلم مباشرة وبصفة مستمرة ولبلوغ هذه الغاية كان وضع التلميذ الصغير تحت سلطة الاكبر بفضل الثقة والسلطة التى خولها له اساتذته فينشأ فى القلوب حب الارتقاء بسرعة ومن احسن مبادئ التربية عندهم انهم يغرسون باعتقاد التلميذ ان أي عمل او أية مهنة يخالها الانسان على غاية من الضعة يمكن الرجل ان يزاولها وهو على غاية من الشرف وان الانسان ليست قيمته فى مهنته بل هي فى ذاته . وسأذكر لذلك مثلاً واحداً اراه برهاناً قاطعاً على ذلك :

فى مدرسة بدالس تعمل التلامذة بانفسهم ما يسمى عندنا بسخرة الجنود (كتصليح الطرق وغيره) ولم يقتصر الامر على ذلك بل لاظهار زيادة الاستهانة بهذا العمل الوضيع فرض ناظر المدرسة على نفسه ان يشارك فيه التلامذة يداً بيد .



التلامذة يحتفلون بنقل آخر عربة من المحصول

واظن انكم ستضحكون من هذا وتسخرون كعادتكم ايها الفرنساويون أما أنا فاني اشعر شعوراً لا يمكن الاعراب عنه بان في ذلك غاية التربية الصحيحة الحقة . ومما يزيد في تأثير ذلك ان هذا الناظر اصله تلميذ من نبلاء مدرسة روجبي وأحد طلبة مدرسة كلية كامبردج وعنده

الانجليزية وهي مؤلفة من ام واختها وبنت تبلغ من العمر عشرين سنة فزرتها وكان معي قرينتي وولدي واستغرقنا ساعتين وزيادة في تلك الزيارة جالسين في بهو الاستقبال بدون حركة ما وكنت اظن ولدي قد ضايقه الجلوس الطويل الذي لا يطيقه صبي فاذا به عند خروجنا يقول لي انه يميل كثيراً للتردد غالباً على هذا المنزل لانه سر من وجوده به فاخذني العجب والدهشة وقلت له كيف سررت ياولدي ومن اى شيء احببت التردد على هذا المنزل فتردد هنيهة لانه غير كفؤ للاعراب عن احساساته ثم اجابني بهذه العبارة (لانهم حادثوني كثيراً) فاخذت انا اذن اتصور وقائع جلستنا حتى وقفت اخيراً على سر سروره اذ تذكرت ان السيدات صاحبات المنزل لم يهملنه برهة بل كن يجلسن بجانبه الواحدة بعد الاخرى لتحيته ومؤانسته كما كن يعاملننا تماماً وكن يحادثنه كما تحادثن مع رجل عظيم ولما جيء بالشاى قدم له منه بالطريقة التي قدم لنا بها فاضطر الغلام ان يتلقى هذه المعاملة بمظاهر الرجال والكمال والوقار وكان يتمثل في كل حركاته رجلا صغيراً ولا تعترض عليّ ولا تقل ان الامر سهل واننا هكذا نعامل ابناءنا كلا فان بين الحالين بوناً شاسعاً وان الامر اكبر مما يتصور فانا لو وجد معنا غلام في غرفة فاما ان نلاعبه ونداعبه كالاطفال واما نتركه كالمكتوف حتى يتثاءب على مقعده ان حرك رجلاً قلنا له اعتدل واجلس ساكناً لا تحرك رجلك ويدك او ننظر له شذراً واذا انتهت جلستنا بكتناه وقلنا له ياسلام انت لا تطاق وقد غاب عن هؤلاء الآباء التعساء ان الذي لا يطاق هو هذه المعاملة الجافية الفاسدة المفسدة للتربية اذ يضطر الغلام لدفع هذه المعاملة الغير طبيعية

وهو أحسن ما يمكنه ان يعمل .

ها قد ابنّا الآن بهذا المثل البسيط الفرق بين هاتين الطريقتين المتضادتين فتصور الآن تلميذين يعامل كل منهما بطريقة منها فى كل وقت من حياته بين عائلته وفى المدرسة فلا شك انك ترى تفاوتاً وتناقضاً بين طريقى التربية ينبنى عليهما تفاوت الغلامين .

فالطريقة الاولى تؤدى بسرعة لتكوين الرجال (كما رأيت تأثيرها فى ولدي بعد ساعتين) والثانية تطيل زمان الصبيانية وتترك اثرها ثابتاً طول الحياة اما وجه الصعوبة التى تعترضنا فى اتخاذ هذه الخطة لتربية ابنائنا فهو اننا لم نعتد عليها فنميل بطبعنا لتربية ابنائنا كما تربينا ويشتد تمسكنا بهذا الميل لسهولة طريقة تربيتنا لان أقرب طرق التأثير على الصبيان هو السلطة لانها طريقة اختصار عظيمة وليس حاجة للتفسير : فضربة من السلطة الابوية أو المدرسية يطأطىء لها الغلام رأسه او يتظاهر بانه طأطأها فيدخل كل شىء تحت النظام أو يظهر عليه الانتظام . . . كما فى ڤرسوڤى [1] .

---

(١) ڤرسوڤي هي مدينة شهيرة فى الروسيا ولها مدرسة كلية بها ألف تلميذ وخمسة وسبعون معلماً يعلمون فيها بلغة واحدة (الروسية) فهذه المدرسة جمعت عيبين بحسب رأى المؤلف الاول كثرة المعلمين والتلامذة

الثانى التعليم بلغة واحدة وفى الحقيقة ان الامر الاخير من اسباب تأخر التجارة والصناعة لانا لو فرضنا ان محلا تجارياً روسياً أراد المعاملة مع مصر فاما ان يكون له وكيل روسى بمصر وهذا غير ممكن اذا لم يعرف لغة البلد او يكون له بمصر عميل مصرى وحينئذ يجب ان يكون عنده مترجم مصرى وهي حالة تستوجب استعمار

وأنا نفسى واقع مع اولادى فى هذا الامر الذى انتقده واندد عليه وفى هذا دليل على ان النظرية صعبة التنفيذ وانه يلزم للتأثير هكذا على الصبيان التأثير أولاً على المربين وان نعدل طرق التربية عندنا وبالجملة فليس فى الجنس الفرنساوى ما يمنع من تكوين رجال ذوى اقدام . والنوع البشري واحد ولا سبب لاختلاف الامم الا اختلاف شروط الاجتماع التى اتخذتها كل أمة والاجناس تترقى بحسب هذه الشروط ولا مانع للتحول وانما يجب ان نسعى فى التقدم نحوه سعياً حسناً ولذلك يجب ان نتخذ احسن اساليب التربية الانجليزية التى هى انسب الطرق واضمنها للنجاح وكلما كثرت الموانع وجب ان نزداد جداً وثباتاً .

ولست قائلاً بقلب نظام التعليم بفرنسا او اصلاح كل نشأتها او اكثرها مرة واحدة (ففى فرنسا لا نقدم على حركة الا اذا شاركنا فيها العالم باسره لاننا نخشى كل عمل شخصى منفرد واذا شئنا ان نشرع فى شىء كيفما كان لم نقل هل هو حقيقة طيب بل نقول هل اقر عليه كل الناس) وانما المقصود ان نسلك الطريقة المثلى ببعض الآباء ذوى البصيرة والادراك ورب معترض يقول ان سير الاصلاح بهذه الصفة يكون بطيئاً جداً فنقول له ان الامر بالعكس وان الاصلاح يكون اسرع مما اذا دمنا على الصياح كأننا ننشد ونقول هيا بنا نسير هيا بنا نسير ونحن جالسون ولست ادرى ما هى حاجتنا لسير غيرنا حتى نسير فلنبدأ نحن بالسير فاذا رآنا الغير سرنا

الاجانب لبلادهم بدلاً من استعمارهم بلاد الاجانب وهو مخالف لمبادئ الاقتصاد والاستعمار .

وبانت له نتيجة السير نهض ليلحقنا ويتوالى اللاحقون مندفعين مجبورين لان المثل اكثر الامور تأثيراً هكذا تكون التقلبات الاجتماعية وتسير بغاية السرعة وتزداد سرعتها على طريق المتوالية الهندسية فواحد يؤثر على اثنين واثنان يؤثران على اربعة واربعة تؤثر على ثمانية وهكذا الى ما لا نهاية بينما الذين ينشدون هيا بنا نسير كما سبقت الاشارة لا يؤثرون فى احد بل لا يؤثرون فى انفسهم وينتهى بهم الامر لان يناموا نوماً عميقاً على نغمات نشيدهم المتكرر .

ومن اكبر عوائق التربيـة واصلاحها شفقة الامهات الفرنساويات على اولادهن شفقة زائدة فهن يحببن اولادهن — اولادهن النادرين — ولكنهن يحببنهم لانفسهن لا لانفسهم فالمرأة الفرنساوية تربت كتربيتنا وهى تشاركنا فى اوهامنا ولقصر ادراكها وقصور عقلها يكون تصورها للحادث اقل بكثير من تصور الرجل وهى بذلك ابعد عن الاصلاح واقل صلاحية له ولقد يسهل اقناع عشرة رجال قبل اقناع امرأة واحدة ولكن لايحسن ان تقعد بنا هذه العلة عن العمل فان الآباء اذا ساروا فيه اتبعتهم الامهات وانى اقول ذلك عن خبرة فانى ارى حولى كثيراً من السيدات تغيرت افكارهن كثيراً على التربيـة ويمكن ان اقول اننا المسؤلون عن جهل المرأة هكذا : اذ فى الوقت الذى كان يجب ان نعاملها بالجد والكمال كالرجال كنا نغمرها باللعبات والملاهي كالاطفال والمبتدعات (المودة) وزينات الرفوف تلك الامور التافهة قليلة المزية والطعم وبذلك وسعنا الخرق بين الرجل والمرأة واضعنا الاثنين . ولتغيير ذلك يلزمنا مـدة وقبل كل

شيء يلزمنا اصلاح التربية بحيث يجمع ذلك الاصلاح بين الشبيبتين الذكر والانثى اذ ليس بكاف ان نكون رجالاً نشيطين فقط بل يجب ايضاً ان نكون نسوة نشيطات لان النوعين متضامنان ويلزم ان يتعاضدا على الحياة .

والمرأة الفرنساوية فى الواقع حجر عثرة فى سبيل التقدم باوهامها المضحكة واميالها الكاذبة للوظائف العسكرية والادارية وكرهها للحياة الريفية والمهن والصناعة والتجارة اما بالنسبة للاستعمار فنفورها منه فوق التصور مع ان المرأة الانجليزية تسابق الرجل عليه . وحيث وصلنا الى هذه الغاية فلنترك للقارئ استنتاج الفروق الاساسية بين النظامين القديم والحديث للمدارس والمعلمين ولهذين بروجرامان متباينان يهمنا ان نأتى بهما مقترنين ونقابل بينهما ونحكم لايهما بالافضلية .

الباب الرابع

بروجرام الدراسة فى المدارس الحاضرة

ارجو القارئ ان يتكرم فيضع امامه لوحتى مواد التعليم الاسبوعيتين الموضوعتين فى مقدمة هذا الباب وان يرجع اليهما دائماً اثناء تلاوته ما سنعرضه عليه هنا .

فاللوحة الاولى منهما الموضوعة على اليمين تمثل لنا البروجرام الحالى بحسب الاوامر الرسمية والثانية تمثل البروجرام الذى سيتبع فى المدرسة الجديدة ولنفحص اللوحة الاولى .

فى النهر الايمن تجد المواد التى تعلم فى الفرق المختلفة وفى الانهر التالية تجد عدد الساعات المخصصة لهذه المواد المختلفة فى كل فرقة ابتداء من السادسة لغاية الفرقة النهائية التى تدرس فيها البلاغة ولكي يكون هذا التقسيم ظاهراً للعين مباشرة فانى اشير الى عدد الساعات الخاصة بكل مادة بخطوط تختلف مع بعضها طولاً بنسبة اختلاف عدد الساعات ولذلك يظهر بمجرد النظر انه يوجد بين تلك المواد التى تدرس فى كل الفرق مادة تستغرق وحدها زمناً يوازى جميع أوقات الفروع الاخرى مجتمعة وتلك المادة هى اللغات الميتة فان دراسة اللاتينى واليونانى تشغل

عشرة ساعات فى الاسبوع من عشرين ساعة واذا اضفنا لها الزمن الذى يصرف فى المذاكرة وهو متناسب مع الدرس نفسه فانها تستغرق عشرين ساعة من أربعين فى الاسبوع فالتعليم الحاضر اذن فاقد التوازن ولكن هذه المشاهدة تزداد فظاعة عند ما تعرف انه رغماً عن ذلك تصل التلامذة للبلاغة والفلسفة وهم لا يعرفون حق المعرفة اللاتينى واليونانى ويلاقون فى ترجمتهما وفهمهما صعوبة عظيمة مع الاستعانة من جهة بكتب اللغة (القواميس) وكتب القواعد (الاجرومية) من جهة أخرى ولا شك ان الافراط بالاشتغال بهما يضيق الوقت على المواد الاخرى وهو ما يشير اليه قصر الخطوط الباقية . ولزيادة البيان نقول ان دراسة الفرنساوى لها ساعتان او ثلاثة فى الاسبوع تصرف كلها تقريباً فى حفظ قواعد اللغة وعلم رسم الحروف ولا يبقى وقت لدرس البلاغة واصولها وفهم المحسنات البديعية وتقرر للغات الحية (الانكليزية والالمانية) لسبب ضيق الوقت من ساعة لساعة ونصف فى الاسبوع وهو أقل من ربع الوقت الذى يكفي لحفظها على اسلوب حسن فما بالك والتعليم عندنا مختل معتل مرتبك ومدارسنا الابتدائية والثانوية تتبع فى حفظ اللغات الحية نفس الطرق المتخذة لحفظ اللاتينى فهم لا يحفظونها بواسطة التكلم بها بل بواسطة تكبد مشاق الترجمة ومن جهة اخرى كل معلمى الانكليزية والالمانية عندنا فرنساويون تمسكاً بالوطنية وأظن ان هذا التمسك بالوطنية هو الذى يمنعهم أيضاً من التكلم بها لحفظها وسيصبح الانكليزى والالمانى بمدارسنا من اللغات الميتة كما ستموت اشياء كثيرة غيرها . واليك

مسألة غريبة : زار صديقاً لى أحد تلامذة الفرقة الثالثة باحدى مدارس فرنسا وكان حائزاً للجائزة الاولى أو الثانية فى الالمانى فسر صاحب المنزل بذلك وقال له هذه فرصة جميلة لانك ستكلم اولادى بالالمانية وكان هؤلاء الاولاد تعلموها على مربيتهم التى كانت تكلمهم بها فأخذ الاولاد يكلمون هذا الشاب التعيس الذى لم يفهم منهم شيئاً ولم يقدر ان يفوه ببنت شفة بهذه اللغة فتأمل . واغرب من ذلك انه زارنى من بضع أشهر شاب متخرج من احدى مدارس التجارة العالية بباريس من الذين دخلوها على نفقة الحكومة بالامتحان ثم تخرج منها وهو من أوائلها وكان يرجونى المساعدة فى الحصول على وظيفة فقلت له بسلامة نية لا شك انك تتكلم بجملة لغات أجنبية لانك تعلم ان الزم وسائل التجارة الآن هى معرفة اللغات الاجنبية ولكن الشاب ادهشنى حيث اجابنى انه يعرف قليلا من الالمانية واقل من الانجليزية وانه يقرأهما بصعوبة وبطيء كما يتكلم بهما !

ولسنا نجهل ان البرلمان سن قانوناً اقام العقبات فى سبيل الاجانب حتى لا ينشروا تعليم لغاتهم بفرنسا .

وبعكس ذلك ترى ان الانجليز الذين هم أقدر منا على العمل يستعينون على تعليم اللغات الفرنساوية بمعلمين فرنساويين وقد رأيت فيما تقدم ذكر اثنين منهم فى مدرسة هارّو ويوجد بلندرة جمعية للمعلمين الفرنساويين فى سعة عظيمة نادت جهاراً فى احدى جلساتها بسعة كرم الانكليز ولنختصر فان اللغات الحية الاجنبية ليس لها نصيب فى التعليم أكثر من اللغات القديمة بل نفس اللغة الفرنساوية قد اصبحت من الاهمية فى الصف

الثانى كأن انتشار اللاتينى انتشاره الخارق قد غطى عليها ايضاً .

واذا تقرر عندك الآن فساد التعليم فى تلك المواد الاساسية فلاشك انك تقتنع باولوية فساد التعليم فى باقى المواد التى بعدها لانها كما تسمى فى اصطلاح المدارس علوم اضافية والعناية بها طبعاً قليلة فالجغرافية والتاريخ تشغل ساعة أو ساعة ونصفاً فى الاسبوع وهو زمن زهيد غير كاف والنتيجة ظاهرة فجهل الفرنساويين بالجغرافية مشهور وسأبين فيما يأتى مقدار اهمية هذا العلم اما التاريخ فتعليمه عقيم لأن المذكرات التى نتداولها والمجموعات الثقيلة القاصرة على سلسلة حوادث وتواريخ لاتترك فى ذاكرة الانسان سوى آثار سريعة الزوال ومعلومات مبهمة لا ارتباط بينها وكذلك القول فى باقى الفروع كالرياضة وعلم الارض (الچيولوچيا) وعلم النباتات وعلم الحيوانات والطبيعة والكيميا فان الناظر فى اللوحة اذا رأى ضيق اوقاتها يخيل له ان لا وقت لها . تقرر هذا البروجرام تقريباً عند مبدأ ظهور هذه العلوم وهو لايزال والقديم فيه على قدمه .

لم يكن اسلافنا يعرفون علم الارض ولا علم النباتات ولا علم الحيوان ولا علم الطبيعة ولا الكيميا ومع ذلك لم يكن حظهم اسوأ من حظنا فيمكننا ان نكون مثلهم لانه يلزم احترام التقاليد المحترمة وحيث استغرق اللاتينى واليونانى اكثر الوقت ففى اي وقت تريد تعليم العلوم فاسهل شىء هو محوها وقد محيت نعم لم تمح تماماً لانه راسخ فى الاذهان ان شباننا لا يمكنهم ان يصلوا للبكالورية بدون ان يكون عندهم مبادئ ولو مبهمة من الطبيعة والكيميا . وبما ان هذا اللاتينى لا يقبل الضغط — لانه لا يصح

ان يضغط اللاتينى — فلا ترى وقتاً لباقى العلوم الا فى السنة الاخيرة سنة الفلسفة ولا ريب فى قولى لانهم يوقفون دراسة الفلسفة فى هذه الفرقة ثلاث ساعات تعطى فيها مبادئ اجمالية مختصرة فى الطبيعة والكيميا لهؤلاء الشبان الخالى الذهن منها .

علما الطبيعة والكيميا قد قلبا العالم وما ادراك ماذا يحدث بعد من



تلامذة يعملون جرن المحصول

نتائج هذين العاملين ولكن هذه تفاصيل تغيب عن علم التربية عندنا ومن جهة اخرى فليس فى ذلك من فائدة لتفسير المؤلفات اللاتينية واليونانية فلا حاجة لنا فيها كأنما المدارس لم تنشأ لتكوين الرجال بالنظر للحال بل بالنظر للماضى وانها لا تنظر الى الامام بل الى الخلف .

وتجد في ذيل اللوحة فرعاً آخر وهو الرسم وقد كان فى وقت وجودي بالمدارس اختيارياً وكان مكروهاً جداً لانهم كانوا يخصصون للاشتغال به وقت الرياضة والاوقات الخالية فكانت التلامذة تتنصل منه بكل حيلة ثم قرروا له سابقاً وقتاً ضيقاً جداً ساعة ونصفاً فى الاسبوع فضلا عن كونه اختيارياً فى النصف ساعة الثانى . ويمكننا الآن ان نقرر هاتين النتيجتين .

(١) اللاتينى واليونانى هما اساس التعليم الحالى ولو ضحيت بسببها الفروع الباقيه .

(٢) بعد ان يدرس التلامذة اللاتينى واليونانى تقريباً دون سواهما مدة سبع سنوات يخرج الواحد منهم وهو منها صفر اليدين وهذه هى الحالة التى بنى عليها المسيو جول لمتر قوله يلزم ان نفتح رؤس الآباء وننقش عليها هذه العبارة « من غرائب الامور وخوارق المعقول ان نرى تلميذ حاملاً للبكالورية وهو لا يعرف اللاتينى واليونانى فضلاً عن جهله باللغات الحية والجغرافية والعلوم الطبيعية » .

اما رجال التعليم الذين ينتصرون لهذا النظام المدرسى بحجة انه مفيد فهم من غير شك اغبياء والذين ينتصرون له بحجة ان الاليق هو عدم

تغيير القديم فهم مجرمون ويلزمنا ان نثير ضد هؤلاء وهؤلاء تحزب الآباء الثائرين ضد النظام المدرسى الآخذين فى تحرير اولادهم ولكن قبل ان نتعرض لطريقة الاخذ فى هذا العمل يلزم ان نبحث هل من الممكن حل المسألة اللاتينية لان اللاتينى بامتداده الهائل لا يقتصر ضرره على افساد التعليم الحاضر بل هل هو ايضاً حجر عثرة فى سبيل كل تحسين يراد ادخاله على البروجرام وهذه الصعوبة لا توجد فى انجلترا ولا الولايات المتحدة حيث لا يشتغل باللاتينى الا فئة من التلامذة كالذين يريدون الاشتغال فيما بعد بالوظائف الدينية والعبادة او الآداب المحضة او الذين هم من ذوى العائلات الغنية جداً اما الباقون وهم الاغلبية فعاكفون على درس المواد التى تؤهلهم للزراعة او الصناعة والتجارة بينما الامر بالعكس فى فرنسا فان كبار رؤساء التعليم عندنا تعنتوا فى تقرير اللغات القديمة فى بروجرام الامتحانات التى اتخذ منها حجاب على ابواب الوظائف العقلية والادارية وبما ان اوهام الفرنساويين المضحكة ذهبت بهم للتفانى فى تمنى تلك الوظائف لابنائهم واحتقار المهن الاصلية المستقلة فمن المحتم على شبيبتنا بهذا السبب ان تقضى احلى سنيها التى لا تقل عن الست او السبع سنوات الاولى فى الاقتصار على درس لغات لن يصلوا ابداً لحفظها فضلاً عن كونها لا تفيدهم شيئاً .

ويجب علينا ان نقرن التماسنا عناية رجال حكومتنا بتخليصنا من هذه البروجرامات بتخفيف وطأتها بأن نبحث عن الطريقة المثلى لتعليم اللغات القديمة وهذا ما سنخصص الموضوع الآتى للبحث فيه .

الباب الخامس

كيف تحل المسألة اللاتينية

زارني من بضع سنوات احد اصدقائي واعطاني رسالة عنوانها «اللاتيني المحفوظ في ثلاث سنوات واليوناني في سنتين » واوصاني بها كثيراً وحيث كان راسخاً بيقيني من زمن بعيد ان الطرق الحاضرة المتبعة لتعليم اللغات الميتة بل لنفس اللغات الحية معيبة جداً وتنتج نتائج تقريباً سلبية ولا خلاف في ذلك اخذني العجب واي عجب من تلاوة هذا العنوان لاننا نصرف فيهما ست او سبع سنوات بلا فائدة فكيف يكفي لحفظها ثلاث سنوات مع ان النتائج التي يحصلها طالبو البكالورية محزنة كالنتائج التي حصلناها نحن قبلهم ومع ذلك طالعت الرسالة فهمني اولها واثارني وسطها وسلمت لآخرها ولا شك انها جمعت فأوعت ولقد كنت عارفاً ان طرق التعليم عندنا فاسدة حقي ولكني كنت اجهل كيف نصلحها فوضح لي الامر وانفتح الطريق . وليس هذا النور مشرقاً من معلم بالكلية او بالتعليم الحر بل هو من اب مهذب عالم اعيته الحيلة في التعليم الحاضر فابتدع طرقاً جرى عليها في تربية اولاده ففاز فوزاً مبيناً وهو الآن يواصل تنفيذها مع احفاده فهنأته على فوزه وحررت له لانه مقيم بالارياف باني اود محادثته عند

اول فرصة يزور باريس نقبل ذلك الفاضل المسيو اوليڤيه دعوتى واعطانى كل التعليمات التى احتجت اليها ولم تكن فى رسالته ولندخل الآن فى الموضوع .

الفصل الاول

كثرت المجلدات فى فحص مسألة اللاتينى واليونانى ولست ادّعى ان سأحيي المسألة مرة اخرى وقد اخذ الناس يرون ان تعليم هاتين اللغتين الغير متداولتين لا يناسب الا عدداً صغيراً من الشبان الذين يبغون الوظائف الدينية او الذين يريدون التعمق فى المعتقدات ومن الخطأ البين ان نعمم التعليم اللازم انحصاره فى فئة قليلة بين مجموع تلامذة التعليم الثانوى ويزيد هذا الخطأ جسامة ان اللاتينى واليونانى يستغرقان وحدهما اكثر الوقت فى النظام الحاضر وشتان بين المتاعب التى تقاسى فى حفظهما وبين نتيجتها التى تنال وقد ضرب لنا المسيو اوليڤيه بنواست مثلا جميلا حيث قال : « من المشاهد ان الولد يفهم لغته الاصلية فى ثلاث سنوات ويتكلم بها فى اربع واذا ارسلنا صبياً او شاباً لانجلترا او المانيا فانه يتكلم بلغة البلد فى سنة وعلى الاكثر فى سنتين . فلماذا اذن نرى تلامذتنا بعد ان يدرسوا اللاتينى واليونانى مدة سبع او ثمانى سنين بكل جد واجتهاد يتقدمون للبكالورية ولا يمكنهم ان يترجموا فيهما عبارة لا تزيد عن خمسة وعشرين سطراً فى ساعتين مع الاستعانة بكتب اللغة والقواعد وينجح منهم ثلثهم

والباقون يعيدون الدراسة ؛ لا شبهة ان اسلوباً يأتي بهذه النتائج السلبية قبيح فاسد . وقد اخذ هذا الاعتقاد ينتشر ولكن المجهول الآن هو وجه الفساد وطرق الاصلاح ولذلك يلزم ان نعتبر بهذا الغلام الذى يحفظ لغته بالاسلوب الطبيعي فانه يسمع الالفاظ والجمل العديدة من اشخاص يهمهم ان يفهموها له فهو يحفظها قبل ان تعرفها شفتاه وبعد سنتين عند ما يشرع الطفل فى النطق اعنى قبل ان يعرف معنى الترجمة يكون قد حفظ جملاً عديدة وعبارات كثيرة نقشتها فى رأسه أمه لانها كلما أرته شيئاً ذكرت له اسمه وعبارة عليه ومع توالى وتكرر ذلك لا يمل منه الطفل بل نراه وأمه باسمين دائماً مسرورين » لا كابتسام المعلم والتلميذ .

ويلوح لى ان نظامنا التعليمى قد جمع امام التلميذ التعيس كل الصعوبات بوضع الاجرومية فى رأس تعليم اللغات وهي طريقة عقيمة فى ذاتها بالنسبة لهذه العقول المتبصرة وهي ولا شك منفرة للاولاد الذين لا يحفظون مجموعة القواعد فى علم الكلام والمستثنيات والتصاريف والاعراب الا من التكرار العارى عن الفهم والتصور باجهاد الحافظة كل الاجهاد وهذا اذا حفظوها . هكذا تضيع الفائدة من الطرق المتبعة فى شرح المتون نعم لان التلميذ لا يقرأ كتاباً مّا كاملاً بل فقرات متفرقة يقرأها بكل بطء حيث يقرأ فى كل يوم بعض سطور فيضيع فائدة الموضوع مهما كان جليلا

(ثم افاض المؤلف فى الكلام عن طرق تعليم اللاتينى واليونانى)
(حتى ملأ بها اربعة فصول مما لا نرى فائدة كبيرة فى ترجمته لعدم)

(ضرورته لنا نحن المصريين «المترجم») ثم قال :

ويمكننا الآن ان نقرر ما يأتي :

احسن الاساليب وافعلها لتعليم لغةٍ هو تعليمها بطريق التكلم بها فاذا لم نجد معلمين كفوءاً للتكلم باغة امكن الاستعاضة عنهم بالمطالعة ويجب على التلميذ ان يطالع كثيراً وبدون انقطاع لانه اذا لم يتيسر له الكلام مع معلمه فليتكلم مع المؤلفين وليجتنب ما استطاع كتب اللغة (القواميس) وكتب القواعد (الاجرومية) ويتخذ الكتب المترجمة حتى يهون عليه فهم العبارات وكشف مخبآتها وهي اقرب الطرق للطريقة الطبيعية التى تقضى بحفظ اللغة بالتكلم بها وعند عدم واسطة التكلم تكون قراءتها .

الباب السادس

بروجرام الدراسة فى المدارس الجديدة

لنضع الآن امامنا اللوحة المعنونة بجدول مواد التعليم بحسب بروجرام المدرسة الجديدة فنجد المواد التى تدرس فى المكاتب مرتبة فيها بحسب ترتيبها فى اللوحة السابقة لتسهل المقارنة بينها واوّل شيء يستلفت الانظار هو انقسام المدة المدرسية الى قسمين قسم عام يشمل الثلاث سنوات الاولى أي الفرق الابتدائية المقابلة للسادسة والخامسة والرابعة، وقسم خاص وهو عبارة عن الثلاث سنوات الاخيرة اعنى الفرق العالية

التى بعد الرابعة . أما اهمية ذلك التقسيم – وفى املي ان أبينها للقراء – فهى تناسبه مع الحالة الطبيعية للانسان التى أهملت مراعاتها فى التعليم الحاضر لانه من البديهى ان التلميذ الصغير الذى يدخل الفرقة السادسة يجهل الوظيفة التى سيتقلدها فى المستقبل كما يجهل هو واهله امياله وقابليته ، ولكن بحسب التعليم الحاضر يلزم التصميم على مستقبل الولد وهو فى الثامنة او التاسعة من عمره فاما يتبع التعليم القديم وإما يتبع التعليم الحاضر وما أثقل تأثير هذا الانتخاب على سير حياته فان مستقبله يتعرض للصدفة اذ من لوازم هذا الانتخاب ان يفتح له باب وظيفة وتسد فى وجهه ابواب باقى الوظائف الى الابد وما اشد تلك المشغولية واكبر المسئولية على الآباء واحرج موقف الابناء .

وبما ان للوظائف العقلية والمدارس الكبرى والادارة بفرنسا تسلطاً عظيماً على الاوهام فاولياء امور التلامذة مضطرون غالباً لاختيار التعليم المدرسى الذى هو طريق الوصول لتلك الوظائف التى يزداد عليها التزاحم ويتراكم عليها الطالبون من وقت لآخر وسيأتى يوم يكون الوصول اليها ابعد من نوال الثريا على كثير من هؤلاء المتاعيس . ومما يزيد الاسف انهم يكونون اصبحوا لا يصلحون لشيء آخر فهم ضائعون ولحل هذه المشكلة كان تقسيم مدة المدرسة الى قسمين اذ يراد بالقسم الاول تسهيل ذلك الانتخاب ووضع اساساته الحكيمة وقد روعيت فيه احسن طرق التعليم ومقتضيات الاحوال وسمى بالقسم العام لان التعليم فيه واحد مدة الثلاث سنوات وهو عام لجميع التلامذة ومقرر فيه تعليم مواد يجب على

كل انسان ايا كانت وظيفته الالمام بها بخلاف القسم الخاص ولنذكر المواد التي تدرس بالقسم العام المذكور

الفصل الاول

اول ما يستلفت الانظار هو عدم تعليم اللاتيني واليوناني في ذلك القسم حيث تقرر فيما سبق انه يمكن تعليمها في مدة اربع سنوات وبذلك فليس من الضروري الابتداء بها من السنة السادسة وقد اردفناهما الى السنة الثالثة حيث تكون عقول التلامذة كفواً لفهمهما وتحمل اتعابهما ويتوفر عندنا عشر ساعات اسبوعياً للتدريس ومثلها للمذاكرة اعني نصف وقت التلامذة كما ان ذلك يساعد على ترتيب البروجرام مدة الثلاث سنوات الاولى على طرق اخرى

بقي علينا ان نعرف هذه المواد التي يجب على كل انسان الالمام بها مهما كانت وظيفته وهل يمكن ان تدرس بطريقة تناسب عقول الاولاد الذين لا يبلغون الرابعة عشرة فنقول :

يحتوي البروجرام على فرع يستغرق تقريباً المدة المخصصة للاتيني في التعليم الحاضر وذلك القسم هو اللغات الحية التي هي الفرنساوي والانجليزي والالماني اعني لغة البلد واهم اللغات الاجنبية لانه يجب على كل من تربى تربية حسنة ان يقرأ ويتكلم بهذه اللغات الثلاثة حتى يكون كفواً للظروف الحيوية ويلزم لبلوغ هذه الغاية ان نحسن طرق تدريسها عما هي عليه الآن ولا فرق في ذلك بين الفرنساوية وغيرها ولقد صدق

مسيو داوول فرارى فى قوله « نحن نعرف الفرنساوية لغتنا بدون ان نتحمل ادنى مشقة فى حفظها ويكفى لنا ان نسمع من يتكلمها الآن ونقرأ المؤلفات الجميلة السابقة فيظهر اننا حرمنا هذه البهجة لانها كانت مجاناً وقد بحثنا ووجدنا الطريقة التى بها تضطر التلامذة لدفع الكثير للحصول على ما كان يمكنهم الحصول عليه بلا ثمن واصبحت لغتنا كاللغات الميتة مكبلة بالضوابط كالنحو والصرف والكتابة محاطة باسوار القواعد والابهامات والتصورات كأنما الغرض هو تنفير التلميذ منها فهو بمجرد ان يخرج من مهد الرضاع يقع فى مشاكل المفاعيل وتصاريف الماضى والشرط الى غير ذلك وتقضى التلامذة جزءاً كبيراً من اوقات حياتهم فى تعلم قواعد الاملا والكتابة وهذا العلم الموهوم يضيع جزءاً عظيماً من احلى اوقات التلمذة .

« لا ضرورة لان يتم تلامذتنا قبل الثالثة عشر جميع العلوم فلنوفر عليهم مشاق القواعد ولنتركهم يعرفوا مع الزمن رسم الكلمات فاذا قويت مداركهم امكننا اذن ان نعلمهم قواعد اللغة فى بعض سويعات ولن اتكلم على الاعراب النحوى والمنطقى الذي يظهر انه لم يوضع الا لقتل الوقت على اتعس الطرق » . احسن طريقة هي كثرة مطالعة المؤلفات الجميلة فمنها يمكن معرفة التحرير والقواعد (الاجرومية) وعلم رسم الكلمات اما إتعاب التلامذة بالشكل الذى نجرى عليه فليس هو من طرق التعليم واهم شيء يجب اصلاح الطرق المتبعة عندنا فيه هو تعليم اللغات الاجنبية اذ ثبت مما سبق اننا ندرس اللغات الحية بدون ان نحفظها حقيقة وهذه هى غلطتنا نحن نعتبرها كاللغات الميتة بينما الواجب هو حفظها كما نحفظ لغتنا

الاصلية بالتكلم بها وتأخير درس القواعد والاكتفاء منها بالضروري وبقدر ما يصعب على التلميذ ان يدرس علم القواعد وان يبحث في كتب اللغة (القواميس) بقدر ما يسهل عليه حفظ اللغات بالاستعمال لانه يحفظ باذنه اكثر مما يحفظ بعينه وقد لاحظت نجاح ذلك في الصبيان الذين يحفظون الانجليزية والالمانية بهذه الصفة فضلاً عن النتائج الباهرة التي ظهرت من اتباع هذه الطريقة في مدرسة ابوتشولم كما يشهد به احد الفرنساويين الذي كان معلماً للفرنساوية في المدرسة المذكورة حيث كتب لي « العناية هنا عظيمة بتعليم اللغات الاجنبية والتلامذة لا يدرسون القواعد الا بعد استعمال اللغة خمسة او ستة شهور ويكون التدريس في الفرنساوية بها وفي الالمانية بها بدون ان يتخلل الدرس لفظ واحد انجليزي (ولم تكن لصاحبي هذا معرفة بالانجليزية اذ تعين في تلك المدرسة) ويجتهد المعلم في التكلم ببطء ولا يترك كلمة بدون ان تفهم ويتحادث مع المبتدئين في مواضيع سهلة بسيطة كأن يكلف اثنين منهم بتشخيص « غلام يقدم لسيدة كرسياً » ويؤديان الحركات اللازمة لهذا العمل مع التعبير بالفرنساوية فيغني هذا التشخيص عن الترجمة التي تؤخر التلامذة وتربك افكارهم وبهذه الطريقة تتعود التلامذة على التفكير باللغة التي يتكلمونها . ويتخذ مع تلامذة ارقى مواضيع ارقى كوصف حياة التلامذة او الحياة الريفية او اعمال الغيطان الخ وفي السنة التالية يدرس مواضيع ارقى واوسع تستغرق بعض حصص متوالية كوصف رحلة استغرقت شهرين مثلاً او كوصف زراعة نبات صناعي ومنافعه اما علم القواعد والاصطلاحات والتحرير فلا يدرس الا في الفرق العالية

ويستعين المعلم غالباً كلما تيسر له بالرسم على التختة او ببعض اشكال مطبوعة ملونة يطلب من التلامذة ان يعربوا عما بها من الاشكال كرسم كواكب او مدفع او ثغر او آلة او قلعة وتدرس كل كلمة على حدتها من جهة ابنيتها ومرادفاتها اللفظية والافعال والازمان اما النجاح فباهر زاهر . . . كما ان تاريخ وجغرافية انجلترا او فرنسا او المانيا تدرس بلغة البلد التى تكون موضوع الدرس . »

وواضح ان اول شرط لتطبيق هذه الطريقة هو ان يكون المعلم متمكناً من اللغة التى يدرس بها كلغة أصلية له والا فانه يضطر طبعا للاقلال ما استطاع من استعمالها ففي استخدامنا المعلمين الفرنساويين لتعليم اللغات الاجنبية ضياع لوقت التلامذة ومصاريف اهليهم ولو اننا نحفظ تلك الوظائف للوطنيين الا اننا نضحى فائدة التعليم وهو من الخلل الجسيم اذ يلزم ان تراعى فى المدارس فائدة التلامذة لا فائدة المعلمين .

من المشاهد انه من يوم خلق العالم والام الجاهلة الضعيفة العقل هى التى تعلم اولادها تماماً وبكل سرعة كيفية التكلم ولكن اساتذتنا لا يمكنهم ان يأتوا بمثل هذه النتيجه وهو مما يدل على ان طريقتهم عقيمة وان الطريقة الطبيعية هى دون سواها المنتجة المفيدة . نعم لا لوم على معلمى اللغات الاجنبية عندنا على هذه الحالة لانهم هم أيضاً من ضحاياها وهل بعد ان نعلمهم هذه اللغات بهذه الطريقة الفاسدة نعود فنلزمهم بتعليمها على نفس الاسلوب ونطالبهم بالفائدة ومن جهة أخرى فليس من الممكن الحصول على نتائج غير هذه ما دام الفصل يحتوى على ثلاثين أو اربعين تلميذاً لا

يمكن ان يكون بينهم وبين معلمهم أدنى علاقة شخصية . كل ذلك من وجوه اعتلال تعليمنا . ولزيادة انجاح التلامذة قد عمدت المدرسة الجديدة الى مسألة مضمونة الفائدة وهي الاتفاق مع بعض المدارس الالمانية والانجليزية على قبول التلامذة الفرنساويين للتعلم فيها مدة ثلاثة أو ستة اشهر او سنة متى اراد الآباء ذلك وحيث يوجد التلميذ فى الوسط الذى يلزم معرفة لغته فهو يتقدم فيها بسرعة ويسهل عليه بعد ذلك فهم القواعد والبلاغة وتزيد ثمرة هذه الاقامة الخارجية كلما قل سن التلامذة لان الاولاد من غير شك يحفظون اللغات فى صغرهم بسرعة هائلة فى جدهم وهزلهم وبمجرد معرفة اللغة استعمالا يكون النجاح سريعاً لان صعوبة الفهم والتكلم تزول . اذن احسن طريقة لازالة صعوبات تعليم اللغات الاجنبية هى اتخاذ الطرق الطبيعية . ولتخفيف وطأة هذا السفر على الآباء ستأخذ المدرسة على عاتقها تكاليف السياحة والاقامة .

وبالاستمرار فى فحص الجدول نجد اننا تحصلنا من تأخير اللاتينى على زمن اكثر للجغرافية والتاريخ غير اننا نرى لزوم تغيير طريقة التعليم فيها . فان الجغرافية التى تعلمناها لم تكن سوى تعداد جبال وانهار ومدن ومقاطعات وبالاجمال لم تكن الا اصطلاحات عزيز حفظها صعب تذكرها بدون فائدة اما الآن فقد ادخلت عليها حقيقة بعض تحسينات ولكنها بكل اسف اقتصادية محضة لا علاقة لها بتنوير موضوعها وكشف علاقات الظواهر الجغرافية المختلفة بالهيئة الاجتماعية .

الجغرافية هى دراسة طبيعة البلدان ولكن لكل جهة تأثير خاص على

اشكال الاتعاب وخواص الاشياء والنظام العائلى والنظام الادارى وعلى الجنسية نفسها والنوع ذاته الذى تختلف امياله واطواره من جهة لاخرى وقد اخذ علم الاجتماع يبين تلك العلاقات وهو يقرب فى كل يوم من تقرير الحقيقة المحضة (١) .

ولم ينفرد المكان بالتأثير فى الامم بل لنظام تكونها الاصلى (اعني تاريخها) تأثير آخر فتكون الامم بحسب تكونها السابق مستعدة او غير مستعدة لمقاومة صعوبات المكان والاستعلاء عليها وقلب كيانه وهذا ما يقرره مبدأ « الانسان مضاعف التأثير » فمن جهة هو متأثر بشروط المكان الحالية وهو موضوع بحث الجغرافية ومن جهة هو يتأثر بشروط المكان السابقة او الامكنة التى احتلتها اسلافه وهو موضوع بحث التاريخ واختلاف الاجناس ليس له سبب حقيقى الا اختلاف الاوساط التى عاش فيها اصولها او تعيش هى بها الآن وموضوع الجغرافية والتاريخ هذين العلمين المرتبطين ببعضهما هذا الارتباط العظيم هو شرح تلك الاختلافات او شرح الرجل والجمعية او بعبارة اخرى فحص كيان الاجتماع الانسانى من جميع الوجوه وعليها يقوم اساس علم الانسان والجمعية او علم الاجتماع ولست فى حاجة لزيادة التطويل فى هذا المقام ولكني اضيف هذه الملاحظة المهمة بالنسبة لعلم التربية .

من وجوه ضعف التعليم عندنا عدم ارتباط المعارف ببعضها ففي الازمن الخالية كانت المعارف المختلفة مرتبطة ببعضها جداً وتدخل تحت اسم

(١) ومثال ذلك كتابنا المعنون « الفرنساويون اليوم »

الفلسفة التى كانت تشمل حتى علوم الرياضة(١) وفى القرون الوسطى كانت المعارف مرتبطة جداً ببعضها يجمعها علم اللاهوت الذى كان يشتمل ايضاً الفلسفة والرياضة . وبفضل هذا الارتباط كان العقل يمكنه ان يحصل على مجموعة معلومات ولو انها غالباً ناقصة ومخطئة غير انها مرتبطة ببعضها على الاقل . ثم دخلنا فى مرسح العلوم الطبيعية فأتى ذلك على هذا الترتيب وفرق بين اقسام العلوم وقد حاول فرنسوا باكون كثيراً بغير جدوى ان يعيد ارتباط الاشياء واخذ يغير ويرتب المعارف تحت عنوان (انستوراتيومانجا) (Instauratio Manga) كتاب الفه الفيلسوف باكون الانجليزى المذكور جمع فيه العلوم على اساس المشاهدة والاستنتاج) وخاب لانه لم يكن يوجد علم عام يسهل فهمه يمكن جعله مركزاً او محوراً يجتمع حوله باقى العلوم . هكذا يزداد التعليم ارتباكاً وتفرقاً من وقت لآخر وكذلك يزداد عدد المعلمين من سنة لاخرى وليس لكل منهم هم سوى تسوية ما يكلف به من العلوم فى رؤس التلامذة بدون التفات لما يسويه غيره من المعلمين فى تلك الرؤس ولا شك ان نتيجة هذا الرأس المسكين الخاضع لهذه العمليات المتشعبة المختلفة تكون فظيعة ولذا يصح ان نقول التعليم الآن كثير ولكن لا تعليم .

وقد وقفنا على العلم الذى كان ينشده فرنسوا باكون لاعادة ترتيب

---

(١) وبسبب هذه التقاليد القديمة تجدنا نضع الفلسفة فى رأس التعليم الثانوى ولكن ليست هذه الفلسفة الا تاريخ مذاهب فلسفية متعددة لا تعلم الا طريقة المجادلة دائماً بدون اصغاء .

الاشياء والفضل فى وضعه للمعلومات الدقيقة التى حصلناها عن الارض وسكانها الحاليين والسابقين . فبعلم الانسان والهيئة الاجتماعية وحده كان يمكن ان يوجد الحيّز الذى يسع ويربط المعلومات الانسانية .

الانسان وحده يمكن ان يكون مركز التعليم الانسانى .

ففى العصور الخالية كان الانسان هو مركز ابحاث الفلسفة .

وفى القرون الوسطى كان هو الانسان مركز اشعة علم اللاهوت .

وفى المستقبل سيكون الانسان هو مركز ابحاث الطبيعية والآداب والاصول والمقارنة التى تؤسس على شروط المكان والعمل كما هو الآن مدار بحث الجغرافية وفى الماضى مدار بحث التاريخ .

ولكن لكى يتم ذلك يلزم ان نجدد تعليم الجغرافية والتاريخ بحيث يكون الانسان الحقيقي الحي هومدار البحث فى جميع اوساطها وعصورها وقد شرع فى ذلك التعليم وستأخذ المدرسة الجديدة فى تطبيقه تدريجاً على عقول التلامذة وعند ذلك تظهر الروابط التى تربط المعلومات المختلفة ببعضها وتتجلى علاقاتها بالانسان .

ويظهران للظواهر الارضية او النباتية او الحيوانية التي تتكون منها عناصر المكان تأثيراً مباشرة على نوع الاعمال وبالواسطة على الهيئة الاجتماعية سواء فى الماضى او الحال .

ويظهران هذه الحالة الاجتماعية تعود هى الاخرى فتؤثر فى ظهور افكار الانسان كالفلسفة والبلاغة القديمة والحاضرة وانها تكيفها وتشخصها والفلسفة والبلاغة هما عنوان الامة .

ويتضح ان الظواهر الطبيعية والكيماوية التي نجح الانسان في كشف اسرارها لا يقتصر تأثيرها على تغيير الكرة الارضية اعني على المكان الجغرافي بل يتعدى لتحسين الشروط التاريخية للحياة الانسانية والاجتماعية وتنجلي بالتحقيق طبيعة ومقدار هذه التحسينات وفعلها في باقي المعلومات وبهذا يصبح التعليم واضحاً سهل المأخذ بكل سرعة لانه مرتب .

وستتبع لدراسة الحساب والرياضة التي يمكننا ان نزيد وقتها — دائماً بفضل تأجيل اللاتيني — طرق سهلة قريبة الفهم كما شوهد نجاحها في مدرسة بدالس وقد كتب لي ولدي هذا الاسبوع يقول :

«قد تعلمنا طريقة القياس المترى على معلم الحساب لانها تفيدنا جداً في العلوم وتعليمها هنا بطريقة عملية لا كما في فرنسا فمثلاً بالنسبة للمتر المربع يرسم المعلم على التختة مربعاً طول ضلعه عشرة سنتيمترات مثلاً ويقسمه الى سنتيمترات مربعة ويعدها لنا ثم يبين اسباب انقسامه الى مائة وبالنسبة للمتر المكعب يؤتى بمكعبات صغيرة من الخشب ويضع بعضها على بعض بحيث يصنع منها مكعباً ضلعه ثلاث سنتيمترات مثلاً ثم يعدها لنا وبهذه الطريقة تفهم التلامذة جميعاً . ووصلنا في الحساب للكسور ولتفسيرها لنا يرسم المعلم مستقيماً ثم يقسمه الى خمسة اقسام مثلاً ويأخذ منها ثلاثة فتسمى ثلاثة اخماس . . . » .

ولا تفهمن اني اتوهم في ذلك صعوبة او ازعم انه ابتداع جديد كلا وانما نحن نحتقر ان نسير على هذه الطرق فتزول صراحة العلم وبساطته ولكي نجعل علوم الرياضة علماً عملياً مهماً تمرن التلامذة على تطبيقات

حسابية تعلم لهم فمثلاً نلزمهم بعمل حساب عن مصاريف العزبة والبستان والالعاب ومعدات المكتب والمعمل الكيماوى ومصاريف الغذاء والحريق الى غير ذلك فهم يرتبونها ثم يسوون حسابها وبذلك تكون فى الاعداد روح عملية تساعد على تدبير المنازل ومباشرة الزراعة ومزاولة التجارة والصناعة وبالاختصار تهيئة رجال للعمل والاجتماع .

ثم بموالاة البحث فى لوحتنا نرى مجموعة العلوم الطبيعية والكيماوية والطبيعة وهى المجموعة التى اماتتها المدرسة الحالية فقد شاهدنا ان علم الارض والنباتات والحيوانات والطبيعة والكيميا تقريباً لا تعلم مع انه من الضرورى لكل رجل مهما كانت وظيفته الالمام ببعض مبادئ عملية ونظرية من تلك العلوم وتلميذنا الحائز للشهادة الثانوية الادبية يجهل بالمرة علم الارض والنباتات والحيوان وهو يندهش اندهاشاً مضحكاً اذا عرض عليه بعض النباتات حتى المتداولة جداً ولا يعرف عن الطبيعة والكيميا الا بعض مبادئ اولية سطحية يعرفها ليلة الامتحان نفسه فى السنة المخصوصة بالفلسفة وهو يجهل بالمرة الطبيعة فى مظاهرها الفاخرة المختلفة وكأنما العالم حوله فراغ عام ومن جهتى فانى لم اكن لاسامح اساتذتى ورؤساء التعليم على تركهم هذا النقص العظيم فى تعليمى ومع ذلك يلزم ان يتعود كل امرئ على تحمل مسؤلية اعماله وتزداد هذه الهاوية اتساعاً كلما ازدادت التلامذة اهتماماً بهذه الدراسة عند ما تعطى لهم بطريقة عملية مفيدة .

ويؤسس تعليم العلوم الطبيعية فى المدارس الجديدة على المشاهدات مباشرة ويزداد ذلك سهولة كلما كانت المدارس موجودة فى الخلوات وكلما

هان على التلامذة الحصول على عينات من مملكة المعادن او النباتات او الحيوانات وتدرس حياة الحيوان وطباعه وأجزاؤه الخارجة قبل درس اعضائه الداخلة وهيكله العظمى وتركيب النباتات واشكالها قبل درجاتها واسماء وظواهر الكواكب والنجوم قبل قوانين حركاتها وتسمح الحصص التى بعد الظهر الواضحة فى اللوحة بعمل تلك المشاهدات وجنى الثمار وجمع الحشرات التى توضب باعتناء وترتب بمعرفة التلامذة انفسهم وبذلك يكون العلم اكثر انطباقاً على الطبيعة واقرب للفهم واشد استمالة للتلامذة ويدخل فى عقولهم بسهولة وينقش عليها تماماً ولا تترك الدراسة بعدها اثراً للضجر كما يحصل دائماً من طرقنا النظرية الكتابية (نسبة للكتاب) الصرفة بل تترك خلفها انبعاثاً لمد تلك المعلومات والاستزادة منها حتى بعد المدرسة والفضل فى ذلك لايقاظ قوة الميل للفائدة فى الشخص وفى تلك الدراسة فائدة اخرى للاولاد وهى الرياضة فى الهواء المطلق لانه من الحماقة والهمجية ان نستمر على تربية ابنائنا بين اربعة اسوار تحت نظام ديرى (نسبة للدير) مضر بالصحة حتى للشيوخ والواجب اهاجة الخواطر ضد هذه الحالة السيئة .

هذه هى الحكمة فى تخصيص المدرسة الجديدة خمسة ساعات فى المتوسط اسبوعياً للعلوم الطبيعية والطبيعة والكيميا فى الثلاث فرق الاولى خلاف الزمن الذى يصرف فى الزيارات والرياضات التى بعد الظهر ولكي أستمر فى ملاحظاتى الابوية سأذكر هذه المشاهدة الشخصية فانى كنت متأثراً جداً من التقدم والفائدة العظمى اللذين نالهما ولدى فى هذه العلوم

المختلفة مدة السنتين فانه احضر فى المسامحة آلاته لجمع الحشائش وهى علبة نباتات وعدسة (نظارة) وكباس وورق للضغط ومقورة (آلة لقطع الاشجار) وغير ذلك وكان يجول الغيطان بنشاط ليجنى انواعاً نادرة الوجود بانجلترا وكان يعرّفها من نفسه مباشرة او بالاستعانة بكتاب النباتات ثم يضغطها ويرتبها باعتناء وكان يحض اخواته الصغيرات على ذلك العمل الذى كان يسرهن كثيراً وكان يجمع ايضاً بعض حشرات نادرة رجاه بعض اخوانه فى جمعها وتحصل وهو فى الثالثة عشرة من سنةٍ على معلومات عملية على الطبيعة والكيميا استوجبت استغراب احد جيرانى فى الارياف وهو مهندس فى المعامل والورش .

وبفضل هذه المنافذ العديدة التي تشرف على العالم الحقيقى الحى تظهر قابليات واستعدادات فى الانسان لا يمكن أن يحييها التعليم الحاضر بل هو يقتلها بمزيد الاعتناء وانما اردت بهذا المثل ان اثبت ان هذه الدراسة لا تفيد التلميذ فقط بل هى تولد عنده الولع والهيام بالعلم والاطلاع ومن الخطأ العظيم اهمالها او تأجيلها المحزن لآخر سنة فى ليلة الامتحان .

ولم يبق علينا سوى الرسم الذى يعتنى به هنا اكثر من المدارس الحالية فقد اصبح فى الحقيقة مساعداً ضرورياً لتلك العلوم التى تكلمنا عليها فترسم التلامذة مثلاً بحسب الطبيعة النباتات والحيوانات والآلات التى تصلح للتجارب الطبيعية والكيماوية الخ .

الفصل الثانى

وتلك الفروع التى رأيناها تشغل من الصباح الى ما بعد الظهر بقليل وباقى النهار يقضى خارج المدرسة فى الالعاب والتمرينات العضلية وبعض اشغال عملية متممة بالطبيعة لتلك العلوم النظرية التى تدرس فى الصباح اذ لا يصح ان يقتصر تعليم التلميذ على الكتب بل يلزم ان يكون خارج الكتب ايضاً ولا يصح ان يكون التعليم نظرياً دائماً بل يجب ان يكون عملياً ايضاً والصبي لا يمكنه ابداً ان يقضى اغلب النهار محبوساً بين اربعة اسوار بل هو محتاج كذلك للنمو بالتمرينات والهواء الخالص كما يقال فى بروجرام مدرسة ابو تشولم « ان غرضنا هو تربية الجسم والعقل والميل للاعمال الصناعية والاقدام على المشروعات وقوة التفرس فى الاعمال وحسن تقديرها فكم من خسائر تكبدتها حياة العالم بسبب ضعفاء الاجسام كذلك يلزم ان التلامذة يعملون فى كل يوم تمرينات عضلية واشغالاً يدوية وتظهر ضرورة ذلك فى زيادة نشاط الجسم وتخفيف سرعة تأثراته التى يحدثها انغمارهم فى حياة الخمول والكسل وزيادة اتعاب القوى العقلية . » وتلك الاشغال بقدر ما تفيدهم معلومات مختلفة توقظ فيهم الذكاء وتفتح ابوابه وتوسعه وهى ثلاثة انواع كما ترى فى اللوحة .



التلامذة فى زراعة الحديقة

١ زراعة الحدائق وفلاحة الارض

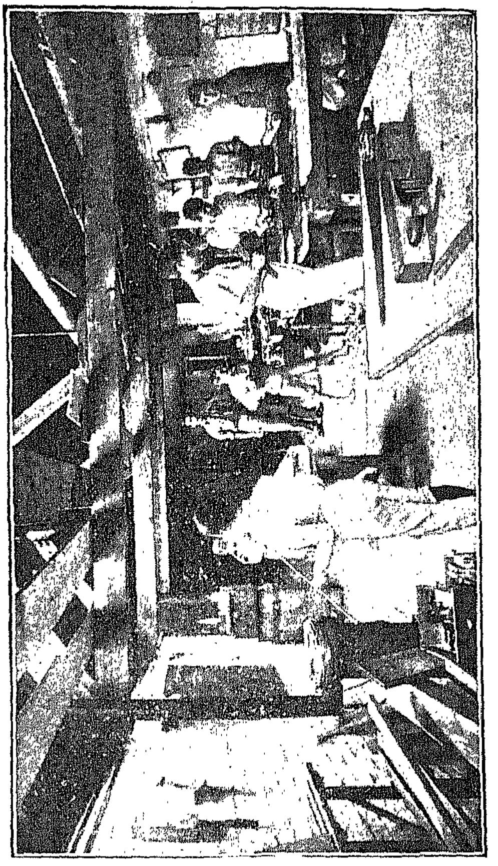
يجب على كل رجل تعلم ان يكون عنده معلومات ولو أولية على حياة النباتات والحيوانات الداجنة وهو ضرورى له سواء اضطر فى المستقبل للاشتغال بنفسه فى مسائل الزراعة وسواء اضطر فقط لمباشرة ادارة ثروة زراعية فضلا عن كون ذلك مفيداً لرجال الوظائف العقلية فان رجال الادب عندنا يجهلون بالمرة المبادئ الاوّلية على حياة الزراعة ويظهر لك ذلك جلياً اذا كلفت احدهم بتحرير شيء عن هذا الموضوع كذلك رجال السياسة والموظفون يجب عليهم الالمام والتحقق من الفوائد الزراعية التى كثيراً ما يعرضونها للخطر بجهلهم الاعمى .

فالمدرسة الجديدة (مدرسة روش) بمركزها الكائن بين غيطان مساحتها ٢٣ هكتار تحتوى على اراض تختلف فيها المزروعات وضعت وضعاً جميلاً لتكشف للتلامذة اسرار زراعة الحدائق وفلاحة الاراضى

وسيباشر تعليم ذلك احد المعلمين ذوى الخبرة والدراية .

٢ النجارة والحدادة

ليس الغرض من تلك الاشغال جعل التلامذة نجارين او حدادين بل نريد بذلك زيادة مهارتهم وخفة ايديهم كي يعرفوا عند الفرصة وفي كل شيء ان يستعملوا تلك الآلة العجيبة التى هى اليد فضلاً عن كونها تمرينات صحية ومقوية لانها تستلزم صرف بعض القوى الجسمية كما ان مقاومة تلك الاجسام (الخشب والحديد) تزيد فى التلميذ الصبر والثبات فى العمل واخيراً فان الحديد والخشب اللذين هما المادتان اللتان يستعملها الانسان فى وجوه متعددة تصلحان لاشغال وتراكيب مختلفة تساعد على احياء الذوق والاستعداد للصنائع وفى مدرسة روش سقيفة كبيرة على المنافع ستقطع وتستعمل فى اشغال النجارة وأما اشغال الحدادة فستعلم فى مسبك مجاور للمدرسة تحت ادارة مهندس فى الصنائع والورش الذى سيقوم ايضاً بتعليم الميكانيكة والطبيعة والكيميا وبهذا يكون التعليم نظرياً كما يكون عملياً .



ورشة النجارة الدقيقة

٣ زيارة العزب والمعامل وجمع المعادن والنباتات والحيوانات والمساحة ورسم المسطحات الخ

واهمية هذا التعليم هي وضع التلميذ في مقابلة مظاهر الحياة الحقيقية . والاقليم الذي توجد فيه مدرسة روش مناسب جداً وصالح بصفة مخصوصة لهذا الموضوع لانه صناعي وزراعي فمن جهة الزيارات الزراعية فهي متيسرة في حدود نورمانديا التي تكثر فيها زراعة البقول وتربية الحيوانات وحدود

بوسا التى تكثر فيها زراعة الحبوب فضلاً عن الغابات المنتشرة التى تساعد على درس ادارة الغابات ومن خصوص الزيارات الصناعيـة فهذا الاقليم صالح لها جداً فانه يوجد على ضفاف اغلب مجارى المياه معامل مقامة فى الخلاء كلها محركات مائية وبخارية ويمكن ان تحصل منها على مشاهدات ميكانيكية مختلفة فعلى نهيرالاتيون وحده الذى يحيط احد فروعه بمدينة ڤرنوى المجاورة لباريس توجد المعامل الآتى بيانها : خمسة وسبعون وابور لطحن الغلال وطاحونة عطآن (مادة للصباغة) واربع ورشات لنشر الخشب وورشتان للحدائد واربع مدابغ وورشة لصب الزهر والنحاس وورشة لعمل المسامير واربع فابريقات خرداوات وفابريقتان لعمل الدبابيس والمسامير الابرة وفابريقة ابازيم ومشابك وفابريقة اوانى وفابريقة خزائن نحاس وثلاث معامل للبنيان والعمارة وجملة ورش للصقل وخمسة ورش للدلك وورشتان لعمل خيطان القطن وفابريقتان لعمل خيطان الشعر السميكة وفابريقة لباد وثمانية ورش لضغط الجوخ واللباد ومصبغة وفابريقة ورق وفابريقـة خردل (موسـتارده) وثلاث آلات للرفع ومعمل للاستصباح الكهربائى الى غير ذلك .

فهذا الاقليم يجمع فى متسع محدود جملة فابريقات مختلفة تنفع التلميذ بصفة دروس اشيا وبموالاة الزيارة لبعض تلك المعامل يمكن ان نمكن التلامذة من تتبع التحويرات المتوالية التى تطرأ على المحصولات المعدنية والنباتية والحيوانية اعنى المواد الاولى التى منحتها الطبيعة لنفع الانسان وهل يوجد علم اكثر من هذا ضرورة وتثقيفاً للعقول واقرب لاستجلاب

اهتمام التلميذ حتى الصبيان وما يحفظ بهذا الشكل لا يمحى ولا يزول ورؤية هذه الاشياء تحيي من البكور قابليات ربما كانت تبقى كامنة او تمحي بغير ذلك ويستفيدون كذلك من هذه الرياضات فى الغيطان بجمع المعادن والنباتات والحيوانات ويعمل التلامذة مجموعات يرتبونها باحسن طريقة عملية وتتم دروس علم الارض والنباتات والتاريخ الطبيعي وكذلك أعمال المساحة ورسم المسطحات التى تعمل على تلك الاراضى هى أيضاً متممة لدروس الحساب والهندسة والرسم ترسمها فى الرؤس وتنقشها على الذاكرات وتنير هذه العلوم .

ويصرف باقى الوقت الى المساء فى الالعاب والرياضات البدنية خصوصاً بواسطة كرة القدم شتاء وكرة الحائط والسباق وكرة العصا صيفاً والدراجات واطلاق المدافع فى كل الفصول ويصلح نهير الايتون الذى تكلمنا عنه وهو يجرى بجوار المدرسة للسباحة فيه بفلايك صغيرة يغطس منها جزء صغير فى الماء ويقطعون بها مسافة عشرة كيلو مترات والتمرن على اطلاق المدافع يساعد على الخصوص فى تقوية الاذرع والصدر ويتم فعل التمرينات الاخرى التى تقوى السيقان والافخاذ وبذلك تجمع دونمة المدرسة بين اللطف والفائدة .

وهكذا تصلح الدراسات المختلفة التى عوضت دراسة اللاتينى وحدها المملة الغير مفهومة لاحياء جميع القوى العقلية وتصلح التمرينات المختلفة لانماء جميع اجزاء الجسم وهذه هى التربية الحقة الصحيحة لان الواجب ان لا يهمل الجسم ولا العقل لان هذين العنصرين لا يفترقان

فى الانسان ويجب ان يحوزها معاً فلا يجوز ان نضحي الجسم فى صالح العقل بل يلزم ان نوجد بينهما التعادل التام الجميل والمدرسة يجب ان تربي فى الصبيان سعة الذكاء وسعة الصدر . وحيث علمنا ان الصباح يصرف فى الدروس المكتبية واغلب بعد الظهر فى الاشغال العملية بقى علينا ان نعرف فيم يصرف المساء . يصرف المساء فى الاشغال الصناعية وملذات الاجتماع أعنى فى تكوين الرجل المدنى رجل الدنيا وتخليصه من تلمذتنا المحزنة المرتبكة وهنا اذكر فقرة جميلة من بروجرام ابوتشولم « انما غايتنا ان نعود الشبان على ان لا يكونوا مرتبكين ولا خمولين وعلى ان يتلذذوا فى الاجتماع بمن هو اكبر منهم سناً ولذلك فهم فى كل مساء يجتمعون مع بعضهم فى قاعة الاستقبال ويقابلون فيها سيدات المدرسة والاجانب الذين يأتون لزيارتنا أما القاعة التي أعدت لذلك فهي مرتبة بكيفية تبعث الانشراح وتشعر بالسعادة والائتلاف باثاثها ونقوشاتها وزيناتها . وبحسب النهار تخصص الليالى لمطالعة قطع منتخبة أو قراءة اشعار أو للتشخيص أو النقش والحفر على الخشب أو عمل ارانيك وتماثيل أو الرقص أو الاجتماعات بعد الاستعداد على رسومات عن موضوع الاجتماع او بدونه اما مساء الاحد فهو للمجتمعات الدينية والادبية فان الدين أهم أقسام الحياة ويلزم ان الحياة تتشبع منه ولكننا لا نشخص لهم الدين بصفة جزء من الحياة بل كأنه كل منتظم تآلفى يلزم ان يسرى بجميع الانسان ويدير جميع حركاته وهكذا تكون المدرسة مساعدة بهذا الاعداد لرجال الدين الذين سيرجع اليهم التلميذ فى تعلم الدين .

فانر الآن كيف يكون التلميذ عند اتمامه الفرقة الرابعة اعنى آخر فرق القسم العام فنرى انه يتكلم حقيقة بثلاث لغات حية الفرنساوية والانجليزية والالمانية وانه صرف فى الجغرافية والتاريخ وقتاً اكثر مما فى التعليم الحاضر ودرسها على نظام احسن فى اظهار ارتباط الحوادث وانه تحصل على معلومات واسعة عملية فى العلوم الطبيعية والكيميا والطبيعة التي تجهلها بالمرة بروجراماتنا قبل سنة الفلسفة وانه يعرف مبادىء على زراعة الحدائق وفلاحة الاراضى وتدرب على اشغال النجارة والحدادة وتقوى جسمه من الحياة فى الهواء المطلق والتمرينات العضلية فضلا عن معرفة الصنائع والموسيقى والحياة الاجتماعية بفضل الاشتغال بها فى المساء كما تقدم وبواسطة هذه التربية المختلفة يظهر كامن كفاءته وامياله لهذا النوع او لذاك حيث احيينا فيه جميع قوى حب الاستطلاع العقلى ولم نربطه على ترجمة عبارة لاتينية او يونانية تافهة غير مفيدة بل بالعكس نكون فتحنا له مطلات على جميع طرق المعارف والحياة حتى يمكنه ان يختار لنفسه او يختار له اهله ما يحلو من هذه الطرق بناء على اسباب صحيحة .

الفصل الثالث

للقسم الخاص اى الثلاث سنوات الاخيرة اربعة فروع اساسية : فرع الآداب وفرع العلوم وفرع الزراعة والاستعمار وفرع الصناعة والتجارة ولوحة الحصص تبين لنا الاوقات المخصصة لكل فرع منها .

ففي قسم الآداب الذى يحتوي على التلامذة الذين يريدون الحصول على البكالورية الادبية تغلب دراسة اللاتيني واليوناني وتشغل اكثر الوقت ويدرس التاريخ والجغرافية لا كسلسلة اسماء ووقائع لا ارتباط بينها بل تدرس كما سبقنا الى ذكره بعلاقاتها ببعضها وبالحياة الاجتماعية وهذه المبادىء الغير مشتتة المرتبة تكون اسهل واكثر تشابهاً وثباتاً فى الحافظة وفى هذا الترتيب والتوافق ضمانة للنجاح ويصرف التلميذ فى علوم الرياضة والفرنساوية والرسم زمناً على الاقل مساوياً لما فى التعليم الحاضر .

وحقيقة هو يدرس اللاتيني واليوناني مدة ثلاث أو اربع سنوات بدلا من ستة أو سبعة ولكنه يدرسها على طريقة عملية اسهل وانفع اى على الطريقة الوحيدة المنتخبة المفيدة وحيث اتفقنا على ان التلامذة الحاليين لا يحسنونها فهو يعرف منها على الاقل مثل ما يعرفون وبحسب التجربة يمكننا ان نقرر ان بروجرام المدرسة الجديدة اوفق واعلا من بروجرام المدارس الحاضرة بالنسبة للاستعداد للبكالورية الادبية .

ومع ذلك فالمسيو لافيس يبشرنا بان الرجل الذى سيعتقنا من ربق البكالورية ربما يظهر باكراً حيث الطريق الآن مفتوح له وسيكون ذلك اليوم نجاة للتربية والتعليم من قيدهما الثقيل ونجاحاً لهما عظيماً .

ولست فى حاجة لشرح سمو بروجراماتنا بالنسبة للعلوم والزراعة والاستعمار والصناعة والتجارة فان قيمتها العظمى كالشمس فى رابعة النهار حيث ان التلميذ ينغمر فى فحص اسرارها ابتداء من الفرقة السادسة بدون انقطاع بخلاف الحالة الحاضرة حيث لا يقربها التلميذ الا بعد البكالورية

الادبية مدة سنة او سنتين بطريقة نظرية محضة .

فتلامذتنا اذن يمكنهم ان يتقدموا فى امتحاناتها بمعلومات عميقة متشابهة درسوها زمناً طويلاً لا سطحياً فى مـدة قصيرة كالمدرسة التجهيزية وكما انهم كفؤ لان يتقدموا للامتحان هم كفؤ لان يتقلدوا احدى الوظائف مباشرة ولا نزاع فى كونهم مستعدين للحياة بصحتهم (هذا الكنز الذى يجنى عليه التعليم الحاضر بسوء التصرف) ونشاطهم وطول بالهم وسلطانهم على انفسهم والكفاءة للمشروعات وتتبع الاعمال والاستعلاء على الاشياء وهم أيضاً اكفاء لقيادة الرجال لانهم تعودوا قيادة انفسهم ولان يكونوا رجالاً .

وهذا المشروع الكبير الذى يقيمه الآباء بقوة اقدامهم الشخصية نضعه تحت عناية الله سبحانه وتعالى ونسأله ان يساعدنا لاننا نعمل لتخليص اولادنا واميالنا طاهرة ولانه قيل « ساعد نفسك يساعدك ربك . »

الباب السابع

ولزيادة البيان ونشر البروجرام الذي عرضناه الآن سنأتى على بعض مقتطفات من « بدالس ريكورد » وهى مجلة دورية تنشر الحوادث المهمة فى حياة مدرسة بدالس ويحررها الاساتذة وغالباً التلامذة انفسهم وهى تساعد على الوقوف على جميع التفصيلات فى حركة ووظيفة هذه التربيـة

المخالفة بالمرة لتربيتنا وبذلك يزيد عندنا الاحساس بحقائق الاشياء واستلفت انظار القارىء بصفة مخصوصة لثلاث نقط .

اولاً — اختلاف مواضيع الدراسة والاشغال الضرورية لعدم ملل التلميذ وايقاظ ذهنه وهدايته لمستقبله .

ثانياً — النشاط الزائد الذى تتم به هذه الدراسات وهذه الاشغال وهو احسن تحقيق للنظام المتبع .

ثالثاً — تخويل التلامذة حرية الانتخاب فى تلك الاعمال كما يهمهم او كما يعتقدون انه ينفعهم فهم بذلك يتعلمون من المدرسة معرفة الاحوال وتحمل المسؤلية .

وقبل عرض لوحة هذه الحياة المدرسية على القارىء نفضل ان نشرح له ترتيبها واليك جدول الحصص ومواقيتها يومياً :

صباحاً

	دقيقة	ساعة		دقيقة	ساعة	
	٠٠	٧				صحيان
	٢٠	٧				سباق صغير فى الخارج كرياضة مع استعمال السلاح
	٣٠	٧				فطور كامل
من	٣٠	٨	الى	٢٠	١٠	الدرس الاول والثانى وراحة وغداء
»	٣٠	١٠	—	٢٠	١٢	الدرس الثالث والرابع

مساء

من	٢٠	١٢	الى	٠٠	١	تمرينات جمبازية (وفى الصيف استحمام)

مســـــــاء

دقيقة	ساعة		دقيقة	ساعة	
				١	غداء
من ٠٠	٢	—	٣٠	٥	نجارة دقيقة ورسم والعاب وزراعة الحدائق واشغال الزينة الخ
			٣٠	٥	عشاء
« ٠٠	٦	—	٠٠	٧	الدرس الخامس (وصيفاً تمرينات ودراسة الكرة)
« ٠٠	٧	—	٣٠	٧	موسيقى ومجتمعات ومطالعة وعمل انموذجات ونقش الخ (وصيفاً درس)
			٣٠	٨	اكل خفيف وصلاة ونوم

اما الاطفال فينامون قبل ذلك (١)

---

(١) وقد وردت لى مجلة مدرسة روش وفيها مواقيت الدروس عن فصل الشتاء فاحببنا نقله لما فيه من بعض الفرق وهو

(١) الايام المعتاده

دقيقة	ساعة		دقيقة	ساعة	
٣٠	٦				صحيان واستحمام وهندمة وصلاة
من ٥٥	٦	—	٥٥	٧	مذاكرة
« ٥٥	٧	—	٤٥	٨	الفطور الاول (تغيير ريق)
« ١٥	٨	—	٤٥	٨	وقت حر (تصلح السرر)
« ٤٥	٨	—	٥٠	٩	الدرس الاول
« ٥٥	٩	—	٠٠	١١	الدرس الثانى
« ٠٠	١١	—	١٥	١١	وقت حر (رياضة)
« ١٥	١١	—	١٥	١٢	درس او مذاكرة

ويوجد بمدرسة بدالس الآن ستون تلميذاً وهو اكبر عدد يمكنها قبوله .

	دقيقة	ساعة		دقيقة	ساعة	
من	٢٥	١٢	—	٥٥	١٢	فطور
»	٥٥	١٢	—	٠٥	٢	تصليح الملابس وزمن حر (رياضة)
»	٠٥	٢	—	٠٥	٣	كرة القدم للصغار ونجارة وزراعة الحدائق او موسيقى للكبار ومذاكرة للمشتغلين باللاتيني
»	١٥	٣	—	٢٥	٣	اجتماع عام وجمباز للجميع
»	٢٥	٣	—	٢٥	٤	كرة قدم للكبار ونجارة وحدائق او موسيقى للصغار
»	٢٥	٤	—	٠٥	٥	استحمام بالماء الفاتر وطعام خفيف
»	٠٥	٥	—	١٠	٦	الدرس الثالث
»	١٥	٦	—	٢٠	٧	الدرس الرابع
»	٢٠	٧	—	٣٠	٧	غسيل وجه
»	٣٠	٧	—	٠٠	٨	عشا
»	٠٠	٨	—	٠٠	٩	اشغال مختلفة وجلسات او موسيقى
				٠٠	٩	اجتماع وصلاة ونوم

(٣) ايام الاربعاء

مواقيت الصبح كالمعتاد

»	٥٥	١٢	—	٠٠	٤	رياضة وموسيقى
»	٠٠	٠٤	—	٣٠	٤	غسيل وجه وطعام العصر
»	١٥	٤	—	٢٠	٥	ديانة وقربان
»	٣٠	٤	—	٣٠	٥	رسم ولغيرهم مذاكرة مرة او موسيقى
»	٤٠	٥	—	٥	٦	غناء

وسنعتمد فى منتخباتنا على مجلة الريكورد للعام الماضى لان مجلة هذه السنة لم تصلنا لحد تحرير هذه السطور ويفتتح المجلة ناظر المدرسة المستر بادلى بمقالة يعدد فيها حوادث السنة المهمة بالاجمال وسنذكر خلاصتها

الفصل الاول

(اعمال العام المهمة)

ان نصيبى الخصوصى هو افتتاح كل عدد من مجلة المدرسة بمختصر بسيط عن جميع حوادث السنة وسترى ان مشروعنا يتقدم وينمو بين نجاح وخسارة متبادلتين يلزم ملاحظتهما بالسواء :

	دقيقة	ساعة		دقيقة	ساعة	
من	١٠	٦	—	٠٠	٧	مذاكرة ودرس موسيقى
»	٠٠	٧	—	١٠	٧	غسيل وجه
»	١٠	٧	—	٤٠	٧	عشاء
»	٥٠	٧	—	٥٠	٨	ليالى موسيقى و آداب
				٠٠	٩	اجتماع وصلاة ونوم
						(٣) الاحد
»	٣٠	٧				صحيان واستحمام وهندمة وصلاة
»	١٥	٨	—	٣٥	٨	فطور (غيار ريق)
					٩	قداس وخدمة دينية (تعبد)
»	٠٠	١٠	—	٠٠	١٢	رياضة
»	١٠	١٢	—	٤٠	١٢	فطور
»	٤٠	١٢	—	٣٠	٤	رياضة
»	٣٠	٤	—	٠٠	٥	اجتماع وطعام العصر

« ففي الشتاء زاد عدد التلامذة بمدرستنا كما انها ارتقت وتقدمت وأكد لنا فوزنا فى كلية كمبردج ان طريقتنا وعيشتنا ومستوى تربيتنا مع قصر الحصص واختلاف الاشغال ليست بنظرية بل لها ثمرات فاخرة وثبت ذلك من تقرير ممتحن الكلية فبدالس ليست فقط مدرسة لتعليم اجادة الزراعة ولعب كرة القدم بل هي أيضاً من احسن المدارس فى نظام التعليم ومستوى التربية » ولنـذكر بعض كلمات عن مناظر حياة المدرسة المختلفة من ابتداء عودة التلامذة ونتكلم اولاً عن ماجريات الشتاء :

« فمدة الشتاء هى أحسن مدة للدراسة المدرسية وقد تم بها جملة أعمال نفيسة وقبل احد تلامذتنا مجاناً فى كلية كمبردج بعد ان امضى امتحانات مقرونة بالنجاح وفى آخر الفصل باشر الامتحان السنوى عندنا المستر كارتر عضو فى (لنكولن كوليج) باكسفورد وقد انجلى الامتحان عن نجاح باهر عام عن نتائج السنة الفائتة وسر المستر كارتر من نباهة الاجوبة وخصوصاً من الفرقتين الثانية والثالثة وقال فى تقريره (ما ذكرناه فى

	دقيقة	ساعة		دقيقة	ساعة	
من	٥٠	٤	—	١٠	٦	ديانة وقربان
»		٥	—	١٠	٦	تعليم الديانة
»	٢٠	٦	—	٤٠	٦	صلاة نشيد
»	٤٠	٦	—	٠٠	٧	غناء
»	١٠	٧	—	٤٠	٧	غسل وجه
»	٥٠	٧	—	٥٠	٨	اجتماع ومؤتمرات او موسيقي
»	٠٠		—		٩	اجتماع وصلاة ونوم

الباب السابق) وفى آخر الفصل شخصنا اهم الحوادث كما هى العادة السنوية فى بدالس وفى هذه السنة شخصنا (هنري الخامس) من روايات شاكسبير وقامت التلامذة بتأدية فصولها وباشر المستر جروب احد اساتذتنا عمل الزينات والرسومات وعملت جميع الملابس تقريباً بالمدرسة ودعونا الاقارب والاحباب والجيران وكانت القاعة غاصة بالناس وكلهم ينشطنا بالاستحسان . »

« وتمت جملة اشغال مختلفة فى النجارة الدقيقة هذا الشتاء وساعدنا على العمل باركر تلميذنا القديم حيث اعاننا فى تعليم التلامذة مع المستر جاآنر وصنعت عدة اشياء للمدرسة . »

« وتقدمت الموسيق جداً والجوقة التى شكلناها فى الخريف الماضى لها مركز مهم الآن وتنفعنا فى مجتمعات يوم الاحد والاربع وصار تعليم قطع هايدن وترنموا بها فى الجلسة الاخيرة وسر المتفرجون والتلامذة وفى ذلك تمرين جميل لمشخصينا الحاليين والمستقبلين ولنا فى كل سبت اجتماع على مواضيع مختلفة مع رسومات نسبية على التختة وبواسطة أشعة الفانوس السحرى وتقدمت كرة القدم تقدماً عظيماً كباقي الالعاب ودخلت فرق جديدة فى نزال الكرة ويحق لنا ان نفتخر بهذا الفصل حيث كسبنا ثلاثة عشر دوراً على ستة عشر وخرجنا من اثنين على غير نتيجة . »

« ثم جاء فصل الخريف وكان فصلاً جميلاً سكنا فيه بناءنا الجديد المشيد فى ليثون وكان عندنا فى اول الفصل عمل كثير لاتمام الاشغال الاخيرة فى النقش والتحلية فباشر تلامذة الفرقة الثالثة تحت ملاحظة

المستر جروب زرع الحديقة وترتيبها حتى اصبحت من اجمل المساكن واشتغلنا فى عزبة سكان هيل فى البرسيم وكان الفصل متأخراً ولكن الزراعة كانت جميلة واجود من السنة السابقة وساعد چاب فى حلب البقر واشغال عزبة بدالس وقامت السيدة لامب مع تلميذين بمباشرة اعمال معمل اللبن وكانت تذهب معهما فى كل اسبوع مرتين لعملية الخض وقد زاد لعب كرة السباق وتحسن لعبها وفى المرة الاولى لعبنا نزالاً على اراضى بدالس التى ليست باوسع من اراضى العزبة ولكنها احسن منها وقد عزمنا على اعداد اراضى احسن منها للاعوام الآتية . وحيث ازيلت جميع الصعوبات فى تنظيف حوض العوم فتعلمه كثير منا ولم يخب فيه سوى ثلاثة او اربعة كما ان الغطاسين نجحوا تماماً وعملنا كلكا (اخشاب تربط وتلقى على وجه المياه للنقل) تسلينا به كثيراً وعملنا سباقاً فى العوم فى الاسبوع الاخير . »

« وكان هذا الفصل الجميل مناسباً جداً للمجموعات الصالحة للتاريخ الطبيعى وقد تم فيه اعمال فاخرة من هذا القبيل وقد تحورت فى هذه السنة طريقة تدريس التاريخ الطبيعى لاهم منها فى السنة الماضية وزادت العناية بعلم النباتات وجميع مجموعات النباتات المضغوطة . »

« اما الاشغال العقلية فاستمرت فى هذا الفصل كالمعتاد وفى يونيه امضى هوفمان امتحان الاستاذية بلندره وكان من الاول وامضى لوبر الامتحان للدخول فى ملفورن وسيكون بها فى الفصل المقبل . ولنلاحظ ايضاً انه حصل تقدم باهر فى الرسم . وفى آخر الفصل كثر عندنا الزوار

الفرنساويون والالمان والمسكوب الخ حتى توهمنا اننا فى زمان تبلبل الالسن وكنا نود كثيراً ان يبقى هؤلاء الزوار عندنا زمناً أطول مما قضوا وما اسرع ما عدنا للعزلة حيث لا يعود الكثير بيننا فنتمنى لهم النجاح والسعادة ونتعشم ان نسر برؤياهم مرة أخرى فى بدالس .

ج . ه . بادلى

الفصل الثانى

(الدراسة المكتبية)

كانت نتائج التدريس باهرة وقد لوحظ ذلك من الفوز فى امتحانات كلية كمبردج من ملحوظات ممتحن كلية اكسفورد ومن التفصيلات التي ذكرت قبل عن البروجرام والفرقات باختلافها ونكتفي الآن عن الاعادة بذكر نقط تكميلية فمجلة بدالس ريكورد تنشر سلسلة مذكرات علمية او ادبية محررة باقلام التلامذة فى مواضيع مختلفة كوصف حيوانات او فصيلة نباتات كالعاقول والورد ومذكرة على السحلبية وحوادث عن قطعة فحم وتاريخ عنوانه « روبين هود » ومذاكرة على « جوهن بونيان » وتاريخ عجيب معمول بصفة تمرين على التحرير فى شرح ستة صور رسمها احد التلامذة وحكاية عن « حادثة حربية » و « ليلة فى مملكة الاجسام المحنطة » وهى حكاية مضحكة . وكثير من التلامذة يحكى الماجريات التى رآها فى المسامحة كزيارة جزيرة اران (ثم ذكر المؤلف عنوانات حكايات كثيرة من قبيل الزيارات نتركها لصعوبة النطق بالفاظها الاصطلاحية .)

ولا شك ان هذه الحكايات التي يصف فيها التلميذ اشياء رآها هى من احسن التمرينات على التحرير وانها من اكبر ما يساعد على توسيع قوة التخيل والملاحظة لا كتخيلات الرومانيين والأثينيين فى قطعان نظرية وهمية وكتب تلميذ آخر على الرواية الخفيفة الادبية التى شخصت فى بدالس وكان بها رسومات جميلة نقشها تلميذ آخر من اقرانه وكان المجموع من اجمل مايرى وتنشر المجلة ايضاً مذكرات مقتطفة من دفاتر العلوم للتلامذة فمنها ماهو على الماء البارد أوالدودة الدموية أو الفرق بين الشريان والوريد أو على المفاصل الاصلية فى جسم الانسان او على تشريح قلب الخروف وهذا الموضوع الاخير كان بناء على المشاهدة التى عملت على خروف ذبح بالعزبة ويكلف بعض التلامذة بتحرير ملخصات عن الاعمال التى تمت فى بحر السنة فى بعض الفرق فقال الذى حرر على علم الآثار ما يأتى :

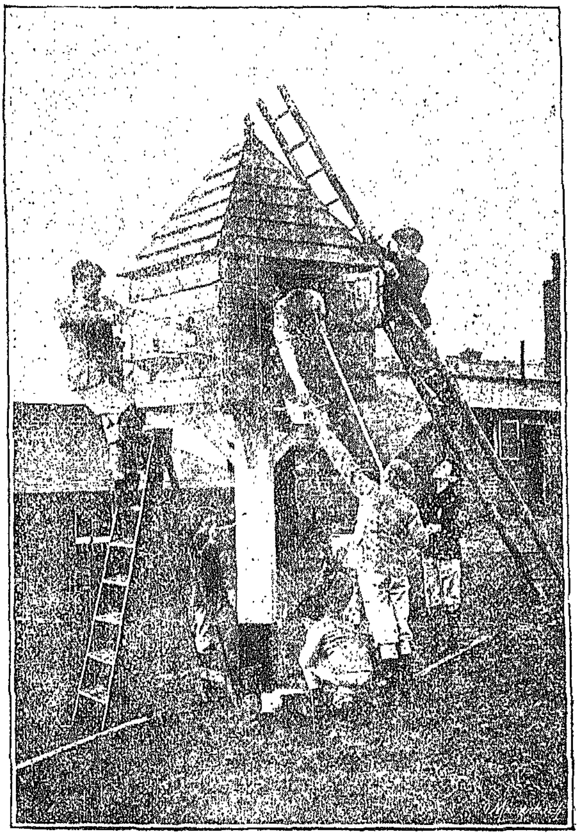
« لقد عمل مارش (تلميذ) مجموعة من خمس قوالب صب مأخوذة على برونز قديم مهم مصحوبة بشروحات (واستمر فى شرح البرونز) وانا سعداء كلما نرى علم الآثار فى تقدم ونتعشم ان يكون لنا فى السنة الآتية مجلة تحتوى على دراسات مستوفاة عن الكنائس التى نزورها اثناء الفسح الآثارية وان تنشر برسوماتها ومناظرها وقدكان شروعنا فى هذه السنة حسناً فلنزده حسناً ولهذا يلزم ان نشتغل فى ذلك مدة السنة كلها . »

واليك ماقيل عن اعمال التاريخ الطبيعى : « انى ممنون جداً من تكاليفى بموضوع التاريخ الطبيعي وشرح النتائج الحسنة التى وصلنا فيه اليها ويلزم التنويه بصفة مخصوصة لعلم النبات وترتيب الحشرات بحسب درجاتها

الطبيعية وهـذا افضل من جمعها فى العلب وتقرر ان يكافأ ليبتون وبولوك ومارش بصفة خصوصية . »

«علم الحشرات — نذكر من بين المجموعات العديدة مجموعة كرمبتون وهى من اربع علب كبيرة وعيناتها محفوظة ومرتبة ترتيباً حسناً واحداها تحتوى على ابو منزل والكوليوبتير (نوع مشابه لسوس الحبوب) وذلك يستحق الذكر لان التلميذ يزداد نجاحاً اذا جمع جميع اصناف الحشرات ولم يكتف كما هو الغالب بجمع صدفية الاجنحة (حشرة) وتقرر انشاء كشف عن العينات المجموعة فى كل سنة وآخر عن التى تكون جُمعت فيما قبلها . وجمع بروك وباران مجموعات صغيرة تحتوى كل واحدة منها على خمسة وعشرين عينة من الحشرات وابتدأ ماثيوس ايضاً فجمع عشرة انواع واما اعمال لوبتون وبولوك فقد اشرنا اليها وكأنما داخل عليهم زرائب او ماشابه بالنسبة لاوراق الحشائش التي فى داخلها الفراش والديدان الصغيرة والديدان الحديثة وجميع انواع الحشرات المرتبة ومن احسن انواع النجاح ان التلامذة يتبعون نظام ترتيب الحشرات ونتعشم ان نذكر فى السنة الآتية اكثر من ذلك . ويوجد طرق جميلة لتحضير تلك العلب اذ يمكن ان تكون اكبر مما هى الآن وتوضع بها الطيور والحشرات الخ فى ترتيباتها الطبيعية فمثلاً توضع الدودة كما وضعها لوبتون فى ورق فى عيون وسنجرب اذا كان يمكنا ان نشخص حشرة فى جميع ادوار حياتها واشكالها واوضاعها أعنى البيضة ثم الدودة ثم الدودة الحديثة ثم الحشرة الاخيرة التى بلغت آخر درجات التحول وصارت تطير فنضع كلا منها مرتباً فى عيون متوالية

ونضع الحشرة ذات اللون الفاتح وراء الحشرة ذات اللون الغامق وهكذا او على طرق أخرى . وكل ذلك يحتاج للدرس الدقيق بواسطة الكتب والطبيعة وبعد ذلك يهون العمل . ومن الواجب على علماء الطيور ان يعملوا مثل ذلك بعد ان يهتدوا بما يرون فى دور التحف (الانتيقخانة) وقد زادت مجموعات المدرسة حتى اصبح فيها اكثر من مائة وتسعين نوعاً واذا لاحظنا ان الوقت فى هذه السنة لم يكن مناسباً لقلنا ان التقدم عظيم . »



تلامذة يبنون برجاً للحمام

« علم الطيور — جمع فنسان وجتين تقريباً احدى وخمسين عينة من بيض الطيور وجمع مارش ستة عشر عينة . »

« علم النباتات — أحسن مجموعة هى التى عملها جلفورت وهى تحتوى على اكثر من ١٥٠ عينة مجففة جيداً ومثبتة تماماً وعمل قائمة نباتات وهى النقطة المهمة وقد تضاعفت هذه المجموعة فى هذه السنة واهم منها مجموعة تيلدن ولكنها لم تتقدم عن السنة الماضية وكان يجب عليه ان يعتنى بكتابة اسماء النباتات لا ان يكتبها بالقلم الرصاص كما فعل . ولديولن مجموعة جميلة تحتوى على خمسين عينة مرتبة ترتيباً حكيماً مع الاسماء المعتنى فى كتابتها . وقد حفظ كثيراً من هذه النباتات نقوشه . وابتدأ فى الجمع جرين وبارنجتون وسوانوتيس واحسن مجموعاتهم مجموعة جرين التي تحتوى على ثلاثة وعشرين عينة . وحبذا اذا لم يكسل علماء النباتات عند ما يرون ان مجموعاتهم اقل من مجموعات غيرهم فان المجموعة اذا ضوعفت فى السنة تكون فائدتها اكبر من نتيجة تضاعفها . وفى هذه السنة اسست قاعة ليرتب فيها علماء النباتات مجموعاتهم وقد زارنا فى آخر الفصل المستر بريتويت وساعد الملتقطين كثيراً على معرفة وتمييز انواع النباتات وحفظها وضغطها بدون اتلافها وبكل أسف بارحنا فى آخر مايو وارسل لنا علبة زهور من شمال انجلترا فيها جملة انواع كنا لا نعرفها الا من القوائم والفواتير . وقد عثرنا على بعضها فى مجاورة بدالس وعثرنا ايضاً على ثمانية انواع جديدة من العاقول والساكز فراج (نبات ينبت بين الاحجار) وزهر الربيع الى آخره . »

ت . و . جروب

«وكتب تلميذ آخر على علم الحشرات اثناء الفصل فقال : «جاءنا ثمانية من علماء الحشرات فى هذا الفصل ولكن الاعمال لم تتقدم وبحسب المعتاد منحت اجازات للذين نجحوا تماماً فى مجموعات الزهور والحشرات ومنحت بعض مكافآت (١) على المجموعات الجيدة التي تشير الى حياة الحشرات . وانا نشكر دقة المستر چبسيون الذى تفضل علينا بوضع مرعى بجوار بدالس تحت تصرفنا فاصطدنا جملة حشرات جديدة . ومن ابتداء وسط الفصل كنا نخرج ليلة فى الاسبوع لالتقاط الحشرات الليلية وقد تضاعفت مجموعة بدالس تقريباً ولكننا لم نلتقط شيئاً نادر الوجود وقد وجدنا فى هذا الفصل ديداناً وحشرات زاحفة كثيرة . »

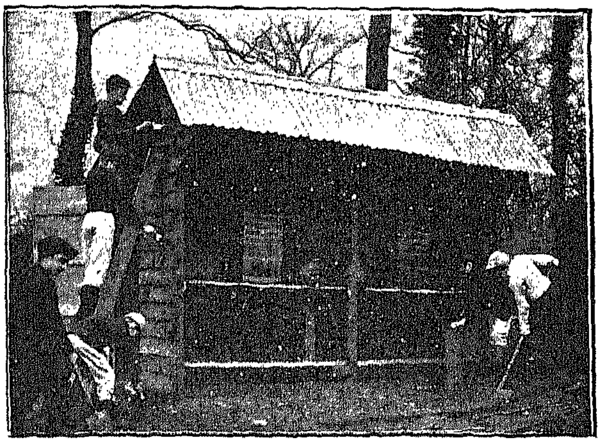
ج . ه . لوبتون

« أظهر بعض التلامذة الميل لتغذية الحيوانات بالتبن فاعطيت لهم المتوسطات وزارنا فى فصل الشتاء المستر هيدر ثلاث مرات لتدريس تغذية الحيوانات بالتبن واشتغل تحت ادارته ونسر وديمولن وواسطون وباكوز وكورلن وغذوا معه طائر الزريق والعرس وكثيراً من الطيور اما فى الصيف فلم يمكنهم ان يعملوا ذلك كثيراً لانه تعسر المحافظة على الحيوانات بالنسبة للحرارة . »

واستون وباكوز

---

(١) لا تمنح هذه المكافآت فى تسابق التلامذة او تقدم الواحد على الآخر بل من يحسن عمله عن ذى قبل لان الغرض ان يتقوى التلميذ على نفسه وان يجتهد فى التقدم من وقت لآخر لا ان يغار من اخوانه ويتسابق معهم



تلامذة يبنون خلايا النحل

« تستوجب العناية التى اعيرت لارباب الخلايا ان تلاحظ فاننا مكثنا مدة طويلة لا نشتغل بالخلايا ثم لاحت لنا ظروف جميلة للعمل فجنينا من ثلاثين لاربعين رطلاً من أجود عينات العسل ثم ترك المدرسة چيمس الذى كان مكلفاً بتعهد النحل فاقمنا مكانه المستر بول فاول حادث طرأ على الخلايا كان فقساً حصل فى ٢٧ مايو وحيث فقدت الملكة تفرقت الفقوس وانقض القفير الاول نحو خلية جديدة وتجمع الثانى فى وجه تلك الخلية فكان قفيران احدهما صغير والثانى كبير وظلوا فى هدو لغاية الاربعاء ثانى يونيه وبعد جملة مناوشات امكننا حبسهم فى خلايا عملها باركر ولوبتون وعمل المستر بول جملة تغييرات فى الخلايا فاصبح الكل على احسن حال . »

د . ل . مارش

يرى الناظر فى قاعة الاكل بمدرسة بدالس سلسلة اوعية متوازية تحتوى كل منها على زهرة مختلفة النوع فلما سألت عن سر ذلك قيل لى

انه (معرض الزهور الاولى التى اكتشفها التلامذة فى فسحهم وبذلك يسهل عليهم معرفة مواعيد تفتح الزهور وهم يتسابقون للوصول اليها ولهذا التمرين فوائد جليلة واليك المذكرة التى عملت بهـذا الخصوص فى فصل الشتاء :

« عثر المستر جروب على أغلب الزهور وكذلك جلفورت وڤنسان ولم تكتشف للآن نباتات غريبة وقد التقطت تسعة زهرات من المذكورة فى (نتيجة الزهور) وظهرت زهرة الكوكو في مقدمـة الزهور باكراً حيث وجدها المستر جروب فى ٩ مارث بيدان ميعاد ظهورها بحسب النتيجة هو السادس عشر منه . وهذه قائمة الزهور التى وجدت مع تواريخ اكتشافها :

١٧	يناير	زهرة الربيع
٢٤	»	زهر البندق
٣١	»	زهر البابونج
»	»	زهر السنيون
»	»	زهر التوت
»	»	حشيشة اللبن الطويلة البقاء
»	»	زهر المورون
٣	فبراير	زهر العشبة
٧	»	زهر الشيح
»	»	زهر الاوكسيب

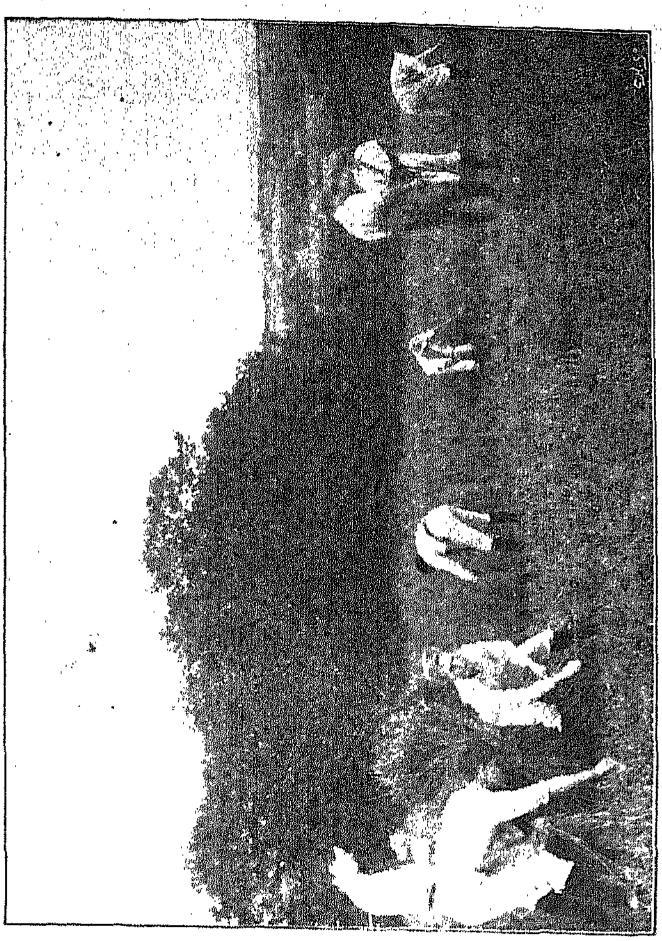
١٤	فبراير	حشيشة القريض الحمراء
١٨	»	زهر الشليدوان الصغير
٢٨	»	زهر يادان
»	»	زهر البنفسج
»	»	زهر القره الحادقة
٨	مارث	زهر شقيقة النعمان بالغابات
٩	»	اقحوان المستنقعات
»	»	زهر الكوكو

الفصل الثالث

(الشغل اليدوى)

قد رأينا فى لوحة الحصص ان جزءاً كبيراً من بعد الظهر يصرف فى الاعمال اليدوية بقصد تعويد التلامذة على النشاط اليدوى والصبر فى العمل وتحمل التعب والتمكن من المعارف العملية المختلفة الضرورية للحياة ومن بين تلك الاشغال الزراعة التى هى اهمها وافيدها . وزراعة الحدائق اسهل من زراعة العزب واليك ما قاله احد التلامذة عنها : « قد ازلنا فى هذا الشتاء من حديقة النزهة جميع النباتات الميتة وصلحنا المماشى والحواشى ثم زرعنا فيها القرنفل والميوزوتيس (نبات) وغطينا الكروم بالسباخ لحفظها من البَرَد وادخلت الكريزنتيم (نبات زهره ملون) بمجرد نزول البَرَد ولذلك بقيت زاهرة جميلة اما فى بستان الخضرة فقد قلعنا

الجذور وحفظناها كالبنجر والجزر الابيض والجزر واللفت الخ وقد نظفناها وغطيناها حفظاً لها من البَرَد ومع كل فقد كان قليلاً في هذا الفصل ثم عزقنا وسبخنا الارض لزراعة الخريف ، أحسنَ بعضُ التلامذة العمل وفاقهم چپتن ثم ابتدأت السنة وحل موسم تقليم الاشجار واعتنى بنت واتكنسون خصوصاً بدرسه وتوصلا لمعرفة تقليم جملة اشجار ثمرية وخصوصاً الكروم اما في الجنائن الخصوصية فالعمل قليل وقد جهز اتكنسون وكروبتون جنائنهما . اما في فصل الخريف فكان العمل كثيراً في بستان النزهة ودرس نبت تلقيح الكروم وتوجيه النباتات الزاحفة ونقلت الى القصارى جميع النباتات التي تحتاج للحرارة ووضعت في قباب الزجاج وقد اعتنى كثيراً بجملة انواع طماطم في تلك القباب ثم زرعت بجوار الجدران وطالت نباتات القصارى السنوية وخدمنا كومة من عش الغراب ومقاتات الخيار واول ما زرع هو الفجل والجزر والخس واشتغلت التلامذة في اعداد الارض للبذار وخصوصاً نبت واتكنسون ونمت البسلة او الحمص الصغيرة والفاصولية الخضراء وكانت خدمة باقي القصارى جيدة وزاد العمل في حدائق التلامذة الخصوصية عن الفصل السابق واذا كان الطقس جيداً يتحصلون على المحصولات . وازهر الورد في الصيف . ويبتدئ التزهير الثاني في هذا الاوان وكانت خضرة الحشيش زاهرة جميلة ما خلا الموضع الذي كنا نلعب فيه كرة السباق فانه كان ذابلاً جداً ونقيت الكروم على الجدران وقطعت الفروع التالفة وابتدأت في التزهير . وساعدت التلامذة في جني الثمار .



الحصيد بالعزبة

واشتغلوا جميعاً فى عزبة سكاين هيل ويتون بترتيب حدائقها وزرعت حدائق التلامذة فى هذه السنة وقد افلح ثلاثة او اربعة من انشطهم فجنوا الخضارات اما الصغار فكانوا فى حاجة لارشادهم فى الزراعة . »

و . ن . ر

يشتغل التلامذة الكبار بالعزبة عند ما يميلون الزراعة تريضاً او تمرناً عند ما يكونون عازمين على الاشتغال بها فيما بعد وهنا يحلو ان نكرر

الاستلفات الى ان هذا البروجرام الواسع المختلف يساعد وينطبق على أميال كل تلميذ وطبيعته واليك المذكرة التي حررها التلامـذة عن العزبة ونشرت : «كانت فراخ عزبة بدالس على غاية ما يرام وباضت ثمانية وعشرون فرخة سبعمائة بيضة فى شهور سبتمبر واكتوبر ونوفمبر ودسمبر ولم يحلب البقر فلم تصنع الزبد واضطررنا لمشترى اللازم لنا من الخارج وفى عزبة سكاين هيل خدم الفلاحون الارض لزراعة البطاطس اما التلامذة فاشتغلوا قليلا فى فصل الشتاء ثم ولدت البقرات فى وسط الفصل عجولاً ولذا كانت كمية اللبن فى بدالس عظيمة جداً فى آخر الفصل وحالة الخنزيرة والاحد عشر خنزيراً جيدة والفراخ التى كانت تبيض من بيضة لاربعة فى اليوم عادت تعطى من ١٢ الى ١٦ فى اليوم وعددها ثلاثه وعشرون فرخة منها أربعة على وشك حضن البيض اثنتان على ثلاثة عشر بيضة واثنتان على خمسة من فصيلة ويآندوت وجورن (نوع فراخ) كذلك خيول بدالس وسكاين هيل على أجود حالة . وفى زمن الصيف كانت عزبة سكاين هيل غنية جداً وكان محصول القمح والشعير جيداً وزراعات الخضارات جميلة ونتيجة البرسيم حسنة ومن ذلك قطعة مرعى لم تكف فى العام الماضى الا ثلاث عجلات كفت هذا العام بقرات بدالس وكان البقر فيها حلوباً والدجاج سميناً والخنزيرة تربى نتاجها وحلبت سموكر (اكبر بقر بدالس عمراً) لبناً كثيراً وسترى (اسم بقرة) التى كانت لا تحلب فى مايو حلبت لغاية ثلاثين كار (ميزان سوائل) فى يوليه ودامل (اسم بقرة) يزيد لبنها بينما لبن برندل وبرندى (بقر) فى نقص . وباضت الفراخ كثيرا فى هذا الفصل

ففي شهر ابريل باضت ثلاثمائة وخمسين بيضة وفى شهر مايو اربعمائة وتسعة عشر بيضة وفى يونيه اربعمائة وثلاثين بيضة وولدت الخنزيرة تسعة خنازير وفقست الفرخات ديوكاً وفراخاً وجمع البرسيم جيداً وكذلك جفف وجرن ولو ان الامطار تساقطت قليلاً فى الحش الاول . »

ث . ك . چوب

مذكرة صغيرة على الحيوانات المعهود تربيتها الى بعض تلامذة : « قد امحى الميل للغيران البيضاء وكرهها اصحاب الاملاك لقباحة رائحتها واطلقوها ولا يوجد الآن أحد يربي حيوانات خصوصية الا انا وكرمبتون واتكنسون فكرمبتون عنده ديك وفرخة من نوع وياندوت برأس مفضضة ودجاجتان لونهما أبيض من نوع ليجورن — وياندوت وانا عندى ديك من الدرجة الوسطى فى الانواع الانجليزية والهندية وثلاثة فرخات من جنس وياندوت وفرخة أخرى واسم ديكى روبنسون كروزو لانه غلب ديك العزبة فى المضاربة ولو انه أصيب ببعض ضربات وجروح وانكسر طرف منقاره وعندنا ثلاثة فرخات حاضنة واحدة ملك اتكنسون والثانية لكرمبتون والثالثة لى وفرختاها تحضن جيداً ولكن فرختي غضوبة غشومة وفى يوم واحد كسرت خمس بيضات ثم عوضت ذلك وباضت اكثر مما كسرت ولكن بيضها لم يكن ملحقاً والتزمنا ان نرميه . »

د . بادكر

ونذكر هنا شغلا آخر يدوياً وهو تجليد الكتب الذى يساعد جداً على التعود على الاعتناء والصبر والاستعداد الصناعي وهو أيضاً اختيارى

واليك ما جاء عنه : « تقدم تجليد الكتب كثيراً فبعد الظهر فى مساحات وسط الفصل توجه بعضنا مع المستر بول لزيارة مكتبة المستر ذايندوف وكان الرئيس غائباً فقابلنا نائبه وارانا كل شيء بنفسه فسررنا جداً وارانا معامل الحبك ثم المعامل التى يزيلون فيها البقع من الكتب بواسطة عمليات مختلفة ثم صنع غلافات الكتب من ابسطها لافخرها ثم كيفية الحصول على الصبغات والالوان المختلفة وكان أغلب الصناع المان . ورأينا صانعاً شاباً يبلغ العشرين من عمره يتم كتاباً فاخراً قيمته سبعة جنيهات وبعد ان أخذنا مذكرات على كل الاعمال زرنا المخزن المشهور بكثرة المؤلفات والمجلدات الغالية القيمة . وقد استفدنا كثيراً فى ذلك اليوم عن هذه المكتبة ومن يومئذ اجتهد هوفمان فى تجليد الكتب واصبح بيننا استاذ التجليد وقد اشتغل كثيراً وجلد كتباً فاخرة وكان بعض التلامذة يقضى حصتين فى المساء أسبوعياً فى تجليد الكتب وعمل بركر الصغير وچتين ولا وفورد وبولوك وماكنزى كل واحد كتاباً لنفسه وكان احسنها كتاب بولوك ولا نزال نتقدم فى هذا الباب . » ز . بنّت

« للتجارة الدقيقة مقدار عظيم عندنا وأغلب التلامذة يميلون لها ميلاً كبيراً وقد اصطنعت اشياء كثيرة للمدرسة الامر الذى قدم التلامذة تقدماً باهراً فعملت الفرقة الاولى عربة يد وصنع عجلاتها بنت وعمل لوبتون وبنوت دواليب وادراج فوضع الاول بها آلاته ووضع فيها الثانى مجموعة نقود وعمل جوب ولوبتون وكرمبتون وهرزفلد وماكي وڤيسان علبا مختلفة فى الجودة واصطنع هوفمان لنفسه دولاباً لمكتب وصنع بنوت عربة

ذات عجلة واحدة للنقل وصنع بوتر آله لصنع الجبن ذات القشطة وعيوناً للكتبخانة وصنعت تلامذة الفرقة الثالثة علباً معشقة على شكل ذيل عصفور الجنة كانت أكثر اتقاناً من مصنوعات الفرقة الاولى وغير ذلك كدواليب للمعمل الكيماوى ومقاطع للورق وبراويز ومساند طرابيزات الى غير ذلك وكانت اشغال الربيع أكثر من باقي السنة لان طول النهار ساعد التلامذة على زيادة العمل وكان كثير منهم يشتغل قبل الفطور ويعود للشغل بعد شاى المساء وكانت مصنوعات كل واحد ملكاً له يستعمله كيف شاء وأكثرها علب للمجموعات وعلى العموم التلامذة عندنا قليلو العناية بآلاتهم وترتيبها بعد الفراغ وقد اخذ ذلك يزول شيئاً فشيئاً ونتعشم زيادة الميالين للنجارة الدقيقة فى الفصل المقبل (لان الميل لها يظهر انه عظيم بالطبع لا بالضغط ولا محل للاستمالة الا مع الصبيان) واهم ما صنع ثلاث دواليب بادراج صنعتها تلامذة الفرقة الاولى وعلب وعيون للتاريخ الطبيعى وعيون للكتبخانة وغير ذلك .» ف . س . باركر

« لم يهمل فن النقش والحفر ففي الشتاء كان يشتغل بنقش الخشب خمسة عشر تلميذاً من الساعة السابعة ونصف الى الساعة الثامنة من مساء يومي الاثنين والثلاثاء وفى زمن الربيع كان عدد المشتغلين فيه ثلاثة وعشرين تلميذاً فنقشوا قطع خشب وبراويز طرابيزات ومقاطع ورق وعلب الى غير ذلك .» ز . ه . لوبتون الشاب

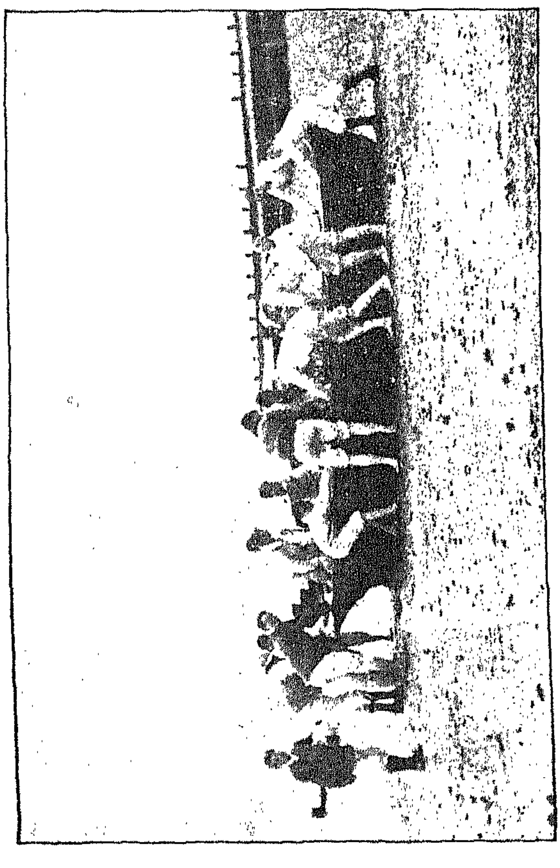
الفصل الرابع

(الالعاب والتمرينات العضلية)

تشغل الالعاب والتمرينات البدنيـة وقتاً عظيماً من بعـد الظهر وخصوصاً فى ايام الاربع والسبت والاحـد اعنى ايام البطالة التى يصرفها التلميذ كيف شاء واهم ألعاب الشتاء كرة القدم وهي فى تقدم كما يظهر من المذكرة الآتية : « لقد نجحنا كثيراً فى هذا الفصل فى ألعاب كرة الرجل لا لأن فريقنا الاول لم يخذل الا مرة واحدة بل لاننا ايضاً انشأنا فريقين آخرين ولو انهما لم ينالا فوزاً كبيراً الا انهما لم ينشآ الا بعد ان مضى على فريقنا الاول سنتان والذى يهمنا هو اننا ابتدأنا ، وبالتمرن يمكن النجاح ولم نرَ فريقاً يقف فى وجهنا الا نادراً ولو كنا انخذلنا جملة مرات لسررنا لاننا دوماً فى حاجة للتعلم ولكننا نفتخر بهذا الفصل فاننا كسبنا ثلاثة عشر دوراً من ستة عشر ومنها اثنان بدون غلبة ولم نخذل الا مرة واحدة والنقط التى كسبتها المدرسة فى مجموع الالعاب هي ثلاثة وثمانون والتى كسبتها الفرق الاخرى احدى وعشرون فقط . » ب

« واذا كان لعب كرة القدم هو الاساس فى الشتاء فان لعب كرة السباق هو رأس ألعاب الصيف لانه قليل الحرارة ولكنه لم يكن ساراً فى هذا الفصل ولو أنه احسن من السنة الماضية فجوب تقدم فى ضرب الكرة اما ر. باركر وبوتر وهوفمان ففيهم عيب وهو انهم يديرون رؤسهم اثناء الجرى ونفس الفرق التى غلبتنا ارتكبت غلطات ولو التفتنا لتحصلنا

على نتائج احسن . ولا تكنون دراية جميلة فى توقيف الكرة وحتين يحسن قذفها ويؤمل ان يكون سكوت وفنسان من احسن لاعبيها وقد ألفنا فريقاً آخر فى هـذا الفصل وصلحت جملة امكنة من وسط اراض مدحرجة محشوشة والذى ينقصنا الآن هو الميس (الشخص الذى يحجز الكرة) » و . ب . بول



السباحة (العوم)

ثم رأينا ما يأتى عن موضوع السباحة : « بالنسبة للترميمات التى

كانت دائرة فى حوض السباحة لم يمكن ملؤه الا فى وسط الفصل وقد تعلم ستة تلامذة كيفية العوم فى هذا الفصل وامتاز منهم باداف ولوبتون الشاب ويمكن لكثير منهم ان يعوم طول الحوض مرتين وجرت جملة سباقات بالعوم وكانت حسنة وكان امهر العوّامين ستانجر واتكنسون وما كسيم وكوستيا وما كنزى وبولوك . » ر . ت . اتكنسون

الجمباز : « جاءنا معلم جمباز فى كل اسبوع مرتين مدة الفصلين فعلمنا ألعاب الحبل وتمرينات بالدبابيس وجملة حركات جديدة وكان يعلم الصغار على حدة حتى لا يتعبهم مع الكبار . » ف . س . باركر

التزحلق على الثلج : « لم يساعد الوقت لسوء حظ التلامذة على التزحلق على الثلج فكتب احدهم : —

لم يمكننا التزحلق على الثلج الا اياماً قليلة لانه لم يكن سميكاً متماسكاً وقد بردناه جملة مرات متوالية بواسطة الطلمبة وكان يتجمد بسرعة غير ان الامطار فاجأتنا واضطرتنا بكل أسف لا يقاف ذلك . »

ج . پ . لوتر

الفصل الخامس

(الرياضات)

يصرح للتلامذة فى بعض أيام بساعات بعد الظهر يقضونها فى الرياضات التطبيقية التى هى فرص جميلة لاتمام وتحسين التعليم المدرسى وقد كتب احد التلامذة ملخصاً بعض الرياضات التى عملت فى الآثار القديمة : « عقد معلمنا

المستر جروب فى السادس من فبراير مؤتمراً على علم الآثار القديمة وكانت النتيجة انبعاث الميل بكثير منا للتوسع فى دراسة هذا العلم (وما اجل هذا المبدأ : يوقظون قبل كل شيء حب الفائدة بالتلميذ) فتقرر ان كل من له رغبة فى ذلك (حقيقة هذا أحسن من الضغط ولنكرر مبدأ تنوير الافهام) يمكنه ان يخرج بعد الظهر من كل يوم أحد لزيارة الكنائس القديمة فى المدن والقرى المجاورة ماشياً او راكباً الدراجات مع أحد المعلمين فزارت أول ارسالية كنيسة شبلي فى رابع عشر فبراير (ووصف الكنيسة) (هكذا فى الاصل) وفى يوم الاحد الحادى والعشرين منه توجهنا الى هو رشيد — كنيس لفحص الكنيسة التى حصلت بها ترميمات مهمة فى الجهة القبلية (ووصفها) وقضينا يومى الثانى والعشرين منه والسابع من مارث فى فليتشنج فى زيارة الكنيسة المفتخرة المشهور برجها بقية الجرس شغل نورمانديا الخ (وصف الكنيسة) وكانت هذه آخر رياضة مهمة عملناها ولو اننا عملنا جملة زيارات فى كوكفلد وليندفلد ويقلسفلد ونقلنا المناظر المهمة ووصلنا بواسطة المذكرات التى أخذناها فى رياضاتنا لمعرفة القلم النورماندى ولنا أمل كبير فى استمرار هذه الارساليات فى الفصل الآتى حيث يكون أطول وأزهى ويمكننا زيادة التجول والابتعاد فى السوسكن حيث يوجد كنائس قديمة جميلة لم نزرها . » و . ا . هوفان

وتكثر هذه الرياضات وتطول مدتها وتتسع دائرتها فى المسامحات النصف فصلية واليك تفاصيل فسحة من فسح الشتاء حررها أحد التلامذة بقلم عال :

« توجهنا ونحن خمسة عشر تلميذاً الى لندرة وركبنا القطار الذي يقوم فى الساعة التاسعة والدقيقة التاسعة والعشرين ويصل الى محطة لوندن بردج فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين وتوجهنا من هناك الى برج الكوبري فصعدنا الى اعلاه وبالنسبة للضباب لم يظهر لنا الا منظر برج لندره فانه كان جميلاً وبعد ان رأينا باب الخائن دخلنا البرج الابيض الذي هو البرج الاصلى ورأينا تقليد طيف وتاج انجلترا ثم ذهبنا لرؤيا الدروع والزرود وكان منها ما هو جميل جداً ومن عصور مختلفة وبعد ان رأينا كل شيء ذهبنا لزيارة برج بوشامب مخترقين المكان الذي قتلت فيه آن بوان (الزوجة الثانية لهنري الثالث وهو الذى حكم عليها بالاعدام ليتزوج بغيرها) وقد وجدنا داخل برج بوشامب نقوش والحروف الاولى من اسماء الاشخاص الذين كانوا محبوسين فيه مثل لادي چان جرى وعائلة ﭬريل ويوجد جملة من حروف أوائل الاسماء فى قاعة يظهر انها مقسمة لجملة اقسام وبعد ان انتهينا رغبنا التوجه الى سيوث كنسنجتون للافطار بها وكان يجب ان نخترق لندره ولكنا ركبنا القطار التحت ارضى الى مارك لان وبعد ان تغدينا ايضاً هناك انقسمنا ثلاث فرق توجهت ...ماع الموسيقية سارازات والثانية لرؤية تجليد الكتب فى زاينادورف ...وا جميع العمليات التى تتوالى على الكتاب من وقت خروجه من ...جي لغاية انتهاه والثالثة لرؤية التصوير المتحرك فى البوليتكنيك ...ى يساوى ثمنه ثم توجهنا الى الناسيونال جالرى ومنها الى وستمنسرابى ثم الى لوكاندة (نزل) كنا متواعدين عليها وبعد ان اخذنا الشاى ذهبنا

لمحطة ڤيكتوريا فقابلنا بعض تلامذة عائدين من بيوتهم ووصلنا بدالس بعد ان تريضنا وطربنا كثيراً . »
ا . ل . جلفورد

وفتح فى مساحات نصف فصل الربيع باب رياضة جديدة وصفها احد التلامذة كما يأتى : « قد اخذنا اجازة النصف فصل كالمعتاد فقضينا خمسة ايام لذيذة فى روستنجتون فكان سفرنا فى صباح تاسع عشر يونيه وعودتنا فى مساء الثالث والعشرين منه . وكان سفر اصحاب العجلات فى الساعة الخامسة من صباح السبت ورغماً عن كونهم وقعوا فى الطريق واصابهم بعض تسلخات فانهم وصلوا الى روستنجتون فى الساعة الحادية عشرة وسافر الباقون بالقطار الساعة التاسعة لغاية بريجتون ومنها لمحطة انجمرنج ثم توجهنا مباشرة الى منتزه السيدة چيل حيث تركنا ماأكولاتنا ولم نعرف هذا المنتزه الا فى السنة الماضية ومع ذلك كنا مبسوطين وصرح صاحب القصر بمرعى ننزل فيه ثم ذهبنا للشاطئ واستحمينا وبعد الغداء كنا نتسلى بالاحجار التى تخرج من الماء وبغير ذلك من الاشياء الجميلة المختلفة التى توجد على الشاطئ واشتغل بعضنا بالمطالعة وفى الساعة الرابعة ونصف تعاطينا الشاى والخبز بالزبد والحلوى وشربنا شراب الليمون ثم اشتغلنا بنصب الخيام وبعد ان كان الجو جميلاً في الصباح انقلب واخذ المطر ينزل خفيفاً فى المساء ولحسن حظنا حضر اليوزباشى نانس وعلمنا احسن طريقة لنصب الخيام فتدارينا فيها ونمنا جميعاً فى خيمتين وتركنا الثالثة



ضرب الخيام فى الرياضات (الفسحة)

مخزناً للدراجات وشربنا الشاى تحت الشجر ولكن تثاقل المطر اضطرنا للاسراع وقضينا الليلة فى الخيام فى مطالعة وغناء وكان باركر احضر معه كمنجة (آلة طرب) فجلس يطربنا بها وغنى نشيداً بالدعاء للملكة وكانت الخيام محكمة فلم تدخل فيها ذرة من الامطار التى أمست الليل كله تمطر ولما اظلم الليل ولم يمكنا لا المطالعة ولا الغناء نمنا وكان مع كل منا غطا آن وجزمة من القش فلم يؤلمنا البرد وفى الساعة السادسة من صبح ثانى يوم بطل المطر ولم يكن الطقس حارا فاستحمى بعضنا والبعض نام للساعة الثامنة ونصف ثم افطرنا وحضر نا فى الفطور احد التلامذة القدماء المسمى بلو فسررنا جداً بحضوره ولم يبارحنا الا صباح الاثنين وكان البحر مجذوراً عند توجهنا للشاطئ فاخذنا نلعب العاباً مختلفة ثم عزمنا على ان

نلعب دوراً من كرة القدم فاذا بالبحر امتد فعدلنا . وبعد الظهر كنا نتلاهى باللعب فى الصخور او بالمطالعة وبعد الشاى كان المستر بول وبعض التلامذة يغنون ثم نكمل اليوم فى لعب ونام وجرت بيننا وبين الناظر المستر بادلى مناوشة عظيمة لنأخذ منه متكأ (مخدة) كان احضره معه ليستريح عليه ولكنه فاز علينا ولم يمكنا اخذها منه بعد العناء الشديد . وفى صباح اليوم التالى قبل الفطور بينما كان اغلبنا نائماً عمل لنا باركر درس مطالعة وبعد الفطور توجه بعضنا للبحث عن الفلوكتين فى لتيل همبتون وتوجه الباقون على الشاطئ وتغذينا بعد الاستحمام وكانا النهار كالأمس فى لعب ثم نمنا منتظرين الصباح بفروغ صبر وعند ما تيقظنا ثانى يوم كان الطقس ثقيلا والضباب معتما ولكن الشمس اشرقت باكراً فذهبت مع انفليد الى لتيل همبتون لمشترى سواريخ تكلفت سبعة شلن (خمسة وثلاثون قرشاً تقريباً) وكان البحر متهيجاً والمد عظيماً والموج يعلو مراكبنا فاضطررنا لتركها واخذنا نعمل قوائم غليظة من الخشب للسواريخ وبعد اللعب وتناول الشاي اوقدنا نار الافراح على الشاطئ من الساعة التاسعة الى العاشرة ثم حرقنا السواريخ فلم يخرج الطلق الاول ولكن الباقي كان جميلاً جداً ولم ندخل الخيام الا نحو الساعة الحادية عشرة ملآنين فرحاً وسروراً وفي يوم الاربعاء طوينا الخيام وتوجهنا للشاطئ وانزلنا المراكب وتوجهنا الى لتيل همبتون ومنها ركبنا قطار الساعة الرابعة والدقيقة سبعة وثلاثين حيث وصلنا بدالس الساعة السابعة ونصف وعلى ذلك انقضت الاجازة . »

ا . ر . چثين

رأينا فى أول هذه الرحلة ان بعض التلامذة سافر الى روستنجتون على الدراجات وقد وصف احدهم رحلتهم فقال : « سافرت فى تاسع عشر يونيه مع ثلاثة الى روستنجتون فبعد ان افطرنا باكراً ركبنا العجلات الساعة الرابعة صباحاً ثم اكلنا فى فندق بطريقنا وكان به بيانو قديم فاخذ هوفمان يسمعنا نشيد (ربنا احفظ لنا الملكة) ولكن اوتار البيانو كانت تالفة فتركناه وعاودنا السفر الساعة الثانية ونصف وكان الحر شديداً ومن الصعب صعود الهضبات ولكن بعض الطريق كان تحت الاشجار فخفّ به الحر ثم عملنا سباقاً فى الخمسة أميال الاخيرة فوصلنا روستنجتون الساعة الحادية عشرة اى قبل وصول اقراننا الذين ركبوا القطار بساعة وكنا بعد اربعين ميلاً من الطريق اغتسلنا وفى يوم الاربعاء الثانى سافر معي فى العودة اثنان على الدراجات وأخذنا طريق بريتون فاغتسلنا فى الطريق ولما وصلنا لنصف الميل الاخير وقع هوفمان فانجرح ولم يطرأ علينا عارض غير هذا فقطعنا ستة وثلاثين ميلاً واطلنا الطريق لاننا كنا مسرورين . »

ج . ب . بوتر

الفصل السادس

﴿ ليالى الاداب والصناعة ﴾

قلنا ان الليالى وخصوصاً فى أيام قصر النهار تصرف فى الآداب والصناعة ويشير ما سننقله عن الريكورد الى ذلك واليك ما كتبه أحد التلامذة عن الليالى الادبية : « تتناوب الليالى الادبية مع ليالى الموسيقى فى

فصلى الشتاء والربيع وتقوم الجمعية المشكلة من المستر جروب المعلم واربعة تلامذة (ذكر اسماءهم) بانتخاب مواضيع المطالعة وكان فى العزم خلط الليالى ببعضها ثم ترآى ابقاء التناوب بينها وتقرر أن يقوم كل عضو من الجمعية بتوضيب ليلة الاربع الامر الذى زاد اشتغال كل عضو على حدته وازدادت كل الليالى حسناً وتقدماً خصوصاً ليلة نشيد الريفو حيث سمعنا النغمات على اختلافها . » ر . بنت

ويظهر مما يأتى ان للموسيقى فى الليالى اهمية كبيرة : « لقد حصل تقدم عظيم فى هذين الفصلين فان جوقة المغنين التى كانت قسما مهماً اصبحت على غاية ما يرام وتمكنت اصواتها من النغمات واضيفت لها اصوات رفيعة كما ان الثلاثة او الاربعة صبيان الكبار يساعدون على اتمام النغمات المنخفضة وعندنا جملة ادوار دينية تنشد فى يوم الاحد وفى مجتمعاتنا الموسيقية الاسبوعية . وتقدمت الاولاد في معرفة قراءة الاشارات الموسيقية (النوتات) من وقت ان حفظوا طريقتى الدكتور بردج والمستر تيلر اللتين تسهلانها . وصار لجوقه الموسيقي مركز مهم وهى تساعد المنشدين وتقوم عندنا مقام المزامير . وقد تقدمت تقدماً باهراً فى الرقص الالمانى وتلحينات دى لو رسل . وغنت الجوقة فى هذا الفصل تلحينات هايدن (رجل المانى مبتدع النغمات) واجادوا واطربوا فى ليالى الموسيقى التى اشترك فى احيائها التلامذة المشتغلون بالبيانو . وحصلت عندنا اجتماعات موسيقية فى الايام الآتية : الاربعاء سابع اكتوبر والحادى والعشرين منه وسادس نوفمبر والثامن عشر منه وثانى دسمبر وثالث فبراير والسابع عشر منه

وثالث مارث والسابع عشر منه (عيد القديس باتريك) وفي يوم الاربعاء الحادي وثلاثين مارث دعى ناظرنا المستر بادلى وزوجته المستر رود الشهير بضرب الكمنجه ليشاركنا في هذا الاجتماع الذى كان آخر اجتماعاتنا الموسيقية فقبل وشرف واطربنا جداً فنشكره على ذلك . » و . ب . بول

« لم يمض على تشكيل جوقتنا الموسيقية سوى سنة واحدة ورغماً عن حداثة وجودها فاننا نفتخر بها فقد عرفت تطرب من يسمعها وتجعل نغماتها واضحة مفهومة وقد برهنت على كفاءتها بضربها النغمات الاولى المنتظمة من لحن بيتوفن ولا تزال في تقدم حتى صارت تميز الآن جيداً مجموع وموازين النغمات ولم تقتصر على اجادة البيانو القديم والبيانو بل في قدرتها تشخيص احساسات المبتدع نفسه . وقد زاد الاعتناء بالنغمات في جميع اجزاء الكمنجة والكمنجة الكبيرة والبيانو واذا استمرت الجوقة على هذا التقدم تعشمنا ان نجيد ضرب اللحن الخامس لبيتوفن واننا ننشط رصيفاتنا الجوقات الاخرى . » ف . ا . ج

وهناك شيء آخر مهم تقضى فيه بعض الليالى وهو مطالعة كتابات ارباب الاقلام وكبار الكتاب : « كان يجتمع في آخر الفصل كثير من التلامذة مرة في الاسبوع بعد صلاة المساء في مكتب الناظر المستر بادلى لمطالعة روايات شاكسبير وابتدئ برواية بائع فينيقيا فسرنا ذلك كثيراً لان شاكسبير من الكتب الصعبة في المطالعة الثقيلة النطق ثم ابتدأنا رواية كوريولان ونتعشم ان تصير تلك المطالعة من التعليم الدائم بالمدرسة لانها احسن طريقة لمطالعة شاكسبير وتقديره قدره ويوجد فرق عظيم بين هذه

الطريقة وبين القراءة سراً على انفراد . » و . ا . هوفمان

وبخلاف الآداب والموسيقى والمطالعة تقضى بعض ليالى فى مجتمعات بالمدرسة يعقدها المعلمون او بعض الاجانب للبحث فى مواضيع مختلفة تفيد التلامذة ونرى من المفيد ان نأتى ببعض ما كتبه التلميذ س . باركركى نبين الفائدة العظمى التى تنتج من ادخال هذا العمل فى مدارسنا المقفولة الآن فى وجوه احوال الحياة الخارجية : « عقدت كالمعتاد بمدرستنا فى ايام السبت مساء مجتمعات مختلفة على مواضيع متعددة اشتهر بعضها بالاستعداد له بالرسومات باشعة الفانوس السحرى وبعضها بالرسم على التختة السوداء وكان البادئ هو المستر جروب عقد اجتماعاً حكى لنا فيه رحلة عملها على الدراجة فى شمال ارلندا فقال انه سافر من بلفاست مبحراً على شاطئ جيانتس كوزوى وكانت المناظر الاصلية هى مناظر لوندندرى وبلفاست والمدن الكبيرة المهمة ووصف لنا ماجريات اقامته فى لوندندرى والاجتماع الثانى عقده المستر بول على البحيرات وكان عبارة عن الذى رآه فى جملة اسابيع قضاها فى قسم البحيرات واشتهر هذا الاجتماع بالصور الملونة وتكلم لنا عن كانون لاونسلى ومؤلَّفه (بالفتح) على كنيسة كروسبتويت بالقرب من كريسويك وقال ان غرض مدرسة الصنائع والفنون فى كريسويك التى اسسها كانون المذكور ان توجد وظائف لبعض الصناع مدة الشتاء فيعلمونهم صنع اشياء من الخشب والنحاس الزنبلق ليبيعوها فى الصيف للسياح والزوار . وفى يوم السبت التالى عقد المستر بادلى اجتماعاً على الالعاب اليونانية القديمة وكانت الرسومات على التختة فقرر المستر بادلى اولاً ان تلك الالعاب

كانت ركناً من الديانة اليونانية وذلك هو السبب فى الحمية والحماس اللذين كانا يتولدان عنها ورسم لنا مسطح اولمبيا (محل تلك الالعاب ببلاداليونان سابقاً) ثم ذكر لنا أنواع الالعاب والبراز والمفاخرة الخ وختم بالكلام عن المسابقات التى كانت سبباً فى نشر تلك الالعاب وما كان يستلزم ذلك من الوقت . وعقد المستر ريش الاجتماع الرابع على (الكيماويين) فقال ان غرض الكيماويين الاصلى كان العثور على الذهب اكسير الحياة او الحجر الفلسفى (حجر كان ينشده جماعة الكيماويين يدعون انه حى ويمكن بواسطته تحويل الاجسام الاخرى الى ذهب) وحكى لنا تواريخ حياة اشهر هؤلاء الكيماويين . وفى يوم السبت التالى حكى لنا المستر بول حياة شومان (المانى مبتدع أدوار الموسيقى) فقال انه تعلم البيانو والموسيقى على غير رغبة ابيه وتعرف فى هيدلبرج بمعلم البيانو الشهير ويك وتعلم منه وتزوج ابنته واشتهرت مبتدعاته اولاً وأقبل عليها الجمهور ثم صارت فيما بعد موضوع انتقاد واستقباح العامة فتضايق شومان وحاول الانتحار ثم مرض ومات مرذولاً بالمستشفى . ثم عقد المستر ريتش اجتماعاً على كريستوف كولومب وسرد لنا ماجريات حياته المتزعزعة المفيدة وعقد المستر بادلى الاجتماع الثامن على تياترات اليونان وهو آخر اجتماع فى فصل الشتاء فوصف لنا تياترات اليونان القديمة التى كانت اكبر عشرين مرة من مراسحنا ومواقعها انسب بالنسبة للهواء وفهمنا جيداً الفرق بين مراسحنا الحاضرة ومراسح الامم الخالية ولما كان من غير الممكن ان يصل صوت المشخصين للسامعين فى هذا الاتساع العظيم اتخذ المتفرجون وجوهاً مستعارة يلبسونها وقت

التشخيص وما هى الا سماعات ولم يكن التشخيص مقسماً كالآن الى فصول بل كانوا يشخصون الروايات ثلاث مرات فى السنة ويمكث التشخيص ثلاثة أيام وربما كان فى التياترو الواحد مائتا رجل يشغل الادوار المهمة منهم ثلاثة أو اربعة رجال وكانت هذه التشخيصات من المعتقدات الدينية كالالعاب وكانت الشعراء الذين يطلبون شرف تشخيص اشعارهم يتسابقون مع بعضهم فاذا تقرر قبول مؤلفات احدهم يقوم رجل ذو ثروة كبيرة من المدينة بتأدية جميع المصاريف اللازمة للتشخيص ولم يكن مسموحاً للنساء ولا الصبيان الذين يقل عمرهم عن الاثنتى عشرة سنة بحضور التشخيص وغير ذلك من الملحوظات مما لم آت هنا بربعه . وفى اثناء فصل الربيع افتتح المستر بادلى الاجتماعات باجتماع عن الحوادث العصرية فابتدأ بأزمة فنزويلا مع الولايات المتحدة فوصف لنا البلدين وبين اسباب الخلاف ثم تكلم عن المسألة الشرقية بين المتمهدى وغوردون والخرطوم وختم ببعض كلمات عن ارسالية نانس ووعدنا باجتماع آخر على الموضوع ذاته . ثم عقد المستر بول اجتماعاً على الطرق ابتدأ من الطرق الرومانية لغاية الآن وعلى طرق النقل مبتدئاً باقدمها لغاية اختراع السكك الحديدية الحاضرة .

وفى الاجتماع الثانى شرح لنا المستر جروب فن الهندسة المعمارية والاقلام المختلفة وكان لذلك اهمية عظيمة لما خرجنا لزيارة الكنائس القديمة ايام الآحاد . ثم عقد المستر رينش اجتماعاً تكلم فيه عن المدة الثلجية وشبه الثلج بمناظر الصخور والكتل التى انشقت بفعل الثلج ثم اتبع ذلك اجتماع تكلم فيه المستر بادلى عن أزمة افريقية الجنوبية فعرض علينا حكومة البوير

وجوهانسبرج التى كانت للمستر رودس والدكتور جمسون ادوار مهمة فيها . ثم تلا ذلك اجتماع تكلم فيه المستر بول عن الحرب الفرنساوية الالمانية وذكر اسباب الحرب والفرق بين الجنديتين وطباع عساكر البلدين وختم بحصار باريس . وعقد المستر ريتش اجتماعاً موضوعه بدالس سابقاً كان كبحث فى علم الارض واعطانا فيه ادلة علماء الارض وكنا مستعدين على حيوانات تاريخية وآثار قديمة الخ استند عليها فى هذه النظريات ثم عقد آخر اجتماع عن شوبرت وحياته ومؤلفاته . وكانت الخطيبة هى السيدة بادلى وبعد الاجتماع غنى لنا المستر بولد بعض قطع من بديعيات شوبرت وشخصت حياة شوبرت بمناظر فينا مدينة مولده وبصور الاشخاص الذين كانت اشعارهم تشعر بمؤلفاته وكان هذا احسن اجتماعات الفصل ومضت الليلة فى سرور زائد . » ف . س . باركر

ويظهر من هذه التقارير والاحساسات التى تدهش العقول مقدار سرور وارتياح التلامذة من حياتهم المدرسية ومن اعظم غلطاتنا اعتقادنا ان المدرسة يلزم ان تكون سجناً ليستولى على كل شيء فيه الضغط والجبر مع ان العمل اكثر اثماراً مما هو استمالة وليس من الضرورى ان يكون الضجر جزءًا من البروجرام والفكرة الاصلية التى يلزم غرسها فى عقول المربين عندنا هى وجوب الحفظ خارج الكتب بقدر الحفظ منها كما رأينا وان ما يحفظه التلميذ ليس متناسباً مع الزمن الذى يجلسه امام الطرابيزة بل هو متناسب مع مقدار الزمن الذى يشتغل فيه شغلاً « حقيقياً » وبالجملة يلزم ان نوجد تنوعاً بين التمرينات اليومية حتى نمكن التلميذ من تأدية العمل

الكثير المطلوب منه وهذا هو بالدقة النقص المشين للبروجرامات الحاضرة .

ويمكنك الآن ان تقارن بين هذا النظام المدرسى الذى يكسب التلامذة معارف مختلفة وبين نظام مدارسنا الذى يحصر التلامذة امام اللغات القديمة تقريباً دون سواها على عدم النجاح فى تعليمها لهم وحدها جيداً لاننا بعد الحساب نعود الى هذه المشاهدة الشاقة .

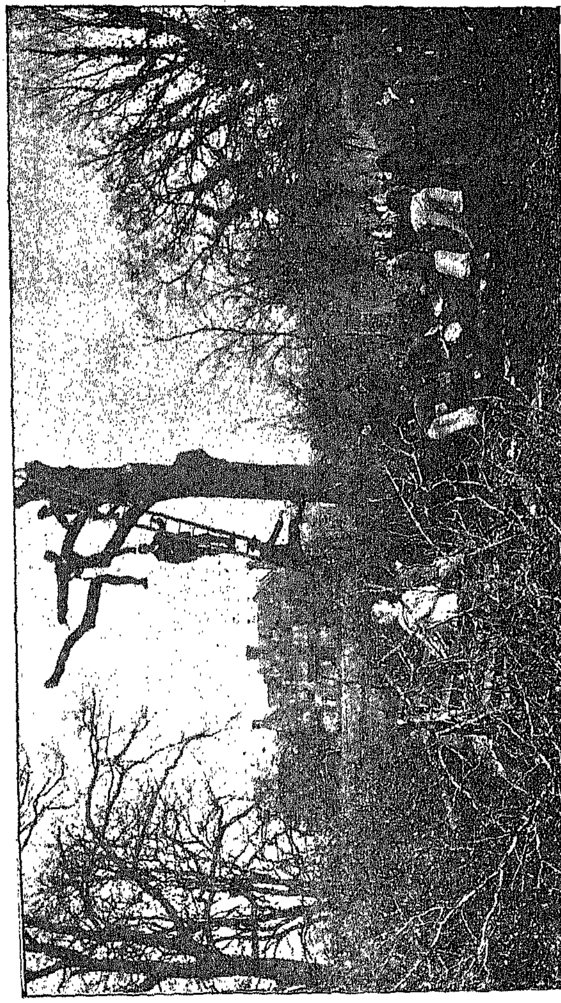
الباب الثامن

مدرسة روشه — تعليمات عملية

(موقع المدرسة)

توجد مدرسة روش فى نورماندیا فى مقاطعة الاور على بعد ثلاثة كيلومترات من محطة فرنوى سنورافر على الخط الحديدى بين باريس وجرانفيل على بعد ساعتين من باريس بقطارات الاكسبريس وذلك القسم مرتفع مائة وسبعين متراً عن المنسوب فهواه مطلق وهو بذلك حائز لجميع الشروط الصحية اما ابنية المدرسة فهى مرتفعة فى وسط ملك يبلغ ثلاثة وعشرين هكتار تحتوى على بستان ومرعى واراضى مزروعة وغابة من شجر الشوح نعمل فيها العاب مختلفة وستبنى منافع المدرسة على حسب التحسينات الاخيرة واحسن شروط الصحة واستخدمنا طريقة دورة البخار بالضغط المنخفض للتدفئة منعاً للاخطار العظيمة التى تأتى من فتحات الهواء الساخن واستخدمنا الكهربائية فى التنوير والقوة الكهربائية المولدة فى بناء

من الملحقات تخزن فى مجمعات وتستخدم فى تشغيل محل الغسيل ومعمل اللبن والعزبة وطلمبات الماء الخ فتكون المدرسة معملاً حقيقياً للتجارب العملية . وباشر هذه الترتيبات احد معلمى المدرسة الذى هو مهندس فى المعامل والورش ومكلف بتدريس الميكانيكة والطبيعة والكيميا عندنا ويقوم معلم آخر بتعهد زينة المدرسة من الداخل وآخر بعمل مسطحات ومقايسات الابنية الجديدة وتأجل تعليم بعض اشجار لحد العودة حتى يشتغل فيها التلامذة وبذلك تكون المدرسة فى الحقيقة أنشأت وأسست وفلمت اشجارها بواسطة المعلمين والتلامذة . وتكون اول دروس الاشيا وهو شيء لطيف ، وترتبط المدرسة بجميع جهات فرنسا مباشرة بالتلغراف او بالتلفون . ومحطة فرنوى هى محطة تقابل يتلاقى فيها اربعة خطوط حديدية فمن الشرق الى باريز ومن الغرب الى جرانفيل ومن الشمال الى اڤر وروين وديب ومن الجنوب الى شارت وارليان .



تلامذة يقلمون الاشجار

(غرض المدرسة)

غرض المدرسة هو ان تهيئ بكل سرعة رجالاً كاملين بقدر ما يمكن من الجهات الادبية[١] والعقلية والجسمية وسنبذل كل الجهد فى اثناء

(١) ويعلم الدين بالمدرسة خوريها

حب العمل الذى سيكون كثير الاثمار والاستمالة والاحساس بالمسئولية واحترام النفس والاستعلاء على الهوى والتعود على النشاط والصبر او نحن نريد كما يقول احد مراسلينا « ان نخلق الارادة والقوة والاجسام والارواح فى الرجال » وهذه المدرسة هي محل للتعليم القديم والحديث وانما نريد لها بروجراماً جديداً اكثر انطباقاً على طبيعة الاولاد وضرورات التعليم وبروجرامها يؤهل التلامذة للبكالورية القديمة والحديثة وللمدارس المختلفة سواء اشتغلوا مباشرة بالزراعة او بالاستعمار او بالصناعة او بالتجارة وتنقسم السنة المكتبية الى ثلاثة فصول او مدد كل واحدة منها ثلاثة شهور ويمكن قبول التلامذة فى اول كل فصل منها . وأولها فصل الخريف ويبتدئ فى النصف الثانى من شهر سبتمبر وينتهى قبل عيد الميلاد . وثانيها فصل الشتاء ويبتدئ فى النصف الثانى من يناير وينتهى قبل عيد الفصح . وثالثها فصل الربيع ويبتدئ بعد عيد الفصح بثلاث اسابيع وينتهى مع يوليه فيتخلل السنة ثلاث اجازات والاجازة الكبرى فى اغسطس وسبتمبر وهى اقصر من اجازات المدارس الحالية والاجازتان الاخريان اطول منها ولا يوجد اجازات اثناء العمالة كاسبوعية او شهرية وبذلك يكون مجموع ايام الاجازات اقل من المدارس الاخرى لانه مائة يوم وعشرة ايام تقريباً بدلاً من مائة وثمانية وعشرين يوماً وتقسيم بهذا الشكل مناسب للتلامذة والمعلمين ومن جهة اخرى فان هذه الاقامة الطويلة فى المدرسة تخفف عن التلميذ فراق عائلته فهو يقضى بها زمناً طويلا فى كل مرة لكي يتأثر منها وهكذا تبقى الحياة العائلية والحياة المدرسية متشاركتين ويزيد التشارك

بينهما كلما كان نظام المدرسة اقرب لنظام العائلات .

(شروط الدخول)

تقبل التلامذة من سن الثامنة ويبقون بالمدرسة حتى يتموا دروسهم ومن ذلك فانه من المهم فى الابتداء ان نحدث فى التلامذة حالة جديدة للعقل والعوائد التى تناسب هذا النوع المدرسى فلا يقبل فى السنة الاولى الا التلامذة الذين لا يبلغون الرابعة عشرة وفى السنة الثانية يقبلون لغاية الخامسة عشرة وهكذا وفى كل سنة تفتح فرقة حتى تتم فرق التعليم . والمصاريف التى يدفعها التلامذة هى ألفان ومائتان وخمسون فرنكا سنوياً عن الذين يدخلون قبل الرابعة عشرة لغاية انتهاء التعليم وألفان وخمسمائة فرنك سنوياً عن الذين يدخلون بعد ذلك السن وتخفض الرسوم اذا اجتمع أخان بالمدرسة فى آن واحد وستخفف بقدر ما يمكن مصاريف الملابس والمصاريف الاضافية (نثرية) التى يتحملها الآباء وتصرف المدرسة ادوات السرير وغطيان الفرش وفوط الوجه واليدين ويدخل تحت هذه المصاريف السابقة تعليم الرسم والموسيقى والغناء والجمباز ما عدا الدروس الخصوصية على المعلمين الاجانب التى يطلبها بعض الآباء وتتحمل المدرسة مصاريف السياحات التى يعملها التلامذة للاقامة فى انجلترا او المانيا مدة ثلاثة شهور او ستة شهور او سنة ليتعودوا على تكلم الانجليزية او الالمانية ولا يكلف الآباء بمصروف ما فى تلك المدة ويزور احد المعلمين من وقت لآخر التلامذة المقيمين فى الخارج ونريد بأخذنا مصاريف السياحة والزيارات المذكورة على عاتقنا تشجيع الآباء على ارسال اولادهم ونفضل

ارسالهم صغاراً بقدر ما يمكن اعنى فى السن الذى يسهل فيه حفظ اللغات [١] ويتيسر للأولاد بعد ذلك حفظ القواعد والبلاغة الانجليزية او الالمانية ويكون نجاحهم حقيقياً وسريعاً وستتخذ ترتيبات مخصوصة مع نظار تلك المدارس اذا رغبوا ارسال تلامذة فى اوقات مختلفة لتعليمهم التكلم بالفرنساوية ولكن هؤلاء التلامذة يجب ان يقدموا كل الكفالات الشديدة التي نطلبها من تلامذتنا المعتادين ومن تكن اخلاقه قبيحة منهم يعد لمدرسته فوراً . وهذا الاختلاط بالاجانب يمكن ان يكون مفيداً جداً للجميع لا من وجهة استعمال اللغات فقط بل فى تبادل اختبار الاخلاق ومعرفة أفضل الخليقات . وبمجرد ما اتسعت العلاقات وكثرت الارتباطات بين الامم كان ذلك باب نجاح فى الحياة اوسع من معرفة لغة واخلاق البلاد . كما يقول الصينيون « ليس المستقبل ملكاً للذين يرجعون لانفسهم فى امورهم كلها معجبين بالقناعة والزهد بل هو بين أيدى الذين ينظرون الى الخارج ويعرفون النظر لما يجرى ويعتبرون بالحوادث » واذا استكثر بعض الآباء هذه المصاريف نقول له ان هذا الاعتقاد كان استولى عليّ انا الآخر

(١) وقد حضرنى اثناء تحرير مسودات هذا الكتاب مثل نذكره هنا وهو انى ذكرت فى الباب الاول ان أباً كتب لى انه سيرسل ولده لمدرسة بدالس فقد ارسله وكتب لى بعد عشرين يوماً من دخوله يقول « كأنما هذه المدرسة انشئت لولدى . . . لانه اصبح فى عشرين يوماً يعرف بالانجليزية اسماء ادوات المائدة وكثيراً غير ذلك » فاذا كانت هذه نتيجة عشرين يوماً فما بالك بستة أشهر مثلاً لا شك انه يعرف فيها اكثر مما يعرفه تلامذتنا فى عشر سنوات

ولكني تأكدت انه لا يمكن الحصول على الفوائد التي لا تقدر من هذا النظام المدرسي الا بهذه المصاريف . حقيقة ان المدارس (الحبوسية) مصاريفها أقل وهي أوفر في الظاهر ولكن الخسارة هي ضياع التلميذ ويلزم ان نعتقد انه يجب علينا شيء واحد لأولادنا ولكنه واجب عيني وفرض شريف وهو أحسن تربية ممكنة تؤهلهم لضرورات الحياة الحاضرة وعلى الولد ان يتخذ من ذلك ومن رضاء والديه طريقاً لتدبير شؤونه وبهذا يكون الوالد قام لولده بواجبه وذلك أولى من ان يربيه تربية تجرده من الاقتدار على تمهيد صعوبات الحياة ثم يصرف دم قلبه في امهاره مع ان احسن امهار الاولاد هو تربيتهم تربية الرجال .

واذا أريد منا استعلامات تكميلية او مكاتبتنا فالعنوان هكذا :

رئيس مدرسة روش — ڤرنوى سورآفر اور (A l'Administrate-ur de l'Ecole des Roches, Verneui-sur-Avre, Eure.)

والتلغرافات تنقل للمدرسة بواسطة التلفون من غير مصاريف استعجال .

محطة ومكتب البوستة : ڤرنوى – سور – آڤر (خط باريس الى جرانڤيل .

وعربة اومنيبوس المدرسة تنتظر كل قطار والمدرسة على بعد ثلاث كيلو مترات من المحطة .

وسيصير افتتاح مدرسة روش في أول اكتوبر سنة ١٨٩٩

《 افتتاح مدرسة روش : يناير سنة ١٩٠٠ 》

قد افتتحت مدرسة روش فى سابع عشر اكتوبر سنة ١٨٩٩ وورد علينا مائتا طلب للدخول بها ولكننا لم نقبل سوى خمسين تلميذاً وهو اكبر عدد حددناه للسنة الاولى ونحن الآن نبنى فى تلك الاملاك بيتاً ثانياً يفتتح عند العودة فى سبتمبر سنة ١٩٠٠ ويقبل فيه اربعون تلميذاً وتقريباً كل تلك المحلات محجوزة وموصى عليها لتلامذة يدرسون الآن فى انكلترا والمانيا وقيدت اسماء تلامذة آخرين للقسم الثالث الذى سيفتتح فى سبتمبر سنة ١٩٠١ وبالنسبة لتراكم الطلبات قررنا تخفيض سن الدخول فيفضل التلامذة من سن الثامنة الى الثانية عشرة ليمكن ان يكون التأثير عليهم اقوى وافعل ومدته اطول ولكى نطلع الآباء والرأى العام ومن تهمه اعمالنا على حياة مدرسة روش ونتائجها ننشر فى آخر كل ثلاثة شهور مجلة مدرسة روش التى يحررها المعلمون والتلامذة وقد ظهر العدد الاول عن فصل الخريف فى يناير سنة ١٩٠٠ وهو رسالة تحتوى على اربعة وستين صحيفة بها جملة رسومات[١] .

《 قيمة الاشتراك فى المجلة 》

فى السنة ستة فرنكات والعدد الواحد فرنكان وربع ، وعنوانها : مكتب العلم الاجتماعي ستة وخمسون بشارع يعقوب باريس ٥٦

---

(١) وهذه المجلة ترسل مجاناً لمشتركي العلم الاجتماعي La Sience Sociale مديره المسيو ادمون ديمولن وتطلب بالعنوان المذكور اعلاه والاشتراك فيها جنيه انجليزى . « المترجم »

ولكنى تأكدت انه لا يمكن الحصول على الفوائد التي لا تقدر من هذا النظام المدرسى الا بهذه المصاريف . حقيقة ان المدارس (الجبوسية) مصاريفها أقل وهى أوفر فى الظاهر ولكن الخسارة هي ضياع التلميذ ويلزم ان نعتقد انه يجب علينا شيء واحد لأولادنا ولكنه واجب عيني وفرض شريف وهو أحسن تربية ممكنة تؤهلهم لضرورات الحياة الحاضرة وعلى الولد ان يتخذ من ذلك ومن رضاء والديه طريقاً لتدبير شؤونه وبهذا يكون الوالد قام لولده بواجبه وذلك أولى من ان يربيه تربية تجرده من الاقتدار على تمهيد صعوبات الحياة ثم يصرف دم قلبه فى امهاره مع ان احسن امهار الاولاد هو تربيتهم تربية الرجال .

واذا أُريد منا استعلامات تكميلية او مكاتبتنا فالعنوان هكذا :

رئيس مدرسة روش — ڤرنوى سور آفراور (A l'Administrate-ur de l'Ecole des Roches, Verneui-sur-Avre, Eure.)

والتلغرافات تنقل للمدرسة بواسطة التلفون من غير مصاريف استعجال .

محطة ومكتب البوستة : ڤرنوى — سور — آڤر (خط باريس الى جرانڤيل .

وعربة اومنيبوس المدرسة تنتظر كل قطار والمدرسة على بعد ثلاث كيلو مترات من المحطة .

وسيصير افتتاح مدرسة روش فى أول اكتوبر سنة ١٨٩٩

﴿ افتتاح مدرسة روش : يناير سنة ١٩٠٠ ﴾

قد افتتحت مدرسة روش فى سابع عشر اكتوبر سنة ١٨٩٩ وورد علينا مائتا طالب للدخول بها ولكننا لم نقبل سوى خمسين تلميذاً وهو اكبر عدد حددناه للسنة الاولى ونحن الآن نبنى فى تلك الاملاك بيتاً ثانياً يفتتح عند العودة فى سبتمبر سنة ١٩٠٠ ويقبل فيه اربعون تلميذاً وتقريباً كل تلك المحلات محجوزة وموصى عليها لتلامذة يدرسون الآن فى انكلترا والمانيا وقيدت اسماء تلامذة آخرين للقسم الثالث الذى سيفتتح فى سبتمبر سنة ١٩٠١ وبالنسبة لتراكم الطلبات قررنا تخفيض سن الدخول فيفضل التلامذة من سن الثامنة الى الثانية عشرة ليمكن ان يكون التأثير عليهم اقوى وافعل ومدته اطول ولكى نطلع الآباء والرأى العام ومن تهمه اعمالنا على حياة مدرسة روش ونتائجها ننشر فى آخر كل ثلاثة شهور مجلة مدرسة روش التى يحررها المعلمون والتلامذة وقد ظهر العدد الاول عن فصل الخريف فى يناير سنة ١٩٠٠ وهو رسالة تحتوى على اربعة وستين صحيفة بها جملة رسومات(١) .

﴿ قيمة الاشتراك فى المجلة ﴾

فى السنة ستة فرنكات والعدد الواحد فرنكان وربع ، وعنوانها : مكتب العلم الاجتماعي ستة وخمسون بشارع يعقوب باريس ٥٦

---

(١) وهذه المجلة ترسل مجاناً لمشتركي العلم الاجتماعي La Sience Sociale مديره المسيو ادمون ديمولن وتطلب بالعنوان المذكور اعلاه والاشتراك فيها جنيه انجليزى . « المترجم »

تذييل التربية الحديثة

الذيل الاول

« اصلاح التعليم »

(خطبة المسيو جول ليتر فى سوربون فى ٥ يونيه سنة ١٨٩٨)

ايها السيدات والسادة :

توجد حقائق محزنة كلكم يعلمها وقد اصبحنا الآن فى مؤخرة أمم أخرى فى النشاط المثمر ولم تعد فرنسا تعدُّ بين الممالك الاولى فى التجارة والصناعة ولن تسالمنا مستعمراتنا الا اذا عرفنا كيف نجولها ونختبرها . وكل الناس ترى انه يلزمنا الاصلاح وكلهم مقرون ان احسن طرق الاصلاح هو اصلاح الافراد ولكن الوقت فات لاصلاح الافراد البالغين او الشبان منا أليس كذلك ؟ اذن فالنشأة الجديدة هي التى يجب اصلاحها واولادنا هم الذين يجب ان نربيهم التربية التى يكونون بها اصح بنية واقوى منا . وحيث يوجد اخلال عظيم بمراعاة ارتباط التعليم الذى يتلقاه التلامذة فى الفرق الوسطى بما سيؤل اليه امرهم فى الحياة فسأتكلم اوّلاً ضد التعليم المدرسى ثم عن التعليم الحديث واشرح اذا امكننى بروجرامه .

فضلا عن التعديلات التحسيسية المتناقضة التى ادخلت على البروجرام من نحو خمسة وعشرين سنة ورغماً عن الزيادات العظيمة والطلاء الكاذب فان التعليم الثانوى المدرسى بقى فى الحقيقة كما كان تحت النظام القديم .

ما ذا يقال ؟ كل شىء تغير . فان مكتشفات العلم الموضوع غيرت تماماً احوال حياة الامم على اختلاف طبقاتها بل غيرت احوال العالم وقد داهمنا سلطان التجارة والصناعة ونحن أمة جمهورية وصناعية مهددون او بالاحرى قد توسطنا طريق الدمار بمزاحمة الامم القوية : ولا يزال اولاد اعيان المدن وكثير من اولاد الامة يقضون ثمانيـة سنوات بدون ان يحسنوا حفظ ما كان يعلّمه الآباء اليسوعيين سابقاً لاولاد الاشراف والقضاة والطبقات الممتازة فى عهد كانت فرنسا ملوكيـة وكانت اوربا تعترف بعظمتها وكان اللاتينى هو اللسان الدولى الرسمي . أليست هذه غلطة تاريخية فظيعة ؟ أليس الاعتقاد الحاضر فى نفع هذه التربية زعماً احمق ؟ ولقد كنت اشك فى هـذا البرهان مبدئياً لولا انى تحققته بالتجربة فى شخصى وأُضيف سادتى انى خبرتكم ايضاً لان حالكم مشابهة قليلا او كثيراً لحالتى وهذا ما يسمح لى بالتكلم عن شخصى مع التواضع وعدم التظاهر .

انتم تعلمون ما كان يقول انصار التعليم القديم كانوا يقولون : « نحن سلالة اليونان والرومان الروحانية نحفظ لغتهم هو حفظ اصول لغتنا وبذلك يسهل حفظها وهو ايضاً مشاركة فى معتقدات الماضى الشريفة وارتباط

باشهر التقاليد وهو مدٌّ فى حياتنا ولنا فى تلك الدروس احسن تهذيب . هذه الكتب القديمة هى كنوز الافكار العمومية والآراء الجميلة الصائبة ولم تكن عن غير حق تسمية التعاليم القديمة بالانسانيات فمنها نعرف الجميل والذوق والميل للترتيب وتقدير الاشياء . هذه اللغات وتلك البديعيات هي من اهم المربيات » الى غير ذلك .

(ثم افاض في التكلم عن تعليم اللاتينى واليونانى وعدم فائدتهما حتى قال :) « المترجم »

ومن المقرر المشاهد ان ليس المعتمد فى تكوين قلوبنا وعقولنا على اليونانى ولا الرومانى وان كان لهما تأثير فهو ثانوى يأتينا بالواسطة لا مباشرة فتأثيره يكون أولاً على التوراة ثم على قدماء الكتاب الفرنساويين كمونتين وباسكال وامثالهم وبالنسبة لانى قضيت اثنى عشرة سنة من حياتى فى تعلم اللاتينى واليونانى أشعر من وقت لآخر بانى لا أعرف شيأ . اذ أنا اجهل الانجليزية التي يتكلمها نصف العالم وتقريباً أجهل اليونانية وستقولون انه كان بيدى ان احفظها فى صغرى ولكن هل أنا المخطىء اذا كنت كباقي الاولاد لا أتصرف تقريباً الا فى قوة عقلية محدودة دنيئة اغتصبت منى اغلبها تلك اللغات المرحومة التي تلزمنى التقاليد العمياء بدراستها التي خرجت منها بهذه الفوائد التي لا تذكر . وكانت المؤلفات الالمانية والانجليزية الجميلة تلوح لى غنية واسعة ولكنها مقفولة فى وجهي . ولست أهلاً للاستفادة من سياحاتى وقد نسيت القليل الذى كنت أعرفه من الرياضة والعلوم الطبيعية واعضائى غشومة لا أعرف صناعة وكأنى

سأصبح فى جزيرة مقفرة اكثر عزلة من روبنسن . فلست أصلح لشيء سوى الكتابة ولا حاجة لان اقسم لكم ان معرفتي بها لا تعود على اللاتيني وليس بيننا من يدعى انه يجيد الكتابة اكثر من الكاتب لويز ڤيللوت الذي لم يتلق سوى دروس الاعادة ولا مثل جورج ساند الذي لم يتعلم بالمدارس .

(ثم افاض ثانية على تعليم اللغات القديمة حتى انتهى الفصل الاول من خطابته — المترجم)

٢

اصغوا لى جيداً فليس الغرض تجريد العقل الفرنساوى وليس الغرض محو مدرسة الآداب ومدرسة فرنسا ولا مدرسة النورمال العليا ولا مدرسة القسم العالى ولا مدرسة شارت وليس الغرض نسخ التربية الدينية العالية التي هي من شروط التعليم الثانوى وبذلك لا يكون الغرض أيضاً القضاء على هذا التعليم بل الغرض هو معرفة هل من الحق تعميمه كما هو حاصل بين ابناء الاعيان البنداريين . نعم من المفيد وجود العلماء المتعمقين وعلماء التقوى والتاريخيين وعلماء الشرع والفلاسفة بل وعلماء الانسانية ولكن ليطمئن خاطركم فسيكون عندنا من ذلكم الكفاية والذين يبقون لنا من التلامذة على غير هذه المبادىء سيكونون اعظم قيمة لانهم يدينون لذوق ثابت واستعداد عال . وفى الحقيقة لا اتكلم هنا عن الاستثنائيات ولكن عن الغالب فأقول ان حائز البكالورية الادبية ذلك

الشاب الطيب الذى لا يعرف اللاتيني ولا اليونانى فضلاً عن جهله باللغات الحية والجغرافية والعلوم الطبيعية يكون اعجوبة ونادرة خارقة للتصور .

وغاية ما يطلب الآن لاغلب اولاد اعيان المدن (الذين يزدادون فى الامة كل يوم) هو تعليم حديث لا يكون له اصلاً كما هو الآن بل يؤسس على ترتيب حر واسع تكون بروجراماته اقل تقليداً للبروجرامات القديمة واقل منها فى اللاتيني واليونانى . ثانياً — أعنى تحويل اغلب المدارس الحاضرة لمدارس تعليم حديث وتبقى مدرستان او ثلاثة بباريس لتعليم اليونانى واللاتيني واذا لزم الحال فنترك مدارس فى المدائن الاخرى لذلك بشرط ان نعيد له قوته بالرجوع الى النظامات القديمة . ثالثاً — التسوية بين التعليمين فيما يتعلق بدخول مدرسة الطب او الحقوق فانه من المضحك ان نقول ان اليونانى او اللاتينى ضروري للصيدلى (اجزجى) او للحكيم او للقاضى او للمحامي فانه يكفى للطبيب ان يحفظ مائتين او ثلاثمائة كلمة يونانية او لاتينية ليعرف الالفاظ الاصطلاحية الخاصة بصناعته والقاموس اللازم للمحامى هو اقل من ذلك وعندنا تراجم فاخرة لكتب الشرع الرومانى اشك كثيراً فى انه حصل الرجوع اليها يوماً . وانى اعلم ان الطلب الثالث يؤلم كثيراً أرباب الوهم ولن يزول هذا التأثر الباطل الا اذا تجرد الفرنساوي من وسواسه بالوظائف العقلية وقد قال لى خبير من رجال الكلية : طالما كان اللاتينى مطلوباً بفكرة أن يصير به الانسان محامياً او قاضياً او طبيباً فلن يتم شىء ويستمر كثير من الآباء معتقدين كما نعتقد أنا وأنت فى ضرورة ارسال ابنائهم بلا تبصر الى دور التعليم القديم

ويستمر هـذا الآخر على الانتشار خصوصاً بين التلامذة الفقراء مالاً وذكاء وتستمر نخبة الامة على ترشيح موظفين وعمال دأبهم الجلوس المستمر ولا حول ولا قوة الا بالله .

ومن الموانع الأصلية لتقدم التعليم الحاضر ادعاء اعيان المدن فبهذا الادعاء الباطل تجد الآباء اعيان المدن ومنهم اساتذة وموظفون وعمال وباعة من اصحاب الدكاكين يتمسكون باطلا بطاب التعليم الثانوى القديم لاولادهم . وليس لاتمام الدروس عندنا معنى سوى حفظ اللاتيني واليونانى كأن العلوم والدروس الاخرى لاتعد شيئاً او انها شيء وضيع قليل الشرف لا يصلح الا للرعاع . ومن الواجب ان نفهم هؤلاء الاشخاص سليمي الطوية ونساءهم على الخصوص مقدار سخافة هذا الادعاء .

الانسانية : نعم أريدها جيداً هى من النبالة ولكنها من النبالة الزائدة وانما يحرزها الذين هم من قبل نبلاء بالعقول ويمكن ان يتوصل الانسان لذلك بدون اليونانى ولا اللاتينى فان غلاماً له قلب ونشاط وقوة اقدام متعوداً على التمرينات الجسمية شارباً لبان المعارف التجارية متسلحاً بالمبادئ العلمية عرف فناً او صنعة وفضلا عن ذلك يكون اطلع فى لهوه وملذاته على بعض المؤلفات الفرنساوية القديمة لهو أهم وأحيي وأكثر مقداراً ادبياً واعظم امتيازاً من ثلاثة ارباع تلامذتنا باهتى اللون الفارغين حاملي البكالورية الادبية .

٣

لكن كيف نفهم بروجرام هذا التعليم ؛ اظن انه ليس من العبث ان ندقق ونخرج من العموميات السهلة الى البحث قليلا فى التفصيلات فانى اخال ان هذا البروجرام ينقسم بطبعه كما يأتى :

اوّلاً : — دروس اللغـة والبلاغة الفرنساوية — واساس تدريسها مؤلفات القرن السابع عشر لان فيها لب البلاغات القديمة كما ان فيها مادة المسيحية الادبية وحِكَمها لا تقل فى التأثير عن حِكَم المؤلفات القديمة فى تعليم الشبان التحرير وترتيب افكارهم وحركاتها وبالنظر لمؤلفاتنا القديمة فبديهى انه لا حرج على المعلمين فى اعطاء التلامذة فى خلال المحادثات او بواسطة الترجمة بعض افكار من البلاغة اللاتينية واليونانية . ولا تحديد للتمرينات او الواجبات الانسانية ولكن يجب اجتناب المواضيع التصنعية كأن نطلب وعظ شارلمانى من ويتيكن (رئيس انجليزى من ألد أعداء شارلمانى) او نكلف رونسار (شاعر) بأن يشرح لفرنسوا الاول الفكرة التى تتولد من النشأة الجديدة بعد ثلاث قرون فان ذلك من المفارقات .

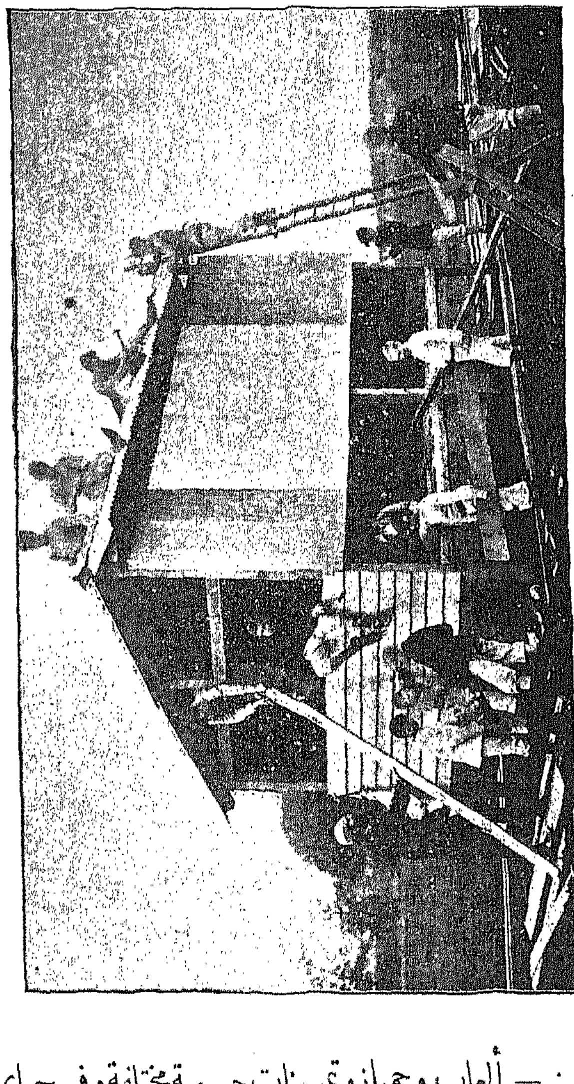
ثانياً : — دروس اللغات الاجنبية وخصوصاً الانجليزية والالمانية — هذا التعليم يجب ان يكون عملياً مع اننا الآن نطبق على اللغات الحية تقريباً نفس الطرق المستعملة فى اللغات الميتة والواجب ان ننتهز فرصة استعداد

عقول الاولاد فنتدبر فى تعليمهم اللغات المتداولة بحيث يتكلمونها اكثر مما يكتبونها .

ثالثاً : — مبادئ التاريخ والجغرافية — ليس الغرض ان نزحم عقول هؤلاء التلامذة المساكين بجدول حوادث ثانوية لا معنى لها فى ذاتها او بسلسلة غير متناهيــة من تواريخ واسماء وقائع لا تلبث ان ينسوها . بل الذى يجب على المعلمين تعريفه للتلامذة بالاجمال هو الحوادث الكبرى السياسية والاجتماعية وتواريخ التعليم والاخلاق وسير مشاهير الرجال مع تكميـل بعض ذلك ببعض صحف من مؤلفات التاريخ الكبرى ويحسن ان نعرض على الاولاد بالاجمال (وبدون ان نجبرهم على استحسانه) النظام السياسى والادارى الذى نعيش تحت لوائه ونعطيهم بعض توضيحات على قانوننا المدنى الشديد . والذى يستحق الالتفات هو الجغرافية لانه يظهر ان اوّل شىء تجب معرفته هو وجه الارض وأظن ان هــذه فكرة من فراسة راول فرى الذى بشر بأن الجغرافية تكون مركز التعليم وان باقي العلوم لا تعلم الا بمناسبتها ولا يستقل عنها شىء ابداً وخصوصاً مبادئ علم الفلك والجيولوجيه والاقتصاد السياسى التى ترتبط بها طبيعة .

رابعاً : — مبادئ جبر وهندسة وطبيعة وكيميا وتاريخ طبيعى — علوم بسيطة فهل من معترض ؟ فمثلاً لا يدرس فى الهندسة سوى القضايا الرمزية بلا برهان وفى الطبيعة والكيميا سوى التجارب التى هى بحسب النظام ممهدة لتجارب أخرى كثيرة والتى هي اساس الاكتشافات الشهيرة

ويضاف لذلك تراجم مؤلفى تلك الاكتشافات الذي هو مفيد جداً وغالباً يكون حماسياً . واذا شاء بعض التلامذة التعمق فى بعض تلك العلوم فهم يتمونها فيما بعد .



تلامذة يبنون منبراً (كشك) في ميدان الالعاب

خامساً : — ألعاب وجمباز وتمرينات جسمية مختلفة وفسح اى رياضات

وزيارات للمعامل والورش — يتعلم كل تلميذ صناعة يدوية واني واثق ان هذا يسرهم كثيراً . ويصرف ثلث النهار تقريباً في هذا القسم من البروجرام (وكنت اود ان اضيف قسماً سادساً يكون موضوعه الفلسفة والادب ولكني رأيت ان المعلمين وخصوصاً اساتذة البلاغة والتاريخ يمكنهم ان يكونوا معلمي ادب وفلسفة في تعليمهم الخصوصي بواسطة الافكار التي يخرطونها بالطريقة التي يدرسون بها هذه المواد) ويتلقى التلامذة من سن الثانية عشرة الى السادسة عشرة هذا التعليم الثانوي المتنوّع الذي تختلف مقادير المواد فيه بحسب الاقسام وبعد ذلك يمكنهم التوسع في اي فرع يريدونه . فيدخل البعض احدى المدارس الكبرى التي قلنا بلزوم بقائها ليتمم فيها دروس العلوم ويتجهز فيها لمدرسة الهندسة (ولسنت سير) والبعض يتسوّح والبعض يذهب لقضاء سنة في مدرسة انجليزية او محل رياضة بدنية الماني والبعض يشتغل مباشرة بالتجارة او الصناعة والبعض يتم من نفسه التعلم ويتقوى حراً في اي وجهة تسره ونلغي البكالورية الادبية او العلمية ونستعيض عنها بالمحوظات والشهادات التي تعطيها المدارس الجديدة وتراقب الحكومة ذلك في المدارس الاهلية منها . ونريد اما ان نلغي الداخلية من المدارس فيضطر الاهالي لزيادة الاعتناء باولادهم واما ان لا تشاد المدارس الداخلية الا في الارياف ويتم ذلك شيئاً فشيئاً كلما مالت اليه الآباء .

ولا تحكموا على هذا البروجرام الآن فهو واسع جداً نعم ولكنه لين جداً ويحتاج للتصرف والتحوير ويجب على كل معلم ان يعمل التحسينات

التي يراها لازمة لترقية عقول التلامذة ويضع نصب عينيه ان التعليم نفسه يجب ان يكون اساس التربية .

ولا تحسبن ايضاً ان بروجرامي هـذا ضيق جداً لانه كذلك من حيث المعرفة بالماضي فقط وحيث ان الشبوبية اقصر من ان تسع تعلم كل شيء فيلزم ضرورة ان نعتني بالجزء الاكثر اما من الدروس التي ينبسط موضوعها مع الزمن واما من العلوم التي يمتد موضوعها في الكون . ولا محل للتردد في هذا الاختيار فمن البديهي ان الذي يجب الاسراع بمعرفته هو حالة العالم الحاضر وكل ما يمكن ان يتحصل عليه الانسان حالاً بواسطة العلم .

وسواء عندي سرك بروجرامي او قلت ان هو الا نوع من التعليم الابتدائي العالي لاني لا اتطاير بالكلام ومع كل فان تعليماً ابتدائياً مستوفياً لأفضل لاعياننا المدنيين من تعليم ثانوي عقيم .

ولا تقولن ايضاً ان التلامذة ينتهزون فرصة حريتهم مع معلمين يلعبون من جهة اخرى ببروجرام لين جداً فلا يحفظون شيئاً فاني لا اظن ذلك . ومع كل نسلم به جدلاً فما خسارتنا ومن المقرر الآن ان تسعة اعشار التلامذة لا يستفيدون شيئاً من التعليم الحاضر فلتكن نتيجة التعليم الجديد كذلك ولكن تلامذته يفضلون هؤلاء بعدم التوحش واني اتكلم بكل جد . ولكن كيف يتحقق هذا الحلم الجميل المتواضع واين نجد هؤلاء المعلمين الفاخرين ؟ نعم سيكون كذلك ابناء التعليم الجديد بانهم سيكونون اكثر حرية فاعتناؤهم يزداد بتأدية واجباتهم وبمجرد ما ينفض التعليم القديم

(كما اتعشم) فهو يهدينا ببعض اساتذته . وانى اسخر بهم اذا اعتقدوا يوماً ان تلك الوظيفة احط من معارفهم او اقل من مقدارهم (ولو كان اوكل الىّ لما كنت معلماً بالمدارس امر تلامذة عمرهم من الثانية عشرة الى السادسة عشرة لأعلمهم بلاغتنا بالطريقة التى اريدها لكنت سررت سروراً عظيماً وكان ذلك احب الىّ من ان اعد للبكالوريه الادبية طالبي علم البيان .)

ويقلل عدد التلامذة بمدرسة النورمال الكائنة بشارع اولم وينشأ بها قسم لتعليم اللغات الحية وتبقى لاعداد المعلمين لمدارس التعليم القديم والكليات وفى الوقت نفسه تؤسس مدرسة عالية للتعليم الحديث ولتكن اذا اردت مدرسة كلوني القديمة بعد ادخال بعض تحويرات عليها وليس فى ذلك شيء وهمي ولست بطالب محال او خالق بدعة ان اريد الا انجاز مطالب فكتور دوروى وبتر الغير مفيد لاحياء الباقي وليس الغرض الا زيادة البساطة فى العمل ولو شكل المجلس الاعلى على غير ما هو الآن لنفع كثيراً فى هذه المسألة .

لاحظوا ان للتعليم الحديث ايضاً تقاليده وفضائله فان كنا نعتبر ان اللاتينى كان فى القرن السادس عشر اللسان الدولى — حتى ولسان العلم واذا صرفنا النظر عن بعض التمرينات العالية المناسبة لاحد اولاد الملوك — يمكنا ان نقول انى انما أطلب احياء التعليم الذى كان يعطيه ابيستون للشاب جارجنتا (اظنه يعنى فرنسوا الاول ملك فرنسا الذي ساعد كثيراً على نشر المعارف والآداب) وهكذا يكون رئيس التعليم هو العاقل فرنسوا

رابليه (مؤلف رواية على اعمال وحركات جارجنتا .)

فلا يصح اذن ان يحتقر الرأي العام هذا التعليم ولا ان يعتبره احط قدراً او اقل ظرفاً من التعليم القديم . فحكم كهذا يفيد ان البلاغة والفلسفة والتفقه فى العلوم هى وظائف عالية فى ذاتها واعلا من غيرها . يا لله ؛ ذلك زعم محزن . واولى منه بالبطلان ان نعتقد ان قليلاً من اليونانية واللاتينية يقاسى العذاب فى النطق به (الشيء الذي لا يكفى بداهة لصيرورة الانسان عالماً او متفقهاً) يثبت لتلامذة التعليم القديم افضلية على الذين احرزوا ببساطة بعض مبادىء عملية يمكن الاستفادة منها مباشرة . . . ألا ترى ان التعليم الحديث يلزم ان يكون مقبولاً اليوم . واذا كانت الطبقات الممتازة ذات الجاه والسلطان مقتنعة بما قدمت واذا كانت تطلب لاولادها تعليماً يبعثهم ويرشحهم للعمل ليس قاصراً على العمل الصناعى والتجارى والزراعى بل يساعد على حياة المشروعات والسياحة والحوادث والخبرة والحركة الجميلة الخارجية التي يجب ان يرغب فيها الشبان الاغنياء كريمو الحسب (كما كان يقال سابقاً) لوجب عليهم ان يسلكوا هذا السبيل القويم الذي تكون من ورائه السلامة .

چول لمتر

الذيل الثانى

« أفضلية المدرسة الانجليزية على المدرسة الالمانية »

(بقلم استاذ المانى)

ما وضعت الحرب أوزارها حتى قامت الامة الفرنساوية تردد هذه العبارة (ان قاهر سيدان هو معلم مدرسة الالمان) (وسيدان هي المدنية التى حاصرت فيها الجنود الالمانية نابوليون الثالث وسلم لملك المانيا) وكان لهذه الجملة شأن عظيم فامتلأت بها الصحف وعلت بها أصوات النواب والامراء والشورى وغيرهم ومراسح التياترات التى أبان فيها الاوفرية دارجين مانويل باشعار معتدلة حكيمة مزايا التعليم الليلي ودروس الشبان والتعليم الاجبارى ونادى بها الاب ديدون على منبر الخطابة وهو عائد من برلين وقال فى كتابه المشهور : ان المانيا لا تستحق العجب الا بأمرين مدارسها وثكنات عساكرها . وما زالت هذه الفكرة ملازمة لجميع الفرنساويين حتى فى محال لهوهم وطربهم ومكثوا ثمانية سنوات من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٨٨٠ لا نسمع لهم نشيداً فى كل مظاهراتهم الا هذا : اذا كانت الامة تعرف القراءة تقوى اذا كانت الامة تعرف القراءة فهى كبرى ، ثم قلدوا المانيا حتى ادعوا انهم تقدموها فى سبيل هذا التعليم الخارج عن الحد واكثروا من المدارس ووسعوا الكليات وشيدت مدارس جديدة وهذا انتقام عاجل ثم استولى عليهم الجمود لما

سمعوا الامبراطور غليوم الثانى يقول فى خطبته التى أوردها المسيو ديمولن وشرحها وانتقدها فى كتابه سر تقدم الانكليز السكسون : « لم تبلغ المدرسة للآن الدرجة التى كان يجب ان تبلغها » هكذا اخافت المدرسة التى اعجبت بها فرنسا جميع وعودها فى نظر الامبراطور نفسه . وسبقه بمثل هذا الانتقاد فى سنة ١٨٢٨ جوث حيث قال : « لا يمكن ان استحسن ان يطلب من الذين يتعلمون ليخدموا الحكومة هذا المقدار من المعلومات النظرية والعلمية فان ذلك يستنزف قوى وآداب هؤلاء الشبان فاذا تقلدوا بعد ذلك وظيفة تستوجب عملاً فعلياً يكونون بلا شك عارفين كثيراً من المعلومات الفلسفية ولكنهم لا يقدرون ان يستخدموها كلها عملياً فيضطرون ان يهملوها فى حيز (العفش الغير نافع) ويكونون فى الحقيقة قد أضاعوا ما هو أولى بهم من النشاط الأدبى الذي هم فى حاجة له ولا بد لهم منه . واذا أرادوا الدخول المناسب فى الحياة الحقيقية . . . وجدوا قلوبهم مريضة . وثلث هؤلاء العلماء هؤلاء الخدمة المصلحيون المحنيون على مكاتب الشغل مصاب بامراض جسمية معرض لشيطان الخلط السوداوى (مرض عصبي يتسلط على أفكار المصابين به فيتوهمون دائماً انهم مصابون بجميع الامراض المختلفة الشديدة ويقعون بسبب هذا الوهم في امراض وسواسية ذريعة) وهذا وجه وجوب الاصلاح فى الامة لنحفظ على الأقل النشأة من هذه الشيخوخة العنيدة . والامل كبير فى ان نكون بعد قرن لا علماء متفقهين ولا فلاسفة بل نكون رجالا . »

واليك ما تسلق به اليوم كليات المانيا من الألسنة الحداد فكما

انسلقت كايتنا على ملأ حافل في سوربون قام في الجهة الاخرى من نهر الرين دكاترة علم اللغة والفلسفة وعلم اللاهوت يسخطون على التعليم الذي من وظيفتهم نشره ومنهم الدكتور هرمان ليتز (ليسانسييه) في علم اللاهوت ودكتور في الفلسفة بكلية ينا وكان معلماً في مدرسة ابو تشولم بانجلترا نشر أخيراً في برلين كتاباً نريد الاتيان به هتك فيه المدرسة الالمانية : وصف المسيو ليتز في الجزء الاول من كتابه مدرسة الدكتور ريدى وامتدح نظام بروجرامها ودرج في هذا الكتاب رسومات سنأتي على بعضها وفي الجزء الثاني قارن بين مدرسة التعليم وبين مدرسة التربية أعني بين المدرسة الالمانية والمدرسة الانجليزية واستنتج وجوب تحويل المدرسة الالمانية لنظام المدارس الانجليزية السكسونية فقال : « ان مركز جماعة المعلمين القدماء اليوم حرج جداً فاننا في جميع بلاد اوربا في لفات هذا القرن نساعد على حركة عظيمة في التربية وان تغير شروط الحياة السريع يقتضي تربية جديدة تناسبه . . . . — وان جماعة المعلمين القدماء يعتقدون ان واجبهم الاساسي ينحصر في تعليم النشأة اللاتيني واليوناني والرياضة والحساب والمطالعة والكتابة وانه يكفيهم الالمام بتلك المعلومات المختلفة لتدريسها للتلامذة وكانوا يكتفون بتملية واجبات وتصحيحها باعتناء وتوزيع النقط البطالة والاكثار من عقوبة الحبس . . . . ولا تشتغل المدرسة الا بالتعليم الذى تعطيه ، وعلى العائلة تعود مسؤلية التربية ولكن بعد التعقيدات التي جرتها ضرورات الحياة الجديدة لم يعد في قدرة العائلات رغماً عن أحسن مقاصد العالم ان تؤدى واجب التربية ولما

يدخل تحت طائلة المدرسة الوصول لذلك فهى تجهل طريق القيادة للخير . اذن . هل وجب ان يبقى التلميذ بلا تربية ؟ وهل يصح ترك حبله على غاربه ؟ كلا تلك الاسباب تجاهد جهاداً قوياً فى سبيل تغيير هذا النظام الحاضر . » ولاتمام هذا التحويل يلزم تعويض مدارس التعليم بمدارس التربية أعنى ابدال التعليم الذى لا يثقف العقول « بالتربية » التى ترفع شأن جميع أركان كينونة الصبي . »

ولا يمكن ان تكون مدارس التربية بالمدن الكبرى ، وما ازهر واقطع المذاكرات التي جاء بها الدكتور ليتز عن مدرسة ابوتشولم ففى المدن الكبرى التى تكون فيها الاميال والافكار للطبيعة الجميلة الصحية معرضة للخطر او منعدمة بالمرة يصير الشاب كائناً تصنعياً ضعيف البنية غير مقبول حادًّا مدمناً . . . واوّل قوى التربية هى الطبيعة وليس فى المدن شيء طبيعي . اذهب الى همبرج مثلا لترى بمرسح مبانى تلك المدينة كيف يسخرون بشعرائنا وكيف يصوّب جويوم ثل سهمه ويصيب التفاحة تحت ضحك الجميع وكيف يهزأون ببيعة نانس . . .

وترى كذلك جماعة من الآباء يصحبون اولادهم يقضون معهم الليالى فى شرب المدام والهزل والضحك . . . فلنحذر النشأة التى لم تدخل للآن بين جدران تلك المدينة من ان يقربوا هذا الهواء الفاسد المعدى وذلك الجو الجهنمى . »

المدن الكبرى تفسد الاخلاق ولا شك انه ليس فى وسع مدارس التعليم تقويمها « والغرض الذى يرمى اليه المعلمون والتلامذة هو الفوز فى

الامتحان لا تقويم الاخلاق » الامتحانات والشهادات هى الغاية القصوى والتدفئة هي الطريقة الوحيدة . وما ارذل ما يحصلون ! إن يحصلون الا السقام لهؤلاء الشبان الذين يغذون ذكاءهم من اجسامهم ، عديدون هم الذين فى اثناء دراساتهم وبسبب ثقيل احمالهم يصابون بعدوى جراثيم السل الرئوى والامراض الاخرى ويخرج هؤلاء الشبان وليس فى قدرتهم الا تعليم الصبيان . واذا لم يمكنهم الحصول بسبب الازدحام على تلك الوظيفة اضطروا للتطوع فى العسكرية « حالة فقراء حاملى البكالورية . . . » وعندنا المزارعون واصحاب الصنائع ينشدون وينادون على موظفين ومديرين لاعمالهم فلا يجدون ، واطياننا المباحة لا تجد زارعاً ولا مشترياً بعشر قيمتها وحالنا سائرة دواماً فى نظام القهقرى . فمن المسيء وأين الدواء ؟ فقد صار نظام التعليم والامتحانات التى اصبح اساسها التلاعب الى مسخ تام وذلك دون سواه سبب فساد تربيتنا ولا شيء يساعد على توليد هذا المركز الذي لا يمكن الاستقرار فيه ونحن نتخبط فى امواجه الآن . . . . والامر الذي يؤثر فى الدكتور ليتز هو هذا « المسخ التام » الذى يميت افكار الانسان ويستوجب ان يزق له العلم كزق الحمام بل الذى يصعّب كل شيء بل الذى يموت فيه الشعور والجسم اللذان يكوّنان هذا الكل الانسانى كأن إضعاف الجسم ليس إضعافاً للعقل وكأننا لا ندرى ان الانسان حيوان عاقل . وهل من معترض على الدكتور ليتز فى تسميته بالمسخ طريقة تربية ليس فيها سوى ثلاث ساعات تمرينات جسمية على اربعين ساعة فى شغل عقلى . ومع كل ايٌّ تمريناتٍ هي ؟ ان هي الا

حركات منتظمة للجسم كأنما اتخذ من الجمباز اجرومية للجسم كما اتخذ من الضوابط اجرومية للغاتِ فضلا عن كون هذا الجمباز لا يعطى فى الهواء الخالص . وما ذا تقول اذا علمت ان السباق يحصل فى قاعات (صالات) هل يستوى عندك هذا التراب بالهواء الذى يستنشقه التلامذة فى السباق بالخلوات بين المراعي والاشجار ؟ . وليست التمرينات الاخرى بأرقى من ذلك فقد قال الدكتور ليتز لبعض رصفائه فى الكليات الالمانية : « نعم ان عندكم شباناً يعرفون التسلق على المدارى (خشبة لدفع المراكب) والاحبال ويعرفون النط عرضاً وارتفاعاً بخشبة النط (خشبة طويلة يضعها الشخص فى الارض تساعده على القزح) ولكن اذا طلب منهم ان يتسلقوا على شجرة فى غابة لم يعرفوا كيف يعملون ! واذا لقيتهم حفرة او قناة وقفوا أمامها مترددين بين كونهم ينطونها او يقعون فيها — فلا يصح ان نعتبر النط الى العلا من فوق حبل او صعود مدرة آخر كل عمل ونهاية كل مهارة وما هى الا طريقة للتسلط على الطبيعة . » وليست التمرينات الجسمية بأرقى من الجمباز فى المدارس الالمانية فليست هى فى العادة الا حجة للشرب والكسل « وقد اصبحت بهذه الطريقة كرة القدم واطلاق المدافع وركوب الدراجات — هذه التمرينات الصحية — باباً للضرر . » ولم ينته المشكل فقد رأى الدكتور ليتز فى مدرسة ابوتشولم ان المعلمين يشاركون التلامذة فى ألعابهم الجسمية ويشجعونهم فى السباق ويعلمونهم كيفية استعمال المقذاف ورمى القباب الطيارة .ولكن الامر بالعكس فى مدارس المانيا « فالمعلمون الذين لا يعملون شيئاً سوى التشديد والتوبيخ يقاومون

التمرينات الجسمية مقاومة عنيفة .... فتستعر نار البغض بينهم وبين تلامذتهم . » أما الاعمال اليدوية فأحط عندهم من ذلك وهم لا يألون جهداً في تفهيم الاولاد انها لا تليق بهم وانه يلزم تركها للعمال . والالعاب المحضة ذلك شيء ينحصر في الاولاد الصغار ولنسمع الدكتور ايتز يكشف لنا القناع عن حالة ارواح التلامذة الالمان : « ما ذا تعمل التلامذة حينما يفرج عنهم من حبس المكاتب هل يلعبون في الهواء المطلق ؟ هذا مناسب للصغار وكيف يليق بالكبار أن يلعبوا لعبة (حاوريني يا طيطه) او لعبة (الاستغمايه) .... »

« فاذا كانت الالعاب في الهواء المطلق ممنوعة بواسطة الكبار بقي لهم اللعب في الغرف بالورق مثلا (الكتشينه) فهم يذهبون في خزنة خمارة ويجلسون للعب بكل نشاط كأغلب اساتذتهم ومثلهم ايضاً يطلبون من البيرة يذوقونها ... فما اشرف تلك العواطف والاخلاق والصفات التي تتربى في هؤلاء الشبان ... ويبقى لهم شغلة أخرى وهي تقريباً التمرين العضلي الوحيد ؛ تلك هي الرياضة (الفسحة) (شيء مضحك) وهي قاصرة على التجول في شوارع المدينة للتفرس في وجوه البنات الصغيرات واقتفاء آثارهن والانتهاء بالدخول في خمارة ولا يلبث الدوانهم المثلج ان يطلب المشروب وكذلك البلطو الصيفي الفاتح والعصا الخيزران الظريفة ، اذ لا فتوح بغير هذه الرفاق . » وما اقل الشبه بين هذه العربدة المملة وبين الرياضة التي رآها الدكتور ليتز في ابوتشولم ووصفها بقوله : « للتلامذة هناك نصف نهار اسبوعياً ويوم كامل شهرياً يقضونه كيف شاؤا فهم يتنزهون

تلك الفرصة ليتريضوا ولكنهم يقررون لهم غاية يقصدونها كزيارة احدى الغابات أو الخرائب الاثرية او احد ميادين الخيل او المحاجر الى غير ذلك وهم يمشون من عشرة أميال انجليزية الى عشرين وهى مسافة يعجز كثير من المعلمين والتلامذة الالمان عن قطعها . . . . » ولا يطرأ على افكار التلامذة فى هذه الرياضات ان يزوروا فندقا او محل بيرة . فليس من الغريب ان المدرسة الالمانية لا تعطى مع هذا النظام التهذيبي أدنى نتيجة من الجهة الجسمية حيث انها مهملة تماماً ولا من الجهة الادبية حيث تقضى التلامذة كل اوقات الفراغ بين الخمارات ومجتمعات الاوباش والاشقياء ومحلات القمار ولا من الجهة العقلية حيث هم لا يتعلمون لعقولهم بل لجواز الامتحان ونوال الشهادة فى وقت معين تحت نظام التدفئة الممقوت . ويقول الدكتور ليتز ان التلميذ الالمانى قليل الكفاءة لتدبير حياته وهو اقل كفاءة ايضاً من ان يصلح جندياً والمعلم الالمانى الذى لا تنقصه معرفة تحريك الحبل الحساس عند سلطانه يتعوق كثيراً فى توضيح واثبات هذه النقطة الاخيرة : وهل مدارس التربية ترشح للخدمة الجندية ؟ الق نظرك من فضلك فى مسكن الجندى المتطوع لسنة فهو ينام بملابسه فاقد القوى عند عودته من الطابور او من المناورات على مقعد (كنبه) لا يريد ان يسمع كلاماً ولا صوت اكل او شرب وقد زال منه كل الغرور الذى دخل به الخدمة العسكرية وانقلب عشقه وهيامه بها لاحتقار وازدراء . وهو ينتظر بفروغ صبر نهاية هذه الغلطة الفظيعة . »

لست ادرى كيف اعرب عن ذلك ، لست ادرى كيف نسمع بيننا هذه

الشكاوى المستمرة التى لاتحصى من هذا التعليم الذى نحسد عليه فى الخارج وتعجب به اوربا والعالم بأسره وليس من صبي الا ويتمنى بكل امياله الساعة التى يرى نفسه متحلياً بذلك الرداء اللامع المنقوش على غير الذوق ولا من صبي الا ويتمنى ان يكون قائداً وتراهم فى الاعياد لابسين الخود وماسكين النفير وحاملين البنادق والسيوف الى غير ذلك وتراهم فى كل جهة يقلدون العساكر فى ألعابهم ولاتلبث ان ترى كثيراً منهم بالكسوة الرسمية العسكرية وخصوصاً لبس الفرسان المحبوب جداً (السوارى) منتحرين (وانتشار الانتحار فى عساكر الالمان شيء مشهور) واين سبب هذه الظاهرة المدهشة ؟ « السبب الاصلى هو المقاومة الشديدة التى توجد بين مدرسة التعليم وبين نظام الجندية . وقد عرف سكان سبارتا الغابرون والرومان والنمساويون وفرسان القرون الوسطى انه لا يصح ان تدرس فنون العسكرية فى عمر السادسة عشرة بل يجب ان يرشحوا الصبي من ابتداء المدارس للحياة الرجالية بالاستمالة التدريجية للجسم . » فتلك المدرسة التعليمية التى ليست اهلاً لاخراج علماء وليست اهلاً لاخراج رجال ولا اهلاً لاخراج عساكر . تلك المدرسة المكروهة المقدوح فيها من نفس الشبيبة الذين تعلمهم تلك التى مثلها كما يقول الدكتور ليتز « كمثل شاب تنفر منه البنات جميعاً باحتقار » يجب ان تهبط تحت اللعن وتجرد من كل امتياز ويجب ان تمحى آثارها اذا كانت المانيا تريد البقاء على عظمتها وقوتها وينشأ بدلها بحسب رأى الدكتور ليتز مدارس لها نظام آخر قال : « ان الغرض الذى ترمى اليه المدرسة ذات النظام القديم كان ولا يزال التوفيق بين عدة

مبادئ : فالمدارس الصغيرة تدعي انها تعلم المطالعة والكتابة والحساب والديانة القبطية . والمدارس الكبيرة تعلم اللاتيني واليوناني والعبراني والرياضة ... مع انه ليس الغرض فقط معرفة المعارف ولكن تربية الاخلاق ، وليس الغرض تربية الذكاء والذاكرة ولكن تقوية القوى وكل الاحساسات وكل الاعضاء وكل الاميال الشريفة الطبيعية فى الصبي لنخلق منه كائناً كله احساس ، وليس الغرض فقط معرفة القراءة والكتابة واليونانى بل الغرض معرفة الحياة وهذا هو الامل الذى يجب ان تحققه المدرسة الجديدة على مبدإ « روح طيبة فى جسم طيب » وقام الدكتور ليتز معززاً للقول بالفعل فأسس فى المانيا فى الهارتز مدرسة على نظام مدرسة ابوتشولم ليعمل ضد النظام المدرسى الذى تفتخر به المانيا .

ج . ث .

الذيل الثالث

« نظام المدرسة الصناعية العملية »

لايجوز أن نساعد العامل على ان يعيش فى الخمول والكسل بل يجب تربيته . ومن الافكار القديمة ان يعتبر مركز العمالة مركزاً نهائياً وقد أخذ هذا المركز لأن يكون شيئاً فشيئاً وقتياً لان الآلات التى حلت محل الانسان ومحت التقيد به قد اطلقت للعامل العنان وفتحت له مراكز جديدة عديدة . ومرمي التربية الحالى هو اعداد العامل للاستفادة من

هذه الظروف الجميلة . فرجل اليوم صانعاً او غيره يلزم ان لا يكون كاللبلاب (نبات) الذى يلتصق بالجدران بل يجب ان يكون كالهر يجرى على رجليه دائماً بنشاط وخفة . والتربية اليوم يجب ان تشمل الهيئة الانسانية بطريقة عامة خصوصاً وقد اخذ الامتياز بين الطبقات فى الانحطاط ولم تعد الرتب الا عنواناً دنيوياً لا حقيقة له فى الوجود وهى تميل يوماً فيوماً نحو الزوال بميل الاوهام عنها . ولا ينجح اهل المدن والحضارة الذين يهيمون حماقة بالحياة العالية الا اذا عدلوا عن تلك الخطة . هكذا اخذت ماجريات الاجتماع الحاضرة فى رفع الطبقات الدنيئة وخفض الطبقات القديمة العالية فوجب اذن ان نخلق طريقة التربية التى ترشح العامل لاتمام ارتقائه المدنى على اجمل الظروف . ورؤساء العمل والتجارات والصنائع الكبرى هم الذين يمكنهم ان يعملوا لذلك لانهم اقدر الناس على التأثير الفعال على عمالهم . واحسن الوسائل لانجاح ذلك هو تأسيس محلات لتعليم الرجال تخصص لهؤلاء الشبان العملة . وقبل ان أحدد نوع ذلك التعليم أرى ان أمهد للقارئ بهذا المثل الذي طرأ عليّ اتفاقاً وهو انه ورد لى من البريد يوماً رسالة عنوانها دليل الجمعية الودية لتلامذة الشغل اليدوي (بكرى واز) او مدرسة سوماسكو القدماء وهذه المدرسة أسسها سنة ١٨٨٧ المسيو شارل سوماسكو رئيس صناعة كرى فى حديقته الخصوصية بجوار مسكنه وهى تحتوى على بنائين يوصل بينهما ثالث فعلى اليسار نفس المدرسة وعلى اليمين دار تحف الصناعة وفى الصدر دار الكتب وعدد تلامذتها اربعون تلميذاً ويعتبر الدخول فيها مكافأة عظيمة

وتفتح للدراسة ثلاث مرات فى الاسبوع ومدة الدراسة سنتان ويحضر المسيو سوماسكو بنفسه جميع الدروس ويساعده ثلاثة (اسطوات) — رؤساء العمل وهم ايضاً من تلامذة المدرسة — يعطون نصائح عملية ويذهبون من تلميذ لآخر للعناية بطلبات كل منهم بكل التفات ، ويلقى المسيو سوماسكو فى صباح الخميس درساً شفاهياً للشبان على صناعة الحديد او الزهر او الصلب او على استعمال وخواص المعادن المختلفة او مبادئ ميكانيكية عمومية كتركيب القوى او التوازن او القوى الحية الخ او على الطرق التى تستعمل لتشخيص الاجسام كالرسم العملى او الرسم الصناعى او كروكى المسطحات الخ او على ترتيب الآلات العام وتفتح دار التحف ودار الكتب فى يوم الاحد للطلبة الحديثين والقدماء . وروى المسيو روليفيه المفتش فى جمعية الواز ان المسيو سوماسكو يفتح ابواب حديقته الجميلة فى ذلك اليوم لهؤلاء الشبان وهم احرار فى ان يدخلوا دار الكتب او دار التحف او يتنزهوا فى الحديقة او يلعبوا بالموسيقى او البيانو او يغنوا وتشاركهم فى ذلك عائلة المسيو سوماسكو بكل ارتياح وسرور ويقول المسيو سوماسكو فى ذلك (انها اجتماعات ودية عائلية بسيطة سارة للغاية) ويغمرهم احياناً بفضله فيدعوهم او بعضهم لتناول الطعام على مائدته وتراهم جميعاً يقرون بفضله ويحبونه حباً شديداً ويخلصون له بقلوبهم .

فانظر الى ذلك العمل الجليل الذى أسسه واقامه وحافظ عليه رجل واحد بلا معونة ولا اكتتاب ولا مساعد له فيه سوى امرأته وابنته وللجمعية التلامذة القدماء مجلة سنوية وهم يقيمون فى كل عام بقاعة دار

التحف احتفالاً فاخراً يدعون اليه الاقارب وكبراء كسرى واعضاء التعليم العام وكل من تعود منه فائدة على المدرسة وهذه المشروعات نادرة اليوم جداً ولكن قد ظهر انها ممكنة وانها تنجح اذا اديرت بنباهة واخلاص وعلى كل حال فقد اسفرت لنا عن الطريقة التى يجب ان نتبعها وهى التى سنحددها الآن : المقصود ان تكون الدراسات النظرية أقل من التعليم العملى الذى يمكن الاستفادة منه مباشرة بالترقي فى وظيفة مخصوصة أو فى جميع الاعمال على العموم ويجب ان نغرس بافكار الصانع الاحساس الخالص بان هذا التعليم هو كآلة طيبة له تساعده على ان يرقى الدرجات التى يصلح لها ويجب ان تكبر عنده هذه الثقة لانها تضاعف قواه وتزيد نشاطه . لانه لا يوجد شيء اكبر ضرراً من الحياة التى يعيش فيها الصانع حالا الحياة الممقوتة التى لا يجبره على البقاء فيها سوى طرق التربية التى يشب عليها ويجب ان يختلف هذا التعليم بحسب كونه يعطي لصانع او لعامل متاجر . فتعليم الصناع يجب ان يؤسس على قواعد الرسم والعلوم الطبيعية التى كانت تطبيقاتها سبباً فى نتائج الصناعة الحاضرة العجيبة . وليلاحظ انى لا أريد التعليم فى الكتب بل أريد التعليم العملى والتحاضير الكيماوية فى المعامل والتجارب الطبيعية ودراسة النباتات والحيوانات على انواع حقيقية لا فى الكتب وعلى الاشكال . وتوضع تحت تصرف التلامذة مجموعات متقنة الترتيب من محصولات الصنائع مع بيان أشهر مصادرها ويلزم ان يعرفوا شيئاً من الجغرافية العملية بشرط ان يفهموا فائدتها فتثبت فى عقولهم بسهولة . وبالنسبة لعمال التجارة تكون قاعدة التعليم دراسة

اللغات الحية التي معرفتها ضرورية لنا لنفتح لصادراتنا ابواباً جديدة ويمكننا ان نقول ان هذه النقطة محتاجة للبدء فيها والعمل لان من أسباب السقوط الشديد المتزايد فى تجارتنا جهلنا باللغات الاجنبية واخذت تجارة المانيا فى الزيادة حتى أصبحت تهددنا وذلك بسبب ان فى اغلب بيوتها التجارية عمالا يتكلمون ويكتبون جملة لغات ولها فى الخارج وكلاء كهؤلاء وهى بذلك تمضى فى كل بلد كل عمل بلغة نفس البلد وبزيادة خبرتها عنا بعملائها وبالاصناف المطلوبة تشتغل بسرعة واطمئنان وهى لا تنتظر بحث الناس عنها بل هى تبحث عنهم وتعرف كيف تستميلهم اليها . ولكى نحفظ اللغات يلزم ان نتجرد من تلك الطرق المضحكة التى يدعون اننا نتعلم بها اذ لا يمكن اجادة لغة الا بالتكلم بها فبهذا الاسلوب وبذكاء الشبيبة تكون النتائج عجيبة وهل من حاجة لزيادة الافصاح عن الفوائد التى يجنيها تجارنا من تأسيس وتنشيط تعليم كهذا يقدم لهم عمالاً بدونهم يكون نصيب تجارتهم الهبوط والخسران . لسنا اليوم فى بلد العصور التى كان مجال التجارة محدوداً فقد انتشرت السكك الحديدية وفرقت العملاء (زباين) بين طرفى الارض والواجب ان نتهيأ للتوجه فى البحث عنهم . ويجب ان يجمع بين هذه اللغات ودراسة الحساب العملى والجغرافية التجارية ويجب ان يكون لها مجموعات حسنة العمل والترتيب عن المحصولات المتبادلة مع توضيح جهات المصادر والموارد . وعلى وجه العموم لا يصح ان يكون هذا التعليم نظرياً كما هو فى الخمسة او الستة مدارس التجارية الموجودة والتى لا تعلم فيها اللغات المتداولة ولا الطرق العملية فى المسائل

ولم تظهر لها نتيجة للآن سوى تخليص اولاد التجار الاغنياء من خدمة الجيش الثلاث سنوات المقررة . ولا تجد فى تلك المدارس سوى الادعاء المضحك بانها تربى ضباط التجارة مع انه لا يمكن ان يكون الشخص ضابطاً تجارياً طيباً الا اذا كان اولاً عسكرياً طيباً ولا يمكنه ان يكون عسكرياً طيباً الا بالتمرين العقلى هذه قاعدة طيبة يجب على تجارنا الكبار ان يغرسوها فى عقول ابنائهم . ولا يكفي ان نعطى للشبان العملة هذا التعليم العملى بهذه الصفة بل من الضرورى أيضاً ان نجعلهم على استعداد للترقى مدنياً .

فان الرجل الجديد الذى نريد تكوينه لوضعه فى قمة المراكز الجديدة يجب ان يعلو ولا ينحط اذ ليس المقصود ان نأتى بنوع العمال والصناع المزخرف بل نعنى الرجل الذى اذا ارتقى بقى محافظاً دائماً على هيئته واحواله وافكاره بصفة صانع او عامل فلغته الدارجة واحواله عمومية وملبسه مهمل وشخصه غير معتنى به بل واكثر من ذلك يبقى وسخ اليدين اسود الاظافر لان شيئاً من الاحساس . بالرقة والحذاقة لا يكفي . لان تلك الاولى هي صفات الصناعة والتجارة وبها تتقدم وبها تنجح . لا أقول انها الاصل الذى تقوم عليه ولكنها من الشروط المتممة لها . واليك السبب : تجارة وصناعة اليوم لا يمكن العمل فيها كما كان فى صناعة وتجارة الزمن السابق الضيقة بل يلزمها زيادة تنور ودقة فى القول ونباهة وزيادة ادراك وحذاقة التى تجلب الراغبين (الزباين) ولتقديم البضائع كيفية مهمة فى النجاح ومعرفة تقديرها وكذلك مقابلة الناس واجتذابهم وكيفية

مخاطبتهم والتأثر السريع لادراك اميال كل انسان بحسب اختلاف انواع البضائع من جهة الجودة أو الظرف او البساطة وبالاختصار يلزمها زيادة التدرب والخبرة بالرغبات والاميال والاذواق مع الحذاقة فمعلوم ان الرجل الجبلي الذي جاء وفتح حانوته (دكان) المخزن بباريس لا يفهم ذلك وحاله بذلك الجهل أحط من مركز بائع الخشب البسيط او بائع الخرداوات اذن يجب ان يكمل هذا التعليم العملي الذي تكلمنا عنه بطريقة تربية ويجب ان يكون موضوع هذه التربية في المقام الاول هو الجسم لان من غباوة مدارسنا انها لا تنظر في الرجل سوى الرأس ويلزم ان نجعل من عادات هؤلاء الشبان الثابتة عادة النظافة ويلزم ان تفهمهم ان الماء ليس عدواً للجسم وان للصانع والعامل الحق في ان يكونوا نظافاً كالرجال المعتبرين وانهم يربحون من ذلك لانه طريق تقدم ونجاح ويجب ان ترمى هذه التربية لانماء الاميال الصناعية والذوق والاحساس بالجمال لا بحركة هيام مضحك ولكن لان الصناعة والذوق والجمال هي عناصر بواسطتها يحفظ للبلد او للامة الافضلية الصناعيـة والتجارية وهذا هو آخر عنواناتنا في مقابلة المزاحمة الاجنبية ويمكن الحصول على هذه النتيجة اذا اضفنا للمدرسة دار تحف عملية وصناعية في آن واحد ويكون من اغراض هذه التربية ان تكوّن من هذين الصانع والعامل المبتدئين رجلاً للدنيـا اعني رجلاً متحلياً بهذه الصفات التي ذكرتها ولذلك يلزم احيـاء ليال للادب وليال بالموسيقى وليال للطرب يحضرها رئيس العمل وعائلته حتى يتم الانس ويرتفع الميزان وقد ادرك الانجليز من زمن

الفائدة والشروط الجميلة من هذا العمل المدنى وتفننوا فى الوسائط التى تسدُّ هـذه الحاجة ، ومن ذلك جمعيات التعليم التى اشتغلت بها الجرائد الفرنساوية سابقاً وفى النهاية هذا هو الموضوع الاساسى : هذه التربية يجب أن تمي الارادة الى أعلى درجاتها ويدخل تحت هذه الكلمة الاقدام والنشاط والثبات فى المشروعات والجراءة ولاحظوا ان هذه هى الشروط الاساسية للفوز فى الصناعة والتجارة فان من اعظم عيوبنا اننا ننكص على اعقابنا لاوّل خسارة ولا نعرف ان نتتبع مشروعاً يستلزم ثباتاً طويلا بل نريد النجاح مباشرة او نترك كل شيء ونرتكن فى النجاح على الاشياء اكثر من اتكالنا على انفسنا . وتنصلح هذه الحالة العقلية وتكبر الارادة والاقدام بمجرد ما اكتسب الصانع الوثوق من انه ليس خاضعاً للجبر والقدر فى حالته المسكينة وانه يمكنه التخلص منها اذا كدّ واجتهد . وهذا المبدأ المحرر يساعده كثيراً واذا أتته هذه المساعدة من جانب الرئيس نفسه زالت الوحشة بينهما ولم يعد الرئيس كعدوّ له بل يصبح كأخ اكبر يقوده فى الطريق التى يمكن لكل فرد من الآن ان يدخلها مادام كفؤاً مستحقاً .

ا . د .

الذيل السابع

« مستقبل التربية الحديثة »

« اجتماع عقد فى سوربون ٥ مارث سنة ١٨٩٩ »
« وتلاه اجتماع آخر عقده المسيو جبرائيل على ضرورة معرفة »
« الفرنساويين بالامم الاخرى »

سيداتى وسادتى :

ماكنت لأنال الحظ الوافر بقيامى بينكم خطيباً لو لم تنصرنى جمعية دوبلكس بلسان رئيسها المسيو جبرائيل بونفالو على خوفى من ان اكون تحت واجب كهذا فاقتنعت بوجود شيء . شيء جديد يستحق ان يقال الآن نعم لانى سأشرح موضوعاً لذيذاً وسأحذر أنا الآخر من ان اخبط خبط عشواء لان كثيراً لامنى على ذلك وسأكتفى باشارات سريعة وكنايات بسيطة وسأعتنى بالايجاز لان الغرض هو المرور بيد خفيفة على قروح حادة دامية وسأجتهد فى ذلك .

سادتى : — اشتدت اليوم ازمة التربية وما من احد يجهل ذلك وقد اظهر لكم المسيو چول لميتر وارنست لافيس هنا بأبهة وجلال ليسا فى وسعي بعض وجوه تلك الازمة ويجب علينا جميعاً ان نعمل لحلها لانها اشدّ الامور ألماً وأولاها بالاهتمام وانى سأجتهد ان اخدم الصالح العام ولا فخر ولست اوّل من بدأ كم بالتكلم فيها فهى تكبر بهدوّ وتمسك وانما

يحكم عليها بنتائجها وانى أريد ان استخرج من هـذه الازمة الحاضرة فى التربية بعض نقط لا يصح ان تبقى على غموضها .

١

لم تتولد هذه الازمة فقط من البروجرام والامتحانات بل تولدت فى الغالب وقبل كل شيء من ان التعليم يميل الى ان يكون واسطة للتحزب وآلة للوقائع وقد اصبحت المدرسة واسطة للاستيلاء على الاولاد بدلاً من ان تكون واسطة للتربية الحقة فتقام الوقائع والمنازعات حول الصبي لكي يضم باسرع ما يمكن ونهائياً فى احد الحزبين اللذين يقتسمان البـلد فالمدرسة اصبحت من بعض الجهات كمكتب قرعة لتجنيـد الصبيان فى الاحزاب وهذا التحويل المذهل فى المدرسة ناشيء من الاهمية العظمى التى نعيرها للحياة العمومية .

فرنسا قد أصيبت بورم ثقيل فى جسم السياسة وهو مرض قد اصبح وراثياً عندنا فشا فى ايام الحكومة الملكية فى ولاية لويز الرابع عشر واشتدت وطأته تحت الحكم المطلق ايام الكونغاسيون (وهى جمعية حكمت فرنسا من ٢١ سبتمبر سنة ١٧٩٢ الى ٢٦ اكتوبر سنة ١٧٩٥) وتفاقم خطبه تحت امبراطورية نابوليون وحوفظ عليه باعتناء تحت الحكومات المختلفة التى تعاقبت بعد ذلك وهو الآن سائر فى طريق قتل المريض وتشخيص هذا الداء سهل فأعراضه ان المريض يشعر بهيام شديد باحتلال مركز سياسى او ادارى مهما كان وضيعاً وبأن يعيش فيه ويعتريه الغيظ الشديد

اذا رأى او توهم ان هناك احداً يسابقه او ينازعه فى ذلك المركز ولكي يطمئن عليه يتحد المريض مع جملة من المصابين بمثل مرضه فاذا تألفت العصبة فهى تفتك بحدة بكل من اغتصب السلطة وتعترض بشدة لكل من نازعهم اياها . تلك معركة حمقاء يصير فيها كل شخص غير واثق من اقواله واعماله ولا مما هو حق ولا مما هو فاسد ويسمى ذلك فى عرف علم الاجتماع بمرض السياسة الغذائية .

وبالجملة فان الانسان يعيش من السياسة ويطلب منها شروط قيامها وكون الانسان اولا كونه من الحزب الذى يغتصب السلطة مسألة قوة اوحياة . ومما يزيد فى جسامة هذا الداء انه وبائى ومن الامراض الشديدة العدوى . وعدد المصابين مباشرة بداء السياسة الغذائية الحادة ضيق الآن بالنسبة لتعداد الامة واذا اعتنى بعزلهم فى مستشفيات خاصة لزال خطر العدوى ولكنهم بكل اسف يسيرون فى الطرق ويدخلون المنازل ويحضرون المجتمعات والجمعيات والمؤتمرات بعلة السياسة أو بأية علة اخرى . وبما انهم يتكلمون بصوت اكثر ارتفاعاً وقوة من الاشخاص العاقلين الصحيحين المعتدلين فهم ينتهون بالتأثير على الآخرين وهكذا تنشر العدوى شيئاً فشيئاً وقريباً فقريباً بين سكان البلاد . ولنذكر لهذا المرض عارضاً آخر مميزاً وهو انه يتلف ويقرح كل الجسم الاجتماعى ويكسب حتى اسلم الاميال صفة مرضية . واعراض ذاك الداء شبيهة جداً بالبول السكرى والدفتريا ومن المعلوم ان أقل قرحة او جرح فى هذه الامراض خطر جداً على الحياة وهكذا فى الجمعيات المصابة بداء السياسة الغذائية الحادة تستحيل اقل

المسائل وابسطها واكثرها اعتياداً الى مسائل سياسية مفزعة وفوراً تقوم الاحزاب وتتخبط لانها على قدم وساق لاقل الاسباب .

ولن اذكر الا ثلاثة امثال واظن ان الافضل نقلها عن حوادث الصين الحاضرة . فمن المعلوم ان بالصين كفرنسا عدداً كبيراً من الضباط الملكيين والعسكريين فرأى احد القواد الثارثار او المندشو (لست متأكداً من جنسيته) وهو عائد يوماً من استعراض ان يلعب بحصانه الابيض فى محل عمومي فى بكين وان يتريض بزينة من الريش بحالة مغايرة للادب فهاجت البلد جميعاً كأنها فى ثورة . مع ان حادثاً كهذا اذا وقع فى امة سليمة لم يزد عن اضحوكة همجية لا تصلح الا لان تصاغ نشيداً يترنم به — وعثروا مرة على جماعة من الضباط اختلسوا مبلغاً من السابك (وهى اصغر عملة للصين) فرفعت المسألة لجملة جهات قضائية وصدرت فيها احكام بعضها بالبراءة وبعضها بصرف النظر فثارت الامة مرة اخرى ولم يبق سوى خلع الملك ابن السماء عن عرشه . وفى امة سليمة لم تكن مسألة كهذه لتجر اى مشكلة بل كانت تصير بكل بساطة دليلاً جديداً على فساد رجال السياسة .فالصينيون الذين اندهشوا من شيء كهذا سذجاء حقيقة ـ وجاءنا البرق من عهد قريب بان المسئلة لم تنته وان احد الضباط العسكريين من الدرجة الثانية أُتهم بخيانة فاشتغلت جميع المحاكم العسكرية والاهلية والآن ليس فى عشم سكان مملكة السماء ان تعرف الحقيقة . شيء فظيع ولكن الافظع منه ان حاله تهيج العقول لا تزال كما هى من منذ ابتدأت هذه المسائل اى من اربع سنوات ولم يقتصر الامر على حد انحصار الكلام

فيها دون سواها بل انقسمت العائلات وتنافر الاصدقاء واستحال انعقاد الجمعيات وتقريباً العالم يتضارب فى الطرق بلا انقطاع لا فى بكين فقط ولكن فى جميع المدن الشهيرة بالمملكة . وقد وقع حادث مضحك وهو ان احد الخطباء الغير موافقين على وقائع الاحزاب اضطر — ليبرئ الفلسفة منها — لان يستعمل تلميحاً بسيطاً بين جمعية اشخاص كمل ولم ينج من الرجم الا بقوله ان الامر كان كذلك فى فرنسا ولولا ذلك لثار عليه هؤلاء السامعون الهادئون الفطناء العلماء الاذكياء فلك ان تتصور ما كان يناله اذا لم تتوفر كل تلك الشروط النادرة فى هذا المجتمع . وانا محقون اذا قلنا ان امة الصين امة خارقة للعادة .

ويمكنك الآن ان تقدر جسامة مرض تكاد تكونه به الجروح السطحية بل الخدوش قتالة فى الامة ونخشى من هذه الثورة وهذا الهيجان ان يتعاقبا على الدوام بلا انقطاع فما تنقضى مسئلة حتى تنفجر اخرى ثم اخرى وهكذا بلا نهاية .

٢

ويمكن تشخيص المركز الذى نتخبط فيه بعبارات مختصرة :

نحن نعيش تحت نظام تحزبى تحت نوع من نظام الكورس (نظام قبائل مكونة من جملة عائلات تعيش تحت رئاسة واحد منها) وتأتى تلك الوقائع التى بين الاحزاب من احتقارنا للمراكز الخصوصية فنحن نتنازع بيننا المراكز العمومية بعناد ومن حينئذ تأخذ اقل المسائل صبغة سياسية

وتهييج الاميال القاسية الحادة وظاهر ان اكبر المسائل تحت نظام كهذا هو تجنيد الاحزاب وبذلك يحتم ان يكون المدرسة مسئلة احزاب ووسيلة لتجهيز هجوم القوة وهذا هو معنى العناد الذى نتنازع به هذه الاراضى التى يجب ان تبقى خارجة عن معاركنا الحزنة وهو وجه وجوب تغيير التربية ولزوم السلوك فيها من الوجوة الاكثر مناسبة للانسان بالنظر للمراكز الخصوصية لا العمومية ولذلك يلزم ان نلطف من هذه التربية صفاتها المدرسية العقلية المحضة ولقد درسنا فى المدرسة طرق سياسة الرومانيين الجليلة ولكن شر دراسة فنسينا ان تعويلهم على القول كان اقل منه على المحراث الذي دوخوا به العالم ومدنوه . وهكذا اخرجنا من ميراث الرومانيين باحط القسمين الا وهو اننا نعجب بعلماء البيان ونحتقر الزراع فقبلنا ميراث مملكة القياصرة دون ميراث الجمهورية الرومانية وكان العكس احرى بنا فان الرومانى الاصلي كان احسن من البرابرة الذين تتبعوا للرومان وصاروا القياصرة وهم سبب السقوط والانحلال . وطالما كنا فى هذه الحياة فنحن لا نفهم ولا نعجب الا بالرجل الذى يتكل على جيرانه وعلى حزب أو على قبيلة ونحتقر الرجل الذى لا يعول الا على نفسه فى جميع مقاصده ونجهل قدرة هذا الرجل الحقيقية . فاذا كوّنت التربية الجديدة هذا الرجل وكوّنت رجالا نرى ان تسلط المراكز السياسية والادارية على الافكار يقل . وتعرف قيمتها الحقيقية ويتضح انها مراكز تابعة قليلة المكسب وانها اليق بان نترك للذين ليس عندهم نشاط ولا كفاءة لان يخلقوا لانفسهم بانفسهم مراكز وحينئذ تفقد معارك الحياة العمومية

كثيراً من حدتها ويهبط نظام السياسة الفدائية وهو ما تم فى البلاد التى قامت فيها هذه التربية . كان مجلس العموم بانجاترا يفحص الميزانية يوماً (ارانى مضطراً الآن اضرب الامثال حيث اجدها) فالقى الكونشلير هذا الخطاب : « ان الطبقة الاخيرة تشخص محصول الدرجة التى انا نفسى منها اعنى درجة الموظفين والاشخاص الآخرين الذين تدفع خزينة الحكومة رواتبهم. وانى لا اعتبر زيادة مرتبات هؤلاء السادة كزيادة مادية فى ثروة البلد (ضحك عام) واظن ان زيادة عدد هذه الفئة المحترمة من الرجال المهذبين المأجورين يجب ان تكون شرحت صدور الذين تهمهم هذه الفئة (ضحك) ولكن الذي يستحق الاهتمام اساسياً هو طبقات الممولين الاخرى» . ولم يتردد الناظر فى اضافته ما يأتى : « قد توفر فى هذه السنة مبلغ (٨١٢٥٠٠٠) فرنك عن العام الماضى واذا قدر المجلس على اقتراح توفيرات اخرى فان حكومة جلالة الملكة لا تردد فى اجابتها » . وتلك لهجة جميلة نسمعها من جانب البوغاز تلك لهجة امة تستهلك ديونها من سنة لاخرى ولكن بكل اسف يظهر ان وزراءنا اكثر دفاعاً عن وظائفهم منهم عن الممولين .

٣

وهناك امر آخر ايها السادة يميت كل تحسين فى التربية : واريد به النزاع القائم دائماً بين التعليم الرسمى والتعليم الاهلى . وذلك النزاع منحصر بين الحكومة والجمعيات الدينية وهى مسألة فظيعة وهى تبرهن على

ان نظامنا الاجتماعى يقتل كل عمل شخصي كل عمل لا ينتمى لسلطة قوية ولننظر اولا فى مركز الاخصام نقلا عن آخر تقرير للميزانية عن المسيو موريس فور :

عـدد تلامـذة المدارس ٨٤٨٢٩

عدد تلامذة الجمعيات الدينية ٨٤٥٦٩

اما عدد تلامذة المدارس الابتدائية الاهلية فهو زهيد ١٢٨١٣ اذن فالمناظرة منحصرة فيما بين التعليم الرسمى ومدارس الجمعيات الدينية وقوتها تقريباً متكافئة . وبحسب ما يقول مقرر الميزانية ان الجمعيات الدينية هى التى تكتسب الاراضى الآن ففى الثلاثين سنة الاخيرة لم تزد مدارس الحكومة سوى تسعة مدارس جديدة بينما زادت مدارس الجمعيات زيادة خارقة حيث زادت ١٤٠ مدرسة فصارت ٤١٨ بعد ان كانت ٢٧٨ مدرسة وظاهر ان ذلك اساء الحكومة كثيراً وقد اعرب مقرر الميزانية عن ذلك الاحساس بما يأتى : « هلا يوجد سبيل لتداخل الحكومة فى ذلك ؟ هذا ما لا اريد ان اتكلم فيه الآن اذ لا اريد ان اسبق الى ذكر ابحاث البارلمان العلمى التى يجب ان تزيد العناية بها عن هذه النقطة اللطيفة الجسيمة . » وتشعر هذه العبارة وهذا الاستياء والاسف بقوة التهديد والوعيد وقيام قيامة العداوة المنتظرة .

المعاداة لم تفد شيئاً فى الماضى ولن تفيد شيئاً فى الاستقبال . وانما الحل الوحيد هو ان يبرهن كل فريق على قوة الثقة التى هو حائز لها وان يسلموا أمام العدل ، ويجب على كل وطنى غيور ان يطالب بذلك لانه من

واجباتهم وحقوقهم ويجب على الحكومة ان تخضع للعدل وتكتفى بواجباتها الطبيعية ففى اليوم الذى لا تكون فيه السلطة واسطة للحكم والاستبداد وفى اليوم الذى يقف عدد الموظفين واختصاصاتهم عند الحد الضرورى يقل الطمع فى هذه السلطة والوظائف ولا تصير المدرسة مقيدة بهذا الفتوح وحينئذ تكتفى الحكومة بوظيفة حفظ الامن العام ولا تتولى التربية التى لا تحسنها وتوسع المجال للكليات والمدارس . ويجب على الاكليروس من جهة أخرى ان يعدل عن اعارة أذن المجاملة للمنافقين الذين يدفعونه سواء بواسطة المدرسة او بطريقة أخرى للقيام بمظاهرات سياسية او للتداخل باسم الدين فى جملة مسائل اجتماعية وهؤلاء المنافقون لايخدمون الدين بل هم يستخدمونه فى مصالحهم وهم لا يريدون تمجيد الاله بل يريدون تعظيم انفسهم .

هكذا تقع البلاد فى الحروب الدينية ولم تكن هذه الحروب فى الغالب الا معارك طمع سياسى مصبوغة بصبغة الدين فلا يكون الجهاد بالسيف او بالشتائم طلباً للجنة بل سعياً وراء السلطة وحيث دخلت فى هذا الموضوع الهائل فاستأذنكم فى الزيادة فيه هنيهة وسترون انى لن اشذ عنه بل انيره وارفعه . فانه بدفع الاكليروس فى هذا الطريق الذى الجئنا اليه لا ينتهى الامر الا بتحميل الدين مسؤليات توقعه فى الخطر وتنفر منه عقولاً كثيرة لولا ذلك كانت تميل اليه . الدين بصفته حكمة ادبية يضع القواعد الاساسية للعمل والملكية والعائلة والسلطات السياسية ولكنه فى الحقيقة لا يقيد اشكال النظامات المتنوعة اوالمتناقضة التى تعترى الاجتماعات المدنية بحسب

الوقت والمكان . وان اعضاء الاكليروس الذين يدعون امكان حل هذه المشاكل المختلفة باسم الكنيسة لا يتكلمون الا باسمائهم . اعيرونا اذناً واعية فان الموضوع يستحق العناية . نرى البعض يؤكدون ان الدين يتداخل فى نظام العمل ولكن الامر بالعكس فانه لم يدخل فى المعامل كبيرها وصغيرها ولا فى العمل الشخصى ولا بين الطوائف الحرة ولا الطوائف المحدودة (التى لا تقبل سوى اعضاءها) ولم يكن لا للاسترقاق والاستعباد ولا عليهما ولا للعقود المطلقة ولا عليها . ففي الديور تجد الارقاء والعبيد والصناع الاحرار وليس الدين فى كل هذه المواضع الا موافقاً تماماً للظروف الاجتماعية لكل عنصر وفى كل بلد وهمه الوحيد اقامة شعائر الادب ومد الوية الشفقة . ولا يدخل الدين باكثر من ذلك فى قواعد تكون الملكية فهو خال من النصوص عن الملكية العامة أو الملكية العائلية او الملكية الرئيسية فهو يقبل الاولى فى صحارى أسيا مع جماعة الرعاة وفى اوربا مع طوائف الزراع وفى الروسيا مع المير وفى البلاد الجنوبية الروسية السلافية مع الزادروجا وفى الباراجى مع الردوكسيون اليهود وفى السويسرة مع البورجواذى ويقبل الثانية والثالثة فى غربى اوربا وفى جملة بلاد أخرى ينتشر فيها هذان الشكلان بتسابق . وهو يقبل أيضاً الاشكال المختلفة للاجور والوراثة وعلى هذه النقط المختلفة كما بالنسبة لغيرها كان انقسام الكاثوليك ولهم حق من الوجهة الدينية فكل ما يعمله الدين هو عدم جواز مساحة المملوكات ووجوب ادارتها كمتاع عام وان الشفقة واجبة على الفقرآء ومع ذلك فالعالم كله متفق على هذا ولو بالنظر للقواعد

ولا يدخل الدين فى تشكل العائلات فهو يقبل نظام العائلات البطريقية فى الشرق والعائلة البسيطة المنزلية فى الغرب وهو يقبل فى الاولى الاتساع العظيم فى السلطة الابوية وفى الثانية يقبل الاقدام الشخصى العظيم من الاولاد ويمنح جميع الحرية للشخص فى كيفية التربية وهو لا يساعد ولا يعترض الداخلية ولا الاتعاب المدرسية ولا البروجرامات العلمية ولا صرامة الامتحانات وهناك بعض من الجمعيات الاخوية المعلمة تباشر طرق هذه التربية بتسابق يأسف عليه وهم يقولون يلزم اقامة المعارك ضد الكلية وهذه مسألة نادرة لم يعد احد يفتكر فى الاستغاثة منها بالسلطة الدينية ومع ذلك لم يكن من القبيح ان يروا أنفسهم مشتبكين فى مسائل أدبية . ولا يتداخل الدين فى تكون السلطات العامة فهو يوافق بالسواء الحكومات المطلقة وحكومات جماعات الاشراف والحكومات الجمهورية والممالك الملوكية وذلك جميل لان الدين يقتفي فى العصور والاشكال الاجتماعية المتغيرة عملاً عالياً وهو هداية الاشخاص بالطرق العملية الدينية الى السعادة الابدية فعمله يجب ان يكون عملاً سلمياً كالآية « سعداء الهادئون المسالمون » ولم يقل سعداء الذين ينتخبون وكلاء عن الامة أو سعداء الذين يستولون على مناصب عالية . والدين يجب ان يطابق جميع العصور والبلاد فاخصص غايته بشكل مخصوص من اشكال الاجتماع فقد فقد صفته الكهنوتية ولا يصير فقط ديناً وضعياً بل يكون أيضاً محلياً كالاسلام(١) والبرهمانية والبوذية او كالشرك والوثنية . هذه النتيجة وخيمة

(١) انظر مقدمة المترجم ولولا مخافة التطويل لرددنا عليه بالادلة والآيات

وانى آخذ كل الحرية فى وضعها تحت سخط الاكليروس والذين يدفعونه على التداخل فى الاشكالات السياسية والاجتماعية .

فاذا اتفقت الحكومة والاكليروس على الانسحاب والانحصار فى مركزهما المحترم فان المسائل والعلاقات التى بين الكنيسة والحكومة تستوى وتفقد مسألة التعليم الرسمى والتعليم الاهلى حدتها ويتم الصلح وبغير ذلك يستمر النزاع ولا يكون لوجه الله . ووجه الصعوبة فى عدول القابضين على زمام الحكومة والقابضين على زمام الكنيسة عن المناصب والمهام السياسية هو ان تربيتنا لا تؤهلنا لمباشرة الوظائف الحيوية ويلزمنا للتعجيل بهذه التهيئة ان نرجع لتربية أقل اقتصاراً على العقل وأميل الى العمل منها الى العلم الى تربية تعد اكفاء للزراعة والصناعة والتجارة بدلاً من التربية التى تعد اكفاء للوظائف فبهذه المهن يمكن فى الحقيقة للانسان ان يسود فى البلاد ويخضع له اهلوها اكثر مما يتأتى له ذلك بالتوظف . فتقلد الوظائف الرسمية لا يحقق تقدم الاجتماع . والانسان يكون اقوى وهو بعيد عن الوظائف العمومية منه وهو فيها وهذه هى الحقيقة الاصلية التى يلزم اعلانها على المآذن . وسأضرب لاعضاء الاكليروس مثلا فى ذلك : هم يئنون غالباً من نفوذ البروتستانت الآن بفرنسا ويقولون ان هذا النفوذ اكبر من نسبتهم العددية وهو امر فى الحقيقة واقع ولكن ما هى اسباب ذلك النفوذ ؟ اسبابه هى حرمانهم من الوظائف الرسمية والادارية

البينات والحوادث والتواريخ ولكننا نؤجله الى فرصة أخرى على حدتها وفيما تقدم بعض الكفاية .

ووظائف الشرف فاضطروا لأن يندفقوا على اقتناء المهن المألوفة فمنحتهم بفضيلتها الشخصية الذاتية ذلك النفوذ الذى تشتكون منه وهو برهان على ان الظلم اعمى وانه ينتهى دائماً الى عكس ما آربه وهو دليل ايضاً يرشد الى طرق العظمة الحقة التي يجب علينا ان نسير فيها بثبات وحرية .

فظهر ان النظام الواجب ادخاله وتقويته انما هو نظام الرجل الذى يعيش فى حياة مستقلة .

قد رأينا سادتى ان الحكومة وجمعيات الاخاء الدينية قد احتكرت التعليم . وبالطبع هذان المجموعان المعلمان الغنيان جداً انتهيا بايجاد نظام المدارس الواسعة التى تجمع مئات التلامذة وقد أبنت فى كتابى التربية الحديثة مضار هذه الثكنات العظيمة المدرسية والفوائد العظمى من المدرسة الصغيرة المؤسسة على نظام عائلى .

ويوجد بين هذين الطرفين وسط ولو انه لا ينتج جميع فوائد الطرف الثانى لكنه متيسر الاتباع للكلية وجمعيات الاخاء المعلمة وهو يعود بالنجاح الحقيقى على مدرستنا الكبيرة وذلك نظام المدارس العمومية التى تعمل مع النجاح فى انكلترا والولايات المتحدة .

وهذا النوع يوجد فى الارياف لان الواجب هو منع الداخلية من المدن . وتلك المدارس تحتوى على بناء فى الوسط فيه الفرق والكتبخانة والمعمل وقاعات للاجتماعات العمومية وحول ذلك البناء على مسافات

قصيرة توجد منازل الاساتذة فى الخلاء . وكل معلم يأخذ بعضاً من التلامذة بين العشرة والثلاثين تلميذاً ويتكلف بسكناهم وغذاهم على نظام خاص مقرر من ادارة المدرسة . وهو يخاطب عائلات الاولاد مباشرة ويكون وصياً عليهم ووليأ لامورهم وبذلك تكون المدرسة حقيقة فى حالة عائلية وتخلص التلامذة من النفوذ الممقوت ومن الداخلية الغير صحية وعندهم الحرية فى ان يشتغلوا فى حجراتهم الخصوصية او خارجها حسب نظام المدرسة فيعتادون بذلك الحرية . وبهذا الترتيب يمكن قبول مئات التلامذة مع اجتناب نظام الثكنات والضرر الجسيم .

هذا ما يناسب ادارات مدارسنا الكبرى التى تدير الاموال العظيمة والعدد الكبير من الاشخاص . وانى مقتنع ان هذا النوع الحيوى ستجله التلامذة من غير شك كما تجله الاساتذة الذين يجنون من مصاريف التلامذة ثروة كبيرة . فلو أسست الحكومة او جمعيات الاخاء المعلمة بعض مدارس من هذا القبيل فانها تجنى من الفوائد المادية والادبية وتكون خطوات الاصلاح سريعة . و يطابق هذا الاصلاح رغبات العائلات ومصالحهم ويؤكد ذلك كثرة الطلبات التى ترد علينا للدخول بمدرسة روش والمحادثات التى دارت بينى وبين كثير من الآباء . والفرق بين مدرسة روش التى ستفتح فى اكتوبر الآتى وبين هذه المدارس التى وصفتها هو أولاً قلة عدد التلامذة الذين يمكن قبولهم ، ثانياً ان نظامها عائلى والعلاقة والارتباط بين المعلمين والتلامذة فيها عظيمة فهم يقيمون بها ويجتمعون سوياً فى الدرس والالعاب والاكل وفضلا عما لهذه المدارس

من الفائدة فانها سهلة التقليد والانتشار وأملنا عظيم فى ان نكون بمدرسة روش قدوة وأن يسابقنا على مثلها الكثير . وليس من الضرورى لفتح هذه المدارس من مساعدة ادارات التعليم الكبرى لان نفقات فتح هذه المدارس قليلة وكذلك احتياجها الرجال قليل وبعض معلمي الكليات او المدارس الاهلية يمكنهم ان يتموا ذلك ويمكن ان تجمع هذه الاموال من اشتراك بعض الآباء الذين يحبون وجود هذه المدارس . ولقد عرضت عليّ جملة طلبات من هذا القبيل وانى واثق انها ستزيد وتتوفر المعلمون الاكفاء اذا حان وقت الاجابة . وفى الحقيقة فان وجه الصعوبة هو ان المعلم الحالى الذى هو على اكثر من كونه مربياً لا يميل كثيراً للاختلاط بالتلامذة فى حياتهم وألعابهم ولكن يوجد شبان كثيرون يمكن اعدادهم لهذا الغرض لان المعلمين يستفيدون من هذه الحالة المألوفة المفيدة . ولا تقتصر فائدة المدرسة الحديثة على انطباقها على الحياة العائلية وسهولة انتشارها بل هى ايضاً قريبة للتقدم واكثر تمكيناً منه وتسهيلاً له لانها اكثر قبولاً للمسابقة وأشد تأثراً بالفائدة الشخصية .

أما المدرسة الاخرى فهي كمدارسنا الحالية آلة ميكانيكية عظيمة صعبة الحركة تابعة لادارة مركزية وبهذا السبب تكون أقل صلاحية والمهم الآن بفرنسا هو افراغ الجهد فى ايقاظ الاقدام الذاتى النائم المضغوط من زمن مديد ويلزم ان يكون المعتمد فى ترقية التقدم المدرسى والاجتماعى على المدرسة الصغيرة كما قلت وهذا أمل فتح بابه للشبان المعلمين الذين هم أهل للاقدام النشيط وللفوز المبين وكما قيل :

لا ستسهلن الصعب او ادرك المنى فما انقادت الآمال الا لصابر

٥

ولست ارى سادتى مندوحة عن ان أقول كلمة على صعوبة اخرى خطيرة تقوم فى وجه تقدم التعليم عندنا وهى نظام الخدمة العسكرية الحاضر . اذ طالما بقيت القرعة عندنا على ماهى عليه فتقدم التعليم مستحيل . فمنذ نشر القانون العسكرى الجديد والمدارس التى تخلص من الخدمة العسكرية سنتين مزدحمة بالطلاب بعد ان كاد كثير منها يقفل ابوابه لقلة التلامذة فغدوا به الآن كثيرين واجتهد اصحابها حتى خففوا الامتحانات وبذلك اضطروا ايضاً لتخفيف الدروس لكى يتمكنوا من صرف الكثير من تلك الشهادات المعتقة .

ولست اظن انه يوجد فى خدمة الجندية من ابناء الشيوخ والنواب عشرة أولاد فهكذا هم يعطون اصواتهم وآراءهم للخدمة العسكرية ويقررون لها ثلاث سنوات ولكنهم لا يعطونها اولادهم . ولا شاغل للآباء والامهات بين طرفى فرنسا شغلاً يكاد يذهب بعقولهم سوى كيف يخلصون ابناءهم من خدمة العسكرية الثلاث سنوات وانتهى الامر بالمدرسة لئلا تكون الا طريقاً للتخلص من خدمة الجندية وقد قلنا ان الدروس قلت وكذلك اصبحت مراكز نظار تلك المدارس متزعزعة اذ هم ملزمون بالسير فى طريق السقوط .

وكم سمعت هذا السؤال الذى يسمعه كل مشتغل بمسائل التعليم « هل

مدرسة روش تخلص اولادنا من الخدمة العسكرية ؟ » « كيف اذن ؟ لا شك نعم » من يكون ساذجاً بهذه الدرجة حتى يفتح مدرسة فى فرنسا بغير هذا الشرط . ولو كانت جنديتنا بعد ذلك الحال ذات قوة لهان الامر وكان لنا فيه العزآء الجميل . ولكنى تباحثت فى ذلك مع كثير من الضباط فوجدتهم مجمعين على ان الجندية الحاضرة ليست قوية اذ ينقصها الضابط والصف ضباط وبديهي ان قوة الجندية من قوة هاتين الدرجتين وليس عندنا ضابط لان ضباطنا صبيان يقضون فى الخدمة سنتين فاذا انتهت تلك المدة عادوا لمنازلهم فضباطنا يقضون زمنهم فى خدمة متقطعة من وقت لآخر فى الوقت الذي يمكنهم ان يبدأوا فى العمل وحالتهم تستحق الرثاء وحالتهم أقرب الى حالة (نبلوب) (ملكة ضايقها خاطبوها فى غيبة الملك زوجها) وهو أمر يحل عزائم محبي الخدمة العسكرية فنحن محرومون من انتظام التعليم ومن قوة الجندية وحياتنا الاجتماعية متزعزعة . ولو كانت حياتنا الاجتماعية مطمئنة لتعزينا بها عن انحلال التعليم وضعف الجندية . ولكن مضار نظامنا العسكري خطيرة على الاجتماع فهي تحل جميع الوظائف لانها تشتغل الثلاث سنوات التى ينتخب فيها طريق الحياة والارتباط بها . ومعلوم ان المشرع اراد ان يخلص الشبان الذين يريدون الاشتغال بالوظائف الحرة والادارية من هذه البلية وخفض لهم مدة الخدمة الى سنة كأنما هو يعتبر ان هذه الوظائف انفع من الزراعة والصناعة والتجارة وانه يلزم المحافظة عليها وهو اعتقادنا الفاسد فى افضلية الوظائف العمومية على الوظائف الخصوصية تلك الوظائف الفضولية على الوظائف الحيوية

الاصلية هذا الاعتقاد الذى نقلد فيه الرومانيين والحكومات الملوكية المطلقة هذا الاعتقاد الذى يشل جسم حياتنا الاجتماعية شللاً عاماً .

قانون القرعة عندنا يضحى فوائد التعليم وفوائد الجندية وفوائد الحياة المدنية فى وقت واحد فلا يصح لنا ان نلوم الذين يبذلون النفس والنفيس فى الخلاص منه — ثم أفاض المؤلف فى التكلم عن نظام العسكرية حتى رأى ان الاصلح هو جعل الخدمة قسمين قسم اجبارى ومدته سنة واحدة حتى يعم كل الناس وتتساوى فى تأدية خدمة الجيش وقسم متطوع لمدة أطول الى غير ذلك من التعديلات التي رآها حتى قال — : ومعلوم ان الولايات المتحدة ليس عندها فى اوقات السلم سوى ست وعشرين ألف جندى تحت السلاح ومع ذلك امكنها جمع العدد العظيم فى حربها مع اسبانيا وفازت فوزها المشهور وكذلك الانكليز الذين تتألف جنديتهم من متطوعين فقط ولكنهم جميعاً معتادون من المدرسة وبواسطتها على نشاط الجسم والعقل والنظام والصبر والحياة فى مطلق الهواء والالعاب الجسمية التي يباشرونها يومياً فلعب كرة السباق والقدم مثلاً هى مدارس حقيقية للانبعاث نحو الحياة الحربية ولنر ما قاله فى ذلك أحد اخواننا الفرنساويين مسيو منسون الحائز لشهادة الاستاذية من الكلية ويعلم اللغة الفرنساوية فى مدرسة هارّو : « ليس الغرض من كرة السباق وكرة القدم انماء الرئتين والعضلات فقط بل الغرض بهما أرقى من ذلك فمن فوائدها تعويد الشبان على الطاعة أولاً والادارة بعد ولمعلمها سلطة مجازاة التلميذ الذى يغيب بدون تصريح . ولو رأى من تلميذ عناداً أو عدم

كفاءة ضمه الى فريق أقل من فريقه ولمن يحسن لعبها مكافآت كما يكافأ المجدون فى اللاتينى وليس الماهر فى لعبها من كان ماهراً فى نفسه بل الماهر من كان ينفع فريقه فبدلاً من ان يخاطر بنفسه ولا ينجح فى ضربته يسلم الكرة لصاحبه أو يفسح له الطريق أو يسهل له انتهاز الفرصة فاللعب الذى تتوفر فيه هذه الشروط هو من أحسن مدارس الانتظام الادبى وهم يعيرونه من الاهمية ما يعيرونه للشغل العقلى وعندى مثل يريك قدره عندهم . افتتح اكتتاب من مدة أربع سنوات بين الاساتذة والتلامذة وتلامذة مدرسة هارو الاقدمين لتوسيع ميدان كرة القدم فجمع فيه عشرون ألف جنيه مع انه لم يفتح الا خمسة عشر يوماً وحصلوا نصف المبلغ لغاية اليوم الثالث . ولا يحصل اكثر من ذلك لدار الكتب ولو ان ما يعمل لها لا يقل عنه . ولا تعيش المدارس الانجليزية من الميزانية بل من موارد الثروة الحرة الملوكية التى يأتيها بها الاقدام الذاتى .

فقوة انجلترا الحربية المجردة فى الظاهر القوية فى الحقيقة تعتمد كثيراً على المدرسة وهو ما أردت استنتاجه من مقدماتى . وحياتها فى الحقيقة من التربية تلك التربية التى تكوّن الرجال المتسلحين بكامل العدة والعدد للدخول فى معارك الحياة أو ميادين القتال على حد سواء . والتلامذة الذين تخرجهم التربية الجديدة لا يحتاجون لثلاث سنوات فى الخدمة العسكرية كى يكونوا من الجنود المطيعة الميالين المتمرنين لأن تلك الحياة الخمولية البربرية السائدة فى مدارسنا الحاضرة لن تضعفهم من قبل ولن تغرس في قلوبهم النزوع للثورة . فانظر كيف صلحت تلك التربية من

جهة أخرى لان تحل احسن حل المشاكل التى طالما كدرت صفو الوطن .

ولكن عزمنا نحن انفسنا ان نعمل شيئاً ونسرع فيـه طاقتنا حتى يتيسر لتلك التربية الحديثة تهيئة الرجل الجديد . ولقد سمعنا فى امثـال الصينيين ما يأتى : « اذا كان كل واحد يكنس امام بابه لاصبح الطريق نظيفاً » ولكنا بدل من اتمام هذا الواجب البسيط الضرورى نضـيع الوقت فى النزاع والتلاكم مع جارنا ليكنس امام بابه وطبعاً لا يمكنه هو الآخر ان يكنس لانه مشغول أولاً بأن يعمل مثل ذلك مع جاره وهكذا لا يحصل كنس وتتراكم حولنا القاذورات .

فلتكنس الحـكومة ورجال السياسة امام أبوابهم . ليكنس الاكايروس واعضاؤه امام ابوابهم . لتكنس الجنـدية امام بابهـا . ليكنس القضاة امام أبوابهم . ليكنس الموظفون — نعم الموظفون — أنفسهم امام أبوابهم . ولنكنس نحن جميعاً كيفما كنا امام أبوابنا وحينئذ نرى القاذورات اختفت كأنما غطى عليها سحر .

٦

فاليوم الذى تضع لنا التربية الحديثة نتاجها الذى تحمله بعد ان تنشر وتعم انحاء المملكة هو اليوم الذى نكون فيه نحن أرقى من الانجليز السكسون . نعم نسبقهم لاننا نقتبس قوتهم الاجتماعية بدون ان نفقد خليقاتنا الفرنساوية خليقاتنا اللاتينية اذ هى ثابتة باصولها فينا من قرون ودهور بعيدة فلا خوف عليها .

فلنا نحن الفرنساويين نحن اللاتينيين قدرة التعميم وروح الترتيب وتنوير العقول والبلاغة المقنعة ولنا فضل انارة الافكار وتسهيل مآخذ المعارف وزيادة تأثيرها وانارتها للعقول القاصرة التي لم تمسسها الروح اللاتينية ولا اليونانية ولنا فضل طرحها بين العالم احياناً وهي كالمشاعل او المصابيح .

ويوجد شكل من الوطنية وهو الاعجاب بالنفس والمبالغة في كتمان الامور كما يفعل اهل اسبانيا وهو شكل ممقوت والواجب هو اجتناب الانانية لانها ذميمة ويلزم معرفة تبادل الصفات فاذا اردنا ان نقتبس صفات الانجليز السكسون يجب ان نوصلهم بصفاتنا . فكثير منهم ومن الاميريكان يتوجهون بعد اتمام دروسهم ليقيموا بكليات المانيا وفي اعتقادي أنهم ضلوا الطريق ويلزم ان نعلمهم بذلك من باب الانسانية . ليست الصفات الالمانية بل هي الصفات الفرنساوية هي التي تكمل الصفات الانجليزية السكسونية .

فنحن عندنا الصفات التي تفيدهم وقد ذكرتها اما الالمانيون — ولا ننكر عليهم فضائلهم — فليس عندهم الصفات التي يستفيد منها الانجليزي السكسوني .

وبهذه الاعتبارات اريد سادتي أن تتبينوا ان العظمة ليست احتكاراً وان العالم باسره يضطر يوماً — اذا اردنا — للاعتراف بعظمتنا نحن الفرنساويين .

« تم »



حسن توفيق الدجوى

مترجم هذا الكتاب

فهرست

التربية الحديثة

فهرست رسوم الكتاب